

الجميل ص : ٤٧

المقدمة فى سبب تأليف الكتاب

الحمد لله الذى ضمن النصر لناصريه و أعان على الحق بتوفيقه متبعيه و خذل من عند
عن دينه و ألحد فيه و صلاته على صفوته من خلقه و محبيه محمد و آله المخصوصين
بالطهارة و التنزيه. و بعد سألت أيدك الله بتوفيقه أن أورد لك ذكر الاختلاف بين أهل
القبلة فى حديث الفتنة بالبصرة و ما كان بين أمير المؤمنين على بن أبى طالب ع

الجميل ص : ٤٨

و بين عائشة و طلحة و الزبير من الحرب المهولة فى ذلك و المقال و مذهب كل فريق
من الأمة فيه على شرح له و بيان و إثبات سبب هذه الفتنة و الأخبار التى جاءت فيما
جرى بين القوم من القتال و الفعال فإن كل كتاب صنف فى هذا الفن قد تضمن أخبارا
تلتبس معانيها على جمهور الناس و لم يأت أحد من المصنفين بذكر الحرب فى هذه
الفتنة على الترتيب و النظام بل خلطوا الأخبار فيها خلطا لم يحصل معه تصور الخلل
فيما كان بين الجميع فيه على الظهور و التبيان للذى جاء. فقد جمعت لك أيدك الله
كل ما صدر عنهم و أثبتته فى هذا الكتاب برهانا يفضى الناظر فيه إلى صحة الاعتقاد فى
أحكام القوم بأسمائهم بأعمالهم و ما فيها من الكفر و الإيمان و الطاعة و العصيان و
التبين و الضلال لتعلم وفقك الله بالنظر و الاعتبار و تخرج بذلك من التقليد الموبق
لصاحبه لتظفر بالحق و يزول عنك الاشتباه الذى التبس عليك الأمر فيما كان هناك و
أجبتك إلى ما سألت معتصما بالله عز و جل و سائلا لك التوفيق و الرشاد و بالله
أستعين

الجميل ص : ٤٩

القول فى اختلاف الأمة فى فتنة الجمل و أحكام القتال فيها
أما المتولون للقتال فى هذه الفتنة فقد أنبأنا عملهم فيها عن اعتقادهم و دلت ظواهرهم
فى ذلك على بواطنهم فيه إذ العلم يحيط بأن أمير المؤمنين عليا ع و ولده و أهله من

بنى هاشم و أتباعه من المهاجرين و الأنصار و غيرهم من المؤمنين لم يسلكوا فيما
باشروه من الحرب و سعوا فيه من القتل و استباحة الدماء طريق المجرمين لذلك
الطالبين به العاجل و التاركين به ثواب الآجل بل كان ظاهرهم فى ذلك و المعلوم من
حالهم و قصدهم التدين به و القربة إلى الله سبحانه بعمله و الاجتهاد فيه و أن تركه و
الإعراض عنه موبق من الأعمال و التقصير فيه موجب لاستحقاق العقاب. أ لا ترى إلى ما
اشتهر

من قول أمير المؤمنين ع و قد سئل عن قتاله للقوم لم أجد إلا قتالهم أو الكفر بما
أنزل على محمد ص

الجميل ص : ٥٠

و قول عمار بن ياسر رضى الله عنه أيها الناس و الله ما أسلموا و لكنهم استسلموا و
أسروا الكفر فلما وجدوا له أعوانا أظهره فى أمثال هذين القولين من جماعة أجله من
شيعة أمير المؤمنين ع يطول بشرحها الكتاب فهم ثلاثم معانى كلامهم فى ذلك ظواهر
فعالهم و المعلوم من قصودهم و هذا ما لا مريئة فيه بين العلماء و إنما يشتبه الأمر فيه
على الجهلاء الذين لم يسمعوا الأخبار و لا عثروا بتأمل الآثار. و كذلك الأمر محيط بأن
ظاهر عائشة و طلحة و الزبير و كثير ممن كان فى حيزهم التدين بقتال أمير المؤمنين ع
و أنصاره و القربة إلى الله سبحانه و تعالى باستفراغ الجهد فيه و أنهم كانوا يريدون
على ما زعموا وجه الله و الطلب بدم الخليفة المظلوم عندهم المقتول بغير حق و أنهم
لا يسعهم فيما أضمره من اعتقادهم إلا الذى فعلوه فوضح من ذلك أن كلا من الفريقين
يصوب رأيه فيما فعل و يخطئ صاحبه فيما صنع و يشهد لنفسه بالنجاء و يشهد على
صاحبه بالضلال و الهلاك. إلا أن أمير المؤمنين ع صرح بالحكم على محاربيه و
وسمهم بالغدر و النكت و أخبر أن النبى ص أمره بقتالهم و فرض عليه جهادهم
الجميل ص : ٥١

و لم يحفظ عن محاربيه فيه شيء و لا سمة له بمثل ذلك و إن كان المعلوم من رأيهم

التخطئة له فى القتال و الحكم عليه فى مقامه على الأمر و الامتناع من رده شورى بينهم
و تسليم قتلة عثمان إليهم بالزلل عن الحق و ترك الواجب عندهم و الصواب. و كان
مذهب سعد بن مالك أبى وقاص و عبد الله بن عمر و محمد بن مسلمة الأنصارى و أسامة
بن زيد و أمثالهم ممن رأى القعود عن الحرب و التبديع لمن تولاهما الحكم على أمير
المؤمنين و الحسن و الحسين ع و محمد بن على ع و جميع ولد أبى طالب و كافة
أتباع أمير المؤمنين ع من بنى هاشم و المهاجرين و الأنصار و المتدينين بنصرته
المتبعين له على رأيه فى الجهاد بالضلال و الخطأ فى المقال و الفعال و التبديع لهم
فى ذلك على كل حال و كذلك كان مذهبهم فى عائشة و طلحة و الزبير و من كان على
رأيهم فى قتال أمير المؤمنين ع و أنهم بذلك ضلال عن الحق عادلون عن الصواب
مبدعون فى استحلال دماء أهل الإسلام و لم يحفظ عنهم فى الطائفتين و لا فى إحداهما
تسمية بالفسوق و لا إخراجهم بما تولوه من الحرب و القتال عن الإيمان

الجملى ص : ٥٣

فصل آراء أهل الفرق فى المتحاربين فى حرب الجملى

آراء الحشوية

الخلافة الذى حكيناه عن السلف بعد النبى ص فى الفتنة المذكورة قد تشعب و زاد على
ما أثبتناه عن سميناه فى الخلافة فقالت العامة الحشوية المنتسبة إلى السنة على ما
زعموا فى ذلك أقاويل مشهورة و ذهبوا مذاهب ظهرت عنهم مذكورة.

الجملى ص : ٥٤

رأى سعد بن أبى وقاص و أتباعه. فمنهم طائفة اتبعت رأى سعد بن أبى وقاص و شركائه
من المعتزلة عن الفريقين و مذهبهم فى إنكار القتال و حكموا بالخطأ على أمير
المؤمنين و الحسن و الحسين ع و محمد بن على و عبد الله بن عباس و خزيمه بن
ثابت ذى الشهادتين و أبى أيوب الأنصارى و أبى الهيثم بن التيهان و عمار بن ياسر و
قيس بن سعد بن عباد و أمثالهم من وجوه المهاجرين و نقباء الأنصار و عائشة و طلحة

و الزبير و جميع من اتبعهم فى الحرب و استحل معهم القتال و شهدوا عليهم جميعا
فيما صنعوه بالزلل عن الصواب و وقفوا فيهم مع ذلك و لم يقطعوا لهم بعقاب و رجوا
لهم الرحمة و الغفران و كان الرجاء لهم فى ذلك أقوى عندهم من الخوف عليهم من
العقاب. رأى فرقة أخرى منهم. و منهم طائفة أخرى قالت بتخطئة الجميع كما قال
الأولون منهم فى ذلك و قطعوا على أن أمير المؤمنين و الحسن و الحسين ع و ابن
عباس و عمار بن ياسر

الجملة ص : ٥٥

و خزيمة ذا الشهادتين و إن كانوا قد زلوا فى سفك الدماء فى القتال فإنه مغفور لهم
ذلك لما قدموا من عظيم طاعتهم لله تعالى و جهادهم مع رسول الله ص و صحبتهم له و
مواساتهم إياه و كذلك قولهم فى عائشة و طلحة و الزبير و من شاركهم فى القتال ممن
له صحبة و سالف جهاد و أما من سوى الصحابة من الفريقين فهم بقتالهم و استحلالهم
الدماء من أهل النار و حكوا عن بعض مشيختهم و أئمتهم فى الدين إنه كان يقول نجا
القادة و هلك الأتباع و فرقوا بين الصحابي و غيره فى ذلك
بحديث رووه عن النبى ص إنه قال لبعض المسلمين ممن أدركه و لم تكن له صحبة و
قد سامى رجلا من الصحابة إياكم و أصحابى لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدى
أحدهم و لا نصفه

رأى فرقة مستضعفة. و منهم فرقة أخرى قالت لا ينبغي لأحد أن يخوض فى ذكر الصحابة
و ما جرى

الجملة ص : ٥٦

بينهم من تنازع و اختلاف و تباين و قتال و لا يتعرض بالنظر فى ذلك و لا الفكر فيه و
يعرض عنه جانبا و إن استطاع أن لا يسمع شيئا من الأخبار الواردة به فليفعل فإنه إن
خالف هذه الوصاءة و أصغى إلى الخبر باختلاف الصحابة أو تكلم بحرف واحد أو تسرع
إلى الحكم عليهم بشيء يشين المسلم فقد أبدع فى الدين و خالف الشرع و عدل عن

قول النبي ص و لم يحذر مما حذر منه

بقوله ص إياكم و ما شجر بين أصحابي

و قد زعموا أن الرواية بذكر أصحاب السقيفة و مقتل عثمان و الجمل و صفين بدعة و التصنيف في ذلك ضلال و الاستماع إلى شيء منه يكسب الآثام و هذه فرقة مستضعفة من الحشوية يميل إلى قولها جمع كثير ممن شاهدناه من العامة و يدعو إليه

المتظاهرون بالورع و الزهد و الصمت و طلب السلامة و حفظ اللسان و هم بذلك بعداء عن العلم و أهله جهال أغمار. رأى فرقة تدعى المعرفة بالفقه. و قالت فرقة من العامة تختص بمذاهب الحشوية غير أنها تتعاطى النظر و تدعى المعرفة بالفقه و تزعم أنها من أهل الاعتبار إن علي بن أبي طالب ع و من كان في حيزه من المهاجرين و الأنصار و سائر الناس و عائشة و طلحة

الجمل ص : ٥٧

و الزبير و أتباعهم جميعا معا كانوا على صواب فيما انتهوا إليه من التباين و الاختلاف و الحرب و القتال و سفك الدماء و ضرب الرقاب فإن فرضهم الذي تعين عليهم من طريق الاجتهاد هو ذلك بعينه دون ما سواه لم يخرجوا بشيء منه عن طاعة الله و لا دخلوا به في شيء منه إلى معصيته و أنهم كانوا على الهدى و الصواب و لو قصرنا عنه مع الاجتهاد المؤدى إليه لضلوا عن الحق و خالفوا السبيل و الرشاد و زعموا أنهم كانوا جميعا مع الحال التي انتهوا إليها من سفك الدماء و قتل النفوس و الخروج عن الأموال و الديار على أتم مضافاء و مودة و موالاة و مخالصة في الضمائر و النيات و استدلووا على ذلك و زعموا بأن قالوا وجدنا كل فريق من الفريقين متعلقا بحجة تعذره فيما أتاه و توجب عليه العمل بما صنعه و ذلك أن علي بن أبي طالب ع كان مذهبه تحريم قتل الجماعة بالواحد و إن اشتركوا في قتله معا و هو مذهب مشهور من مذاهب أصحاب الاجتهاد و لم يثبت عنده أيضا أن المعروفين بقتل عثمان تولوه على ما ادعى عليهم من ذلك فلم يسعه تسليم القوم إلى من التمسهم منه ليقتلوهم بعثمان و وجب

عليه باجتهاده الدفاع عنهم بكل حال.

الجميل ص : ٥٨

و كان مذهب عائشة و طلحة و الزبير قود الجماعة بالواحد من الناس و هو مذهب عمر بن الخطاب و غيره من الصحابة و جماعة من التابعين و به دان جماعة من الفقهاء و أصحاب الاجتهاد و ثبت عندهم أن الجماعة ليقتلون بالرجل الواحد و أن أمير المؤمنين ع لم يسلمهم ليقتلوهم بعثمان و أن الناس قد تولوا قتله و اشتركوا في دمه و كان إماما عندهم مرضيا قتل بغير حق فلم يسعهم ترك المطالبة بدمه و الاستفادة من قاتله و بذل الجهد في ذلك. و اختلف الفريقان في ذلك لما ذكره من الاجتهاد و عمل كل فريق منهم على رأيه و كان بذلك مأجورا و عند الله تعالى مشكورا و إن كانوا قد سفكوا فيه الدماء و بذلوا فيه الأموال و هذا مذهب جماعة قد شاهدتهم و كلمتهم و هم في وقتنا هذا خلق كثير و جم غفير. فممن كلمتهم فيه من مشيخة أصحاب المخلوق المعروف بأبي بكر التمار الملقب بدرزان و كان في وقته شيخ أصحاب عبد الله بن سعيد بن كلاب و أكبرهم سنا و أكثرهم تقدما في مجالس الكلام. و منهم محارب الصيداني المكنى بأبي العلاء خليفة أبي السائب في القضاء و منهم المعروف بالرشفي.

الجميل ص : ٥٩

و منهم المكنى بأبي عبد الله المعروف بابن مجاهد البصري الأشعري صاحب الباهلي تلميذ علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري. و منهم المعروف بأبي بكر بن الطيب و المعروف بابن الباقلاني. و منهم أبو العباس بن أبي الحسين بن أبي عمرو القاضي. و جميع من سميت ممن جاريته في هذا الباب من أصحاب المخلوق بعضهم كلابية و بعضهم أشعرية و إليه يذهب في وقتنا هذا جمهور أصحاب الشافعي ببغداد و البصرة و خوزستان و بلاد فارس و خراسان و غيرها من الأمصار لا أعرف شافعيًا له ذكر في قومه إلا و هو يذهب إلى هذا المذهب ليبعد به عن قول الشيعة و أهل الاعتزال

الجميل ص : ٦٠

آراء المعتزلة

رأى واصل بن عطاء و عمرو بن عبيد. و اختلف فى ذلك المعتزلة أيضا كاختلاف الحشوية فقال إماماهم المقدمان و شيخاهم المعظمان اللذان هما أصلان للاعتزال و افتتحا للمعتقدين فيه الكلام و هما فخر الجماعة منهم و جمالهم الذين لا يعدلون به سواه واصل بن عطاء الغزال و عمرو بن عبيد بن باب المكارى إن أحد الفريقين ضال فى البصرة مضل فاسق خارج من الإيمان و الإسلام ملعون مستحق الخلود فى النار و الفريق الآخر هاد مهدي مصيب مستحق للشواب و الخلود فى الجنات غير أنهم زعموا أنه لا دليل على

الجميل ص : ٦١

تعيين الفريق الضال و لا برهان على المهتدى و لا بينة يتوصل بها إلى تمييز أحدهما من الآخر فى ذلك بحال من الأحوال و أنه لا يجوز أن يكون على بن أبى طالب و الحسن و الحسين ع و محمد بن على ع و عبد الله و قثم و الفضل و عبيد الله بنو العباس و عبد الله بن جعفر الطيار و عمار بن ياسر و خزيمه بن ثابت ذو الشهادتين و أبو أيوب الأنصارى و أبو الهيثم بن التيهان و كافة شيعة على ع و أتباعه من المهاجرين و الأنصار و أهل بدر و بيعة الرضوان و أهل الدين المتحيزين إليه و المتحققين بسمة الإسلام هم الفريق الضال و الفاسق الباغى الخارج عن الإيمان و الإسلام و العدو لله و البرىء من دينه و الملعون المستحق للخلود فى النار و تكون عائشة و طلحة و الزبير و الحكم بن أبى العاص و مروان ابنه و عبد الله بن أبى سرح و الوليد بن عقبة و عبد الله بن عامر بن كريز بن عبد شمس و من كان فى حيزهم من أهل البصرة هم الفريق المهدي الموفق إلى الله المصيب فى حربه المستحق للإعظام و الإجلال و الخلود فى الجنان قالوا جميعا نعم ما ننكر ذلك و لا نؤمن به إذ لا دليل يمنع من الحكم به على ما ذكرناه بحال و كما أن قولنا ذلك فى على ع و أصحابه فكذلك هو فى من حاربهم فإننا لسنا ننكر أنهم و أتباعهم على السوء و لسنا ننكر أن يكونوا هم

الفريق الضال الملعون العدو لله البرىء من دينه المستحق للخلود فى النار و أن يكون على ع و أصحابه هم الفريق الهادى المهتدى المتولى لله المجاهد فى سبيله المستحق بقتاله عائشة و طلحة و الزبير و قتل

الجمل ص : ٦٢

من قتل منهم الجنة و عظيم الثواب قالوا و منزلة الفريقين كمنزلة المتلاعنين فيهما فاسق لا يعلمه على التمييز له و التعيين إلا الله عز و جل. و هذه مقالة مشهورة عن هذين الرجلين قد سطرها الجاحظ عنهما فى كتابه الموسوم بفضيلة المعتزلة و حكاها أصحاب المقالات عنهما و لم تختلف العلماء فى المذاهب فى صحتها عن الرجلين المذكورين و أنهما خرجا من الدنيا على التدين بها و الاعتقاد لها بلا ارتياب. رأى أبى الهذيل العلاف. و حكى أحمد بن يحيى أن أبى الهذيل العلاف كان على هذا المذهب فى أمير المؤمنين ع و عائشة و طلحة و الزبير متبعا فيه إماميه المذكورين و لم يزل عليه إلى أن مات. رأى أبى بكر الأصبم. و قال شيخ المعتزلة أيضا و متكلمها فى الفقه و أحكام الشريعة على أصولها

الجمل ص : ٦٣

الأصبم المكنى بأبى بكر الملقب بخربان أنا أقف فى كل من الفريقين فلا أحكم له بهدى و لا ضلال و لا أقطع على أحدهما بشىء من ذلك فى التفصيل و لا الإجمال لكنى أقول إن كان على بن أبى طالب ع قصد بحرب عائشة و طلحة و الزبير كف الفساد و منع الفتنة فى الأرض و دفعهم عن التغلب على الإمرة و العدوان على العباد فإنه مصيب مأجور و إن كان أراد بذلك الجبرية و الاستبداد بالأمر بغير مشورة من العلماء و الإمرة على الناس بالقهر لهم على ذلك و الإضرار فهو ضال مضل من أهل النار قال و إنما قلت ذلك لخفاء الأمر على فيه و استتار النيات فى معناه و اشتباه أسباب الباطل فيه باستتار الحق عند العقلاء قال و كذلك قولى فى الفريق الآخر أقول إن عائشة و طلحة و الزبير إن كانوا قصدوا بقتالهم على بن أبى طالب و أصحابه منعهم من الاستبداد بالأمر من

دون رضا العلماء به و أرادوا الطلب بدم عثمان و الاقتصاص له من ظالميه برد الأمر شورى ليختار المسلمون من يرون فهم بذلك هداة أبرار مستحقون للثواب و إن كانوا أرادوا بذلك الدنيا و العصبية و الإفساد فى الأمر و تولى الأمر بغير رضا العلماء فهم بذلك ضلال مستحقون للعنة و الخلود فى النار غير أنه لا دليل لى على أغراضهم فيه و لا حجة تظهر فى معناه من أعمالهم فلذلك وقفت فيهم كما وقفت فى على و أصحابه كما بينت و إن كان طلحة و الزبير أحسن حالا من على فيما أتاه.

الجمل ص : ٦٤

رأى هشام الفوطى و عباد بن سليمان. و قال هشام الفوطى و صاحبه عباد بن سليمان الصيمرى و هذان الرجلان أيضا من أئمة المعتزلة إن عليا و طلحة و الزبير و عائشة فى جماعة من أتباع الفريقين كانوا على حق و هدى و صواب و كان الباكون من أصحابهم على ضلال و بوار و ذلك أن عائشة و طلحة و الزبير إنما خرجوا إلى البصرة لينظروا فى دم عثمان فيأخذوا بثأره من ظالميه و أرادوا بذلك الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و طلبوا به وجه الله تعالى و خرج على بن أبى طالب ليتفق معهم على رأى و التدبير فى مصالح الإسلام و أهله و كف السعى فى الفتنة و منع العامة مما ليس إليهم بل هو إلى وجوه العلماء و ليقع التراضى بينهم على إنصاف و اجتهاد فى طلب الحق و الاجتماع على رأى فلما تراءى الجمعان تسرع غوغاؤهم إلى القتال فانتشب الحرب بينهم على غير اختيار من القادة و الرؤساء و خرج الأمر عن أيديهم فى تلافى ذلك فكان من الإيقاع فى الفتنة و سفك الدماء ما لم يؤثره على و طلحة و الزبير و عائشة و وجوه أصحابهم من

الجمل ص : ٦٥

الفضلاء فهلك بذلك الأتباع و نجا الرؤساء. و هذا يشبه ما قدمنا حكايته عن بعض العامة من وجه و يخالفه من وجه آخر تميز به الرجلان من الكافة و دفعا فيه علم الاضطراب و جحد المعروف بالعيان. رأى سائر المعتزلة. و قال باقى المعتزلة كبشر بن

المعتمر و أبى موسى المردار و جعفر بن مبشر و الإسكافى و الخياط و الشحام و أبى مجالد و البلخى و الجبائى فيمن اتبعهم من أهل الاعتزال و جماعة الشيعة من الإمامية و الزيدية إن أمير المؤمنين ع كان

الجميل ص : ٦٦

محقا فى جميع حروبه مصيبا بقتال أهل البصرة و الشام و النهروان مأجورا على ذلك مؤديا فرض الله تعالى فى الجهاد و إن كل من خرج عليه و حاربه فى جميع المواطن ضلال عن الهدى مستحقون بحربه و الخلاف عليه النار غير أن من سميناه من المعتزلة خاصة استثنوا عائشة و طلحة و الزبير من الحكم باستحقاق العقاب و زعموا أنهم خرجوا من ذلك إلى استحقاق الثواب بالتوبة و الندم على ما فرط منهم فى القتال فحكموا بضد الظاهر من الفعال المعلوم منهم و المقال و ضعفوا فى دعواهم عما هو صناعتهم من الحجاج و أظنهم اتقوا به من العامة و تقربوا بإظهاره إلى أمراء الزمان إذ لا شبهة تعترض أمثالهم من العلماء بالأخبار و النظار المتميزين بالكلام من أهل التقليد فى فساد هذا الاعتقاد. و خالف من سميناه من المعتزلة فى هذا الباب الأصم خاصة فإنه زعم أن معاوية كان إماما محقا لإجماع الأمة عليه فيما قال بعد قتل أمير المؤمنين ع مع تظاهره بالشك منه فى إمامة أمير المؤمنين ع حسبما حكينا عنه فيما سلف قبل هذا المكان و كل من سميناه منهم سوى الأصم مع تصويبه أمير المؤمنين ع و تفسيق محاربيه يقطع على معاوية و عمرو بن العاص فى خلافهما أمير المؤمنين ع و استحلالهما حربه بالنار و أنهما خرجا من الدنيا

الجميل ص : ٦٧

على الفسق الموبق لصاحبه الموجب عليه دوام العقاب و أن جميع من مات على اعتقاد إمامة معاوية و تصويبه فى قتال أمير المؤمنين ع فهو عندهم ضال عن الهدى و خارج عن الإسلام مستحق للخلود فى النار. و قد وافق من سميناه من المعتزلة و كافة الشيعة الخوارج فى تخطئة معاوية و عمرو بن العاص و تضليلهما فى قتال أمير المؤمنين ع و

جماعة من المرجئة و أصحاب الحديث من المجبرة غير أن هذين الفريقين وقفا فى عذابهما و لم يقطعا

الجمل ص : ٦٨

على دخولهما النار و رجوا لهما و لمحاربى أمير المؤمنين ع من أصحابهما و غيرهم ممن ظاهره الإسلام العفو من الله تعالى و قولهم فى الخوارج كذلك مع حكمهم عليهم بالضلال

الجمل ص : ٦٩

رأى الخوارج

و قالت الخوارج بأجمعها إن أمير المؤمنين ع كان مصيبا فى قتال أهل البصرة و أهل الشام و أنهم كانوا بقتاله ضلالا كفارا مستحقين للخلود فى عذاب النار و ادعوا مع ذلك أنه أخطأ بكفه عن قتال أهل الشام حين رفعوا المصاحف و احتالوا بذلك للكف عن قتالهم و شهدوا على أنفسهم بالإثم لوفاقهم فى ذلك رأى و كفهم عن قتال البغاة إلا أنهم زعموا لما ندموا على ذلك و تابوا منه و دعوا إلى القتال خرجوا من عهدة الضلال و رجعوا إلى ما كانوا عليه من الإسلام و الإيمان و أن أمير المؤمنين ع لما لم يجبههم إلى القتال و أقام على المودعة لمعاوية و أهل الشام كان مرتدا بذلك عن الإسلام خارجا من الدين. و شبهتهم فى هذا الباب مضمحلة لا يلتبس فسادها على أهل الاعتبار و ذلك أن أمير المؤمنين ع إنما كف عن قتال القوم لخدلان أصحابه فى الحال و تركهم النصرة له و كفهم عن القتال فاضطروه بذلك إلى الإجابة لما دعوه إليه من تحكيم الكتاب و لم يجز له قتالهم من بعد لمكان العهد لهم فى مدة الهدنة التى اضطّر إليها للفساد فى نقض العهود و حظر ذلك فى كل ملّة و خاصة ملّة الإسلام

الجمل ص : ٧٠

رأى الشيعة

و أجمعت الشيعة على الحكم بكفر محاربى أمير المؤمنين ع و لكنهم لم يخرجوهم

بذلك عن حكم ملة الإسلام إذ كان كفرهم من طريق التأويل كفر ملة و لم يكن كفر ردة عن الشرع مع إقامتهم على الجملة منه و إظهار الشهادتين و الاعتصام بذلك عن كفر الردة المخرج عن الإسلام و إن كانوا بكفرهم خارجين عن الإيمان مستحقين به اللعنة و الخلود فى النار حسبما قدمناه و كل من قطع على ضلال محاربى أمير المؤمنين ع من المعتزلة فهو يحكم عليهم بالفسق و استحقاق الخلود فى النار و لا يطلق عليهم الكفر و لا يحكم عليهم بالإكفار و الخوارج تكفر أهل البصرة و الشام و تخرجهم بكفرهم الذى اعتقدوه فيهم و سموهم به عن ملة الإسلام و منهم من يسمهم بالشرك و يزيد على حكمه فيهم بالإكفار

الجميل ص : ٧١

فهذه جمل القول فيما اختلف فيه أهل القبلة من أحكام الفتنة بالبصرة و المقتولين بها ممن ذكرناه و أحكام صفين و النهروان و قد تحررت القول فيها بالمحفوظ عن أرباب المذاهب المشهور عنهم عند العلماء و إن كان بعضها قد انقرض معتقدوه و حصل على فساد القول به الإجماع و بعضها له معتقد قبل و لم ينقرضوا إلى هذا الزمان و ليس على فساده إجماع و إن كان فى بطلانه أدلة واضحة لمن تأملها من ذوى الأبواب و أنا بمشيئة الله و عونه أذكر طرفا من الاحتجاج على كل فريق منهم خالف الحق و أثبت من الأخبار الواردة فى صواب فعل أمير المؤمنين ع و حقه فى حروبه و أحكامه مختصرا يغنى عن الإطالة بما ينتشر به الكلام و أشفع ذلك بما يتلوه و يتصل به من ذكر أسباب الفتنة بالبصرة على ما ضمنت من ذلك فى أول الكتاب

الجميل ص : ٧٣

عصمة أمير المؤمنين ع

باب القول على صواب فعل أمير المؤمنين ع فى حروبه كلها و حقه فى جميع أقواله و أفعاله و التوفيق المقرون بآرائه و بطلان مقال من خالف ذلك من خصمائه و أعدائه

فمن ذلك وضوح الحجة على عصمته من الخطأ في الدين و الزلل فيه و العصمة له من ذلك يتوصل إليها بضربين أحدهما الاعتبار و الآخر الوثوق بما ورد من الأخبار. فأما طريق الاعتبار الموصول إلى عصمته ع فهو الدليل على إمامته و فرض طاعته على الأنام إذ الإمام لا بد من أن يكون معصوما كعصمة الأنبياء ع بأدلة كثيرة قد أثبتناها في مواضع من كتبنا المعروفة في الإمامة و الأجوبة عن المسائل الخاصة في هذا الباب. فمن ذلك أن الأئمة قدوة في الدين و أن معنى الائتنام هو الاقتداء و قد ثبت أن

الجميل ص : ٧٤

حقيقة الاقتداء هو الاتباع للمقتدى به فيما فعل و قال من حيث كان حجة فيه دون الاتباع لقيام الأدلة على صواب ما فعل و قال بسوى ذلك من الأشياء إذ لو كان الاقتداء هو الاتباع للمقتدى به من جهة حجة سواء على ذلك كان كل وفاق لذى نحلة في قول له أو فعل لا من جهة قوله و فعله بل لحجة سواء اقتداء به و ائتماما و ذلك باطل لوفاقنا الكفار من اليهود و النصارى و غيرهم من أهل الباطل و الضلال في بعض أقوالهم و أفعالهم من حيث قامت الأدلة على صواب ذلك فيهم لا من حيث ما رأوه و قالوه و فعلوه و ذلك باطل بلا ارتياب. و من ذلك أحد أسباب الحاجة إلى الأئمة هو جواز الغلط على الرعية و ارتفاع العصمة عنها ليكون من ورائها يسدد الغلط منها و يقومه عند الاعوجاج و ينبهه عند السهو منه و الإغفال و يتولى إقامة الحد عليه فيما جناه فلو لم تكن الأئمة المعصومون معصومين كما أثبتناه لشاركت الرعية فيما تحتاج إليه مما ذكرناه و كانت تحتاج إلى أئمة عليها و لا تستغنى عن رعاها لها و ساسة تكون من ورائها و ذلك باطل بالإجماع على أن الأئمة أغنياء عن إمام. و غير ما ذكرناه من الأدلة على عصمتها كثير و هو موجود في أماكنه من كتبنا على بيان اللوجوه و استقصاء فإذا ثبتت عصمة الأئمة ع حسبما وصفناه و أجمعت الأمة على أنه لو كان بعد النبي ص إماما على الفور تجب طاعته على الأنام و جب القطع على أنه أمير المؤمنين على بن أبي طالب ع دون غيره ممن ادعيت له الإمامة في تلك الحال للإجماع على أنه لم تكن

لواحد ممن ذكروه العصمة التي أوجبتها بالنظر الصحيح لأئمة الإسلام و إجماع
الشيعة

الجميل ص : ٧٥

الإمامية على أن على بن أبي طالب ع كان مخصوصا بها من بين الأنام إذ لو لم يكن
الأمر كذلك لخرج الحق عن إجماع أهل الصلاة و فسد ما فى العقول من وجوب
العصمة لأئمة المسلمين بما ذكرناه و إذا ثبت عصمة أمير المؤمنين ع من الخطأ و
وجب مشاركته للرسول فى معناه و مساواته فيها ثبت أنه كان مصيبا فى كل ما فعل و
قال و وجب القطع على خطأ مخالفه و ضلالهم فى حربه و استحقاقهم بذلك العقاب و
هذا بين لمن تدبره و الله موفق للصواب. و من ذلك ثبوت الحاجة إلى الإمامة باتفاق
و فساد ثبوت الإمامة من جهة الشورى و الآراء فإذا ثبت ذلك وجب النص على الأئمة و
فى وجوبه تثبت إمامة أمير المؤمنين ع إذ الأمر بين رجلين أحدهما يوجب الإمامة
بالنص و يقطع على إمامة أمير المؤمنين ع و من جهته دون ما سواها من الجهات و
الآخر يمنع من ذلك و يجوزها بالرأى و إذا فسد هذا الفريق لفساد ما ذهبوا إليه من عقد
الإمامة بالرأى و لم يصح خروج الحق عن أئمة الإسلام ثبت إمامة أمير المؤمنين ع. و
أما طريق الوثوق بالآثار فمما يدل على إمامته ع من نص القرآن قوله تعالى اسمه إنما
وَلِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
رَاكِعُونَ. و هذا خطاب متوجه إلى جماعة جعل الله لهم أولياء أضيفوا إليهم بالذكر و
الله وليهم و رسوله و من عبر عنه بأنه من الذين آمنوا و أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة و
هم راكعون يعنى حال ركوعهم بدلالة أنه لو أراد سبحانه بالخطاب جميع المكلفين

الجميل ص : ٧٦

لكان هو المضاف و محال إضافة الشيء إلى نفسه و إنما تصح إضافته إلى غيره و إذا
لم تكن طائفة تختص بكونها أولياء لغيرها و ليس لذلك الغير مثل ما اختصت به فى
الولاء و تفرد من جملتهم من عناء الله بالإيمان و الزكاة فى حال ركوعه لم يبق إلا ما

ذهبت إليه الشيعة من ولاية على أمير المؤمنين ع على الأمة من حيث الإمامة له عليها و
فرض الطاعة و لم يكن أحد يدعى له الزكاة في حال ركوعه إلا أمير المؤمنين ع فقد
ثبتت إمامته بذلك الترتيب الذي رتبناه و في ثبوت إمامته ثبوت ما قدمناه فصح أنه
مصيب في جميع أقواله و أفعاله و تخطئة مخالفه حسبما شرحناه. دليل آخر و من
الخبر ما أجمع عليه أهل القبلة و لم يتنازع في صحة الخبر به من أهل العلم بالرواية
و الآثار اثنان

و هو قول النبي ص أنت منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي
فأوجب له بذلك

الجميل ص : ٧٧

منه جميع ما كان لهارون من موسى في المنازل إلا ما استثناه من النبوة و في ذلك أن
الله تعالى قد فرض طاعته على أمة محمد ص كما كان فرض طاعة هارون على أمة موسى
و جعله إماما لهم كما كان هارون إماما لقوم موسى و أن هذه المنزلة واجبة له بعد مضي
النبي ص كما كانت تجب لهارون لو بقي بعد أخيه موسى و لم يجز خروجه عنها بحال و
في ذلك ثبوت إمامة أمير المؤمنين ع و الإمامة تدل على عصمة صاحبها كما بيناه فيما
سلف و وصفناه و العصمة تقضى فيمن وجبت له بالصواب في الأقوال و الأفعال على ما
أثبتناه فيما تقدم من الكلام و في ذلك بيان عن صواب أمير المؤمنين ع في حروبه كلها
و أفعاله بأجمعها و أقواله بأسرها و خطا مخالفه و ضلالهم عن هداه و قد أشبعنا
الماضي من كلامنا في ذلك بيانا له و المنه لله. و في هذه الأدلة لأهل الخلاف من
المعتزلة و الحشوية و الخوارج أسئلة قد أجبنا عنها في مواضعها من غير هذا الكتاب
و أسقطنا شبهاتهم بدليل البرهان و لم نوردنا هاهنا لغنانا عن ذلك بثبوتها فيما سواه
و إنما اقتصرنا على ذكر هذه الأدلة و وجوها و عدلنا عن إيراد ما في معناها و المتفرع
عليه لإثبات رسم الحجاج في صواب أمير المؤمنين ع و فساد مذهب الناكثين فيه و
الإيماء إلى أصول ذلك ليقف عليه من نظر في كتابنا هذا و يعلم العمدة بما فيه و

يستوفى معانيه فإن أحب ذلك يجده في مواضعه المختصة به لنا و لغيرنا من متكلمي
عصاة الحق و لأن الغرض من هذا الكتاب ما لا يفتقر إلى هذه الأدلة من براهين إصابة
أمير المؤمنين ع في

الجميل ص : ٧٨

حروبه و خطأ مخالفيه و محاربيه فإننا سنذكره فيما يلي هذا الفصل من الكلام و نوضح
الحجة فيه على أصول مخالفينا أيضا في طريق الإمامة و ثبوتها عندهم من جهة الآراء و
إنكارهم ما نذهب إليه من قصور طريقها على النص و التوفيق كما قدمناه و بيناه من
الغرض فيه و وصفناه

الجميل ص : ٧٩

الدليل على أن أمير المؤمنين ع كان مصيبا في حروبه كلها
و من الدليل على أن أمير المؤمنين ع كان مصيبا في حروبه كلها و أن مخالفيه في ذلك
على ضلال ما تظاهرت به الروايات عن النبي ص
من قوله حربك يا على حربى و سلمك يا على سلمى
و قوله ص يا على أنا حرب لمن حاربك و سلم لمن سالمك
و هذان القولان مرويان من طريقى العامة و الخاصة و المنتسبة من أصحاب الحديث
إلى السنة و المنتسبين منهم إلى الشيعة لم يعترض أحد من العلماء الطعن على
سندهما و لا ادعى إنسان من أهل المعرفة بالآثار كذب رواتهما و ما كان هذا سبيله
وجب تسليمه و العمل به إذ لو كان

الجميل ص : ٨٠

باطلا لما خلت الأمة من عالم منها ينكره و يكذب رواته و لا سلم من طعن فيه و لعرف
سبب تخرصه و افتعاله و لأقيم دليل الله سبحانه على بطلانه و فى سلامة هذين
الخبرين من جميع ما ذكرناه حجة واضحة على ثبوتهما حسبما بيناه. و من ذلك
الرواية المستفيضة عن النبي ص أنه قال لأمر المؤمنين ع تقاتل يا على على تأويل

القرآن كما قاتلت على تنزيله

و قوله لسهيل بن عمر و من حضر معه لخطابه على رد من أسلم من مواليهم لتنتهن يا
معشر قريش أو لبيعث الله عليكم رجلا يضربكم على تأويل القرآن كما ضربتكم على
تنزيله فقال له بعض أصحابه من هو يا رسول الله هو فلان قال لا قال ففلان قال لا و
لكنه خاصف النعل فى الحجرة

فنظروا فإذا على ع فى الحجرة يخصف نعل رسول الله ص. و من ذلك
قوله ص لأمير المؤمنين ع تقاتل بعدى الناكثين و القاسطين و المارقين
و القول فى هذه الرواية كالأخبار التى تقدمت قد سلمت من طاعن فى سندها بحجة و من
قيام دليل على بطلان ثبوتها و سلم لروايتها الفريقان فدل على صحتها.

الجملة ص : ٨١

و من ذلك

قوله ص على مع الحق و الحق مع على اللهم أدر الحق مع على حيثما دار
و هذا أيضا خبر قد رواه محدثو العامة و أثبتوه فى الصحيح عندهم و لم يعترض أحدهم
لتعليل سنده و لا أقدم منهم مقدم على تكذيب ناقله و ليس توجد حجة فى العقل و لا
السمع على فساده فوجب الاعتقاد بصحته و صوابه. و من ذلك

قوله ص اللهم وال من والاه و عاد من عاداه و انصر من نصره و اخذل من خذله
و هذا فى الرواية أشهر من أن يحتاج معه إلى جمع السند له و هو أيضا مسلم عند نقله
الأخبار

و قوله ص لعلى ع قاتل الله من قاتلك و عادى من عاداك
و الخبر بذلك مشهور و عند أهل الرواية معروف مذكور. و من ذلك
قوله ص من آذى عليا فقد آذانى و من آذانى فقد آذى

الجملة ص : ٨٢

الله تعالى

فحكم أن الأذى له ع أذى الله و الأذى لله جل اسمه هلاك مخرج عن الإيمان قال الله عز و جل إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا. و أمثال ما أثبتناه من هذه الأخبار فى معانيها الدالة على صواب أمير المؤمنين ع و خطأ مخالفه كثيرة إن عملنا على إيراد جميعها طال به الكتاب و انتشر به الخطاب و فيما أثبتناه منه للحق كفاية للغرض الذى نأمله إن شاء الله تعالى

الجمال ص : ٨٣

فصل الاعتراض بأن الدليل من الأخبار الآحاد و الجواب عنه
فإن قال قائل إن كنتم قد اعتمدتم على هذه الأخبار فى عصمة أمير المؤمنين ع و هى آحاد ليست من المتواتر الذى يمنع على قائله الافتعال فما الفصل بينكم و بين خصومكم فيما يتعلقون به من أمثالها عن النبى ص فى فضائل فلان و فلان و معاوية بن أبى سفيان. قيل له الأخبار التى يتعلق بها أهل الخلاف فى دعوى فضائل من سميت على ضربين. أحدهما لا تنكر صحته و إن كان خصومنا منفردين بنقله إذ ليس فىنا مشارك لهم فى شىء منه كما شاركنا الخصوم فى نقل ما أثبتناه من فضائل أمير المؤمنين ع إلا أنهم يغلطون فى دعوى التفضيل لهم به على ما يتخيلون فى معناه. و الآخر مقطوع بفساده عندنا بأدلة واضحة لا تخفى على أهل الاعتبار و ليست مما تساوى أخبارنا التى قدمناها لقطعنا على بطلان ما تفردوا به من ذلك و طعننا على رواتها و استدلالنا على فسادها و إجماع مخالفينا على رواية ما رويناها مما قد

الجمال ص : ٨٤

بيناه و تسليمه و تخليده صحفهم كما ذكرنا و عدولهم عن الطعن فى شىء منه حسبما وصفناه و ما كان هذا سبيله ليس يكون الأمر فيه كذلك إلا لاعتقاد القوم صحته و تسخيرهم لنقله و تسليمهم لرواته إذ كانت العادة جارية بأن كل شىء يتعلق به متعلق فى حجاج مخالفه و نصره مذهبه المتفرد به دون خصمه و كان فى الإقرار به شبهة على صحة مقالته المبينة لمقال مخالفه فإنه لا يخلو من دافع له و جاحد و طاعن فيما

يروم إبطاله إلا أن تميز الحجة في صوابه و أن يكون ملطوفا له في اعتقاده أو مسخرا للإقرار به حجة لله تعالى في صحته و دليلا على ثبوته و برهانا منه على نصرته و قوة المحتج به و تأييد الحق فيه بلطف من لطائفه. فإذا كان الأمر في هذا الباب على ما بيناه و ثبت تسليم الفريقين لأخبارنا مع اختلافهم في الاعتقاد على ما ذكرناه و صح الاختلاف بيننا و بين خصومنا في الاحتجاج بالأخبار و براهينها حسبما اعتمدناه سقط توهم المخالف لما تخيله من المساواة بين الأمرين و تظناه

الجملة ص : ٨٥

إنكار الخوارج و الأموية و العثمانية فضل أمير المؤمنين ع فإن عارضوا بالخوارج و قالوا هم يدفعون ما أثبتموه من الأخبار الدالة على عصمة أمير المؤمنين ع و ذكروا الأموية و ما يعرف من سلوكهم و ظاهر أمرهم في جحد ما رويناه و قالوا حكمكم في جحد أخبارنا حكمهم في جحد أخباركم سواء و إلا فما الفصل بين الأمرين فإنه يقال لهم الفصل بيننا و بين من عارضتم به من الخوارج في دفع النقل ظاهر لذوى الاعتبار و ذلك أن الخوارج ليسوا أهل النقل و الرواية و لا يعرفون بحفظ الآثار و لا الاعتماد على الأخبار لإكفارهم الأمة جميعا و اتهام كل فريق منهم فيما يروونه و اعتمادهم لذلك على ظاهر القرآن و إنكارهم ما خرج عن الكتاب من جميع الفرائض و الأحكام و من كان هذا طريقه و دينه و سبيله في اعتقاده و مذهبه في النقل و الأخبار لم يعتن بخلافه فيها على حال. فأما سبيل الأموية و طريق

العثمانية فسبب جحودهم لفضائل أمير المؤمنين

الجملة ص : ٨٦

ع معروف و هو الحرص على دولتهم و العصبية لملوكهم و جبابرتهم و هم كالخوارج في سقوط الاعتراض بهم فيما طريقه النقل و بعده عن علمهم و نبوهم عن فهمه و إطراحهم للعمل به و قد انقضوا مع ذلك بحمد الله و منه حتى لم يبق منهم أحد ينسب إلى فضل على حال و لا منهم من يذكر في جملة العلماء لخلافه في شيء من

أحكام الملة فسقط الاعتراض بهم كسقوط الاعتراض بالمارقة فيما تعتمد فيه على الأخبار مع أن الخوارج متى تعاطت الطعن في أخبارنا التي أثبتناها في الحجة على عصمة أمير المؤمنين ع فإنما يقطعونها بالطعن على روايتها في دينها المخالف لما تدين به من إكفار على بن أبي طالب ع و عثمان و طلحة و الزبير و عائشة ابنة أبي بكر و إكفار من تولى واحدا منهم أو اعتقد أنه من أهل الإسلام و ذلك طعن يعم جميع نقلة الدين من الملة فسقط لذلك قدحهم في الأخبار و ليس كذلك طعوننا في نقل ما تفردت به الناصبة في الحديث لأننا نطعن في روايته لكذبهم فيه و قيام الحجة على بطلان معانيه دون الطعن في عقائدهم و إن كانت عندنا فاسدة فوضح الفرق بيننا و بين من عارضنا من الخصوم برأيه في الأخبار على ما شرحناه

الجملة ص : ٨٧

باب آخر من القول في صواب أمير المؤمنين ع في حروبه و خطا مخالفه و ضلالهم عن الحق في الشك فيه

قد بينا أن الحكم على محاربي أمير المؤمنين ع بالضلال و القضاء له في حربه بالصواب إذا بنى القول فيه على إمامته المنصوصة و عصمته الواجبة له بما قدمناه ثبت القطع على حقه في كل ما فعل و قال و إذا صحت الأخبار التي ذكرناها فيما قبل هذا المكان و مضمونها من حكم النبي ص على محاربيه بالفسق المخرج عن الإيمان لم يكن طريق إلى الشك في صوابه و خطا مخالفه على ما بيناه و فيما أسلفناه في ذلك مقنع لذوى الألباب و غنى لهم في الحجة على خصومهم فيما سواه و نحن نبين القول في ذلك أيضا بعد الذي تقدم في معناه على مذهب خصومنا في الإمامة و ثبوت البعد لهم من ذوى الرأي حسب اختلافهم في عدد يتم به العقد و اجتماعهم على ما اتفقوا عليه في هذا الباب ليعلم الناظر في كتابنا هذا قوة الحق و تمكن ناصريه من الاحتجاج له و الله

الموفق للصواب

الجملة ص : ٨٩

فصل فى البيعة لأمر المؤمنين ع

قد ثبت بمتواتر الأخبار و متظاهر الأحاديث و الآثار أن أمير المؤمنين ع كان معتزلاً للفتنة بقتل عثمان و أنه بعد عن منزله فى المدينة لئلا تتطرق عليه الظنون برغبته فى البيعة للأمر على الناس و أن الصحابة لما كان من أمر عثمان ما كان التمسوه و بحثوا عن مكانه حتى وجدوه فصاروا إليه و سألوه القيام بأمر الأمة و شكوا إليه ما يخافونه من فساد الأمة فكره إجابتهم إلى ذلك على الفور و البدار لما علمه من عاقبة الأمور و إقدام القوم على الخلاف عليه و المظاهرة له بالعداوة و الشنآن فلم يمنعهم إباؤه من الإجابة عن الإلحاح فيما دعوه إليه و أذكروه

الجمال ص : ٩٠

بالله عز و جل و قالوا له إنه لا يصلح للإمامة بالمسلمين سواك و لا نجد أحدا يقوم بهذا الأمر غيرك فاتق الله فى الدين و كافة المسلمين. فامتنعهم عند ذلك بذكر من نكث بيعته بعد أن أعطاهما بيده على الإيثار و أوماً لهم إلى مبايعة أحد الرجلين و ضمن النصرة لهما متى أرادا لإصلاح الدين و حياطة الإسلام فأبى القوم عليه تأمير من سواه و البيعة لمن عداه و بلغ ذلك طلحة و الزبير فصارا إليه راغبين فى بيعته منتظرين للرضا بتقدمه فيهما و إمامته عليهما فامتنع الاستظهار فألحا عليه فى قبول بيعتهما له و اتفقت الجماعة كلها على الرضا به و ترك العدول عنه إلى سواه و قالوا إن لم تجبنا إلى ما دعوناك إليه من تقليد الأمر و قبول البيعة انفتق فى الإسلام ما لا يمكن رتقه و انصدع فى الدين ما لا يستطيع شعبه فلما سمع ذلك منهم بعد الذى ذكرناه من الإباء عليهم و الامتناع لتأكيد الحجة لنفسه بسط ع يده لبيعتهما فتداكوا عليه تداك الإبل على حياضها يوم ورودها حتى شقوا أعطافه و وطئوا ابنيه الحسن و الحسين ع بأرجلهم لشدة ازدحامهم عليه و حرصهم على البيعة له و الصفقة بها على يده رغبة بتقديمه على كافتهم و توليته أمر جماعتهم لا يجدون عنه معدلاً و لا يخطر ببالهم سواه لهم مؤثلاً فتمت بيعته بالمهاجرين و البدرين و الأنصار و العقبيين المجاهدين

فى الدين و السابقين إلى الإسلام من المؤمنين و أهل البلاء الحسن مع النبى ص

الجمال ص : ٩١

من الخير البررة الصالحين و لم تكن بيعته ع مقصورة على واحد و اثنين و ثلاثة و نحوها فى العدد كما كانت بيعه أبى بكر مقصورة على بعض أصحابه على بشير بن سعد فتمت بها عنده ثم اتبعه عليها من تابعه من الناس و قال بعضهم بل تمت ببشير بن سعد و عمر بن الخطاب و قال آخرون منهم بل تمت بالرجلين المذكورين و أبى عبيدة بن الجراح و سالم مولى أبى حذيفة و اعتمدوا فى ذلك على أن البيعة للإمام لا تتم بأقل من أربعة نفر من المسلمين و قال بعضهم بل تمت بخمسة نفر بشير بن سعد و أسيد بن خضير من الأنصار و عمر و أبو عبيدة و سالم من المهاجرين ثم بايعه الناس بعد تمامها بالخمسة المذكورين و ممن ذهب إلى هذا المذهب الجبائى و ابنه و البقية من أصحابهما فى هذا الزمان. و قالوا فى بيعه عمر بن الخطاب مثل ذلك فزعم من يذهب إلى أن البيعة تتم بواحد من الناس و هم جماعة من المتكلمين منهم الخياط و البلخى و أبو مجالد و من ذهب مذهبه من أصحاب الاختيار أن الإمامة تمت لعمر بأبى بكر وحده و بعقده له إياه دون من سواه. و كذلك قالوا فى عثمان بن عفان و العقد له إنه تم بعبد الرحمن بن عوف خاصة و خالفهم على ذلك من أضاف إلى المذكورين غيرهم فى العقد فزعم أن بيعه عمر انفردت من الاختيار له عن الإمام و عثمان إنما تم له الأمر ببيعة بقية أهل الشورى

الجمال ص : ٩٢

و هم خمسة نفر أحدهم عبد الرحمن فاعترفت الجماعة من مخالفينا بما هو حجة عليهم فى الاختلاف على أئمتهم و بشذوذ العقدين لهم و انحصار عددهم بمن ذكرناه. و ثبتت البيعة لأمر المؤمنين ع بإجماع من حوته مدينة الرسول من المهاجرين و الأنصار و أهل بيعه الرضوان و من انضاف إليهم من أهل مصر و العراق فى تلك الحال من الصحابة و التابعين لهم بإحسان و لم يدع أحد من الناس أنها تمت له بواحد مذكور و

لا إنسان مشهور و لا بعدد محصور فيقال تمت بيعته بفلان واحد أو فلان و فلان كما قيل في بيعه أبي بكر و عمر و عثمان. وجوب طاعة أمير المؤمنين ع. و إذا ثبت بالإجماع من وجوه المسلمين و أفاضل المؤمنين و الأنصار و المهاجرين العقد على إمامة أمير المؤمنين ع و البيعة له على الطوع و الإيثار و كان العقد على الوجه الذى ثبتت به إمامة الثلاثة قبله عند الخصوم بالاختيار و على أوكد منه بما ذكرناه فى الرغبة إليه فى ذلك من الإجماع عليه ممن سميناه من المهاجرين و الأنصار و التابعين بإحسان حسبما بيناه ثبت فرض طاعته و حرم على كل واحد من الخلق التعرض لخلافه و معصيته و وضع الحق فى الحكم على مخالفه و محاربه بالضلال عن هدايته و القضاء بباطل مخالفته أمره و فسقهم بالخروج عن طاعته لما أوجب الله تعالى من طاعة أولياء أمره فى محكم كتابه حيث يقول يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا

الجملة ص : ٩٣

اللَّهُ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فقرن طاعة الأئمة بطاعته و دل على أن المعصية لهم كمعصيته على حد سواء فى حكمه و قضيته و أجمع أهل القبلة مع من ذكرناه على فسق محاربه أئمة العدل و فجورهم بما يرتكبونه بحكم السمع و العقل. و إذا لم يكن أمير المؤمنين ع أحدث بعد البيعة العامة له ما يخرج به عن العدالة و لا كان قبلها على ظاهر خيانة فى الدين و لا خرج عن الإمامة كان المارق عن طاعته ضالا فكيف إذا أضاف إلى ذلك حربا له و استحلالا لدمه و دماء المسلمين معه و يبغي بذلك فى الأرض فسادا يوجب عليه التنكيل بأنواع العقاب المذكور فى نص الكتاب من قوله تعالى إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ. و هذا بين لمن لم يحجب عنه الهوى و يصد عن فهمه العمى و الله ولى التوفيق

الجملة ص : ٩٤

فصل فى المتخلفين عن أمير المؤمنين ع

فإن قال قائل كيف يتم لكم دعوى الإجماع على بيعه أمير المؤمنين ع و قد علمتم أن الأخبار قد ثبتت بتخلف سعد بن أبي وقاص و عبد الله بن عمر بن الخطاب و أسامة بن زيد و محمد بن مسلمة و مظاهرتهم له بالخلاف فيما رآه من القتال. قيل له أما تأخر من سميت عن الخروج مع أمير المؤمنين ع إلى البصرة فمشهور و رأيهم فى القعود عن القتال معه ظاهر معروف و ليس ذلك بمناف لبيعتهم له على الإيثار و لا مضاد للتسليم لإمامته على الاختيار و الذى ادعى عليه الامتناع فى البيعة أشكل عليه الأمر فظن أنهم لو تأخروا عن نصرته لكان ذلك منهم لامتناعهم عن بيعته و ليس الأمر كما توهم لأنه قد يعرض للإنسان شك فيمن يثقن سلطانه فى صوابه و لا يرى السلطان حمله على ما هو شاك فيه لضرب من رأى يقتضيه الحال فى صواب التدبير و قد يعتقد الإنسان أيضا صواب غيره فى شىء و يحمله الهوى على خلافه فتظهر فيما صار إليه من ذلك شبهة تعذره عند كثير من الناس فى فعالة و ليس كل من اعتقد طاعة إمامه كان مضطرا إلى وفاقه بل قد يجتمع الاعتقاد لحق

الجمال ص : ٩٥

الرئيس المقدم فى الدين مع العصيان له فى بعض أوامره و نواهيه و لو لا أن ذلك كذلك لما عصى الله تعالى من يعرفه و لا خالف نبيه من يؤمن به و ليس هذا من مذهب خصومنا فى الإمامة فتوضح عنه بما يكسر شبهة مدعية على أن الأخبار قد وردت بإذعان القوم بالبيعة مع إقامتهم على ترك المساعدة و النصره و تضمنت عذرا لهم زعموا فى ذلك و جاءت بما كان من أمير المؤمنين ع فيما أظهره من إنكاره له بحسب ما اقتضته الحال فى مثله من الخطأ فيما ارتكبه. فروى أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي فى كتابه الذى صنفه فى حرب البصرة عن أصحابه و روى غيره من أمثاله من الرواة للسير عن سلفهم و أصحابهم أن أمير المؤمنين ع لما هم بالمسير إلى البصرة بلغه عن سعد بن أبي وقاص و ابن مسلمة و أسامة بن زيد و ابن عمر تناقل عنه فبعث إليهم فلما حضروا قال لهم قد بلغنى عنكم هنات كرهتها و أنا لا أكرهكم على المسير معى أ لستم

على بيعتي قالوا بلى قال فما الذى يقعدكم عن صحبتى فقال له سعد إنى أكره الخروج
فى هذا الحرب لئلا أصيب مؤمنا فإن أعطيتنى سيفاً يعرف المؤمن من الكافر قاتلت معك
و قال له أسامة أنت أعز الخلق على و لكنى عاهدت الله أن لا أقاتل أهل لا إله إلا الله
و كان أسامة قد أهوى برمحه فى عهد رسول الله ص إلى رجل فى الحرب من المشركين
فخافه الرجل فقال لا إله إلا الله فشجره

الجميل ص : ٩٦

بالرمح فقتله و بلغ النبى ص خبره فقال يا أسامة أقتلت رجلاً يشهد أن لا إله إلا الله
فقال يا رسول الله إنما قالها تعوذاً فقال ص له أ لا شقت قلبه فزعم أسامة أن النبى ص
أمره أن يقاتل بالسيف ما قاتل المشركين فإذا قاتل المسلمين ضرب بسيفه الحجر
فكسره و قال عبد الله بن عمر لست أعرف فى هذا الحرب شيئاً أسألك ألا تحملنى على
ما لا أعرف فقال لهم أمير المؤمنين ع ليس كل مفتون معاتب أ لستم على بيعتى قالوا
بلى قال انصرفوا فسيغنى الله تعالى عنكم. فقد اعترفوا له ع بالبيعة و أقاموا فى
تأخرهم عنه معاذير لم يقبلها منهم و أخبر أنهم بترك الجهاد معه مفتونون و لم ير
الإنكار عليهم فى الحال بأكثر مما أبداه من ذكر زللهم عن الصواب فى خلافه و الشهادة
بفنتهم بترك وفاقهم له لأن الدلائل الظاهرة على حقه تغنى عن حاجتهم بالكلام و
معرفة بباطن أمرهم الذى أظهروا خلافه فى الاعتذار يسقط عنه فرض التنبيه الذى
يحتاج إليه أهل الرقدة عن البيان و قد قال الله تعالى فى تأكيد ما ذكرناه و حجة على
من وصفناه بَلِ الْإِنْسَانُ

الجميل ص : ٩٧

عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ

كلام بعض العلماء فى ذكر أسباب تخلف القوم. و قد ذكر بعض العلماء أن أسباب القوم
فى تأخرهم عن نصره أمير المؤمنين ع بعد البيعة له معروفة و أن الذى أظهروه من
الأعذار فى خلافه خداع منهم و تمويه و ستر على أنفسهم مما استبطنوه منه خوفاً من

الفضيحة فيه فقال أما سعد بن مالك فسبب قعوده عن نصره أمير المؤمنين ع الحسد له و الطمع الذى كان منه فى مقامه الذى يرجوه فلما خاب من أمله حمله الحسد على خذلانه و المباينة له فى رأى قال و الذى أفسد سعدا و أطمعه فيما ليس له بأهل و جرأه على مسامات أمير المؤمنين ع عمر بن الخطاب بإدخاله إياه فى الشورى و تأهيله إياه للخلافة و إيهامه لذلك أنه محل للإمامة فأقدم عليه و أفسد حاله فى الدنيا و الدين حتى خرج منها صفرا مما كان يرتجيه. و أما أسامة بن زيد فإن النبى ص كان ولاه فى مرضه الذى توفى فيه على أبى بكر و عمر و عثمان فلما مضى رسول الله ص لسبيله انصرف القوم عن معسكره و خدعوه بتسميته مدء حياتهم له بالإمرة مع

الجمال ص : ٩٨

تقدمهم عليه بالخلافة و صانعوه بذلك بما خالفوه فيه من السمع له و المسير معه و الطاعة و اغتر بخداهم و تقبل منهم مصانعتهم و كان يعلم أن أمير المؤمنين ع لا يسمح له بالخداع و لا يصانعه مصانعة القوم و يحذفه من التسمية التى جعلوها له و لا يرفعه عن منزلته و يسير به سيرته فى عبيده و موالى نعمته إذ كان ولاؤه بالعتق الذى كان من إنزاعه النبى ص لأبيه بعد استرقاقه فصار كذلك بعد النبى ص غير أنه منه فى الولاء فكره الانحطاط عن رتبته التى رتبها القوم فيه و لم يجد إلى التخلص من ذلك إلا كفر النعمة و المباينة لسيده و الخلاف لمولاه فحمل نفسه على ذلك لما ذكرناه. و أما محمد بن مسلمة فإنه كان صديق عثمان بن عفان و خاصته و بطانته فحملته العصبية له على معاونه الطالبين بثأره و كره أن يتظاهر بالكون فى حيز المحاربين لهم المباينين طريقهم و لم ير بمقتضى الحال و لا شيعه وريده معاونه أعدائه و لا سمحت نفسه بذلك فأظهر من العذر بتأخره عن نصره أمير المؤمنين ع بخلاف باطنه منه مماكرة و سترا للقبیح من سريرته. و أما عبد الله بن عمر فإنه كان ضعيف العقل كثير الجهل ماقتا لأمر المؤمنين وراثه الخلف عن السلف ما يرثونه من المودة و العداوة و كان أمير المؤمنين ع قد أشجاه مع ذلك بهدر دم أخيه عبيد الله

لقتله الهرمزان و أجلاه عن المدينة و شرده عن البلاد لا يأمن على نفسه من الظفر به
فيسقط قودا فلم تسمح نفسه

الجميل ص : ٩٩

بطاعة أمير المؤمنين ع و لا أمكنه المقت من الانقياد له لنصرته و تجاهل بما أبداه من
الحيرة في قتال البغاة و الشك في سبب ذلك و حجته. و روى هذا الكلام بعينه عن أمير
المؤمنين ع في أسباب تأخر القوم عنه فإن صحت الرواية بذلك فهو أوكد لحجته و إن
لم تثبت كفى في برهانه أن قائله من أهل العلم له صحة فكر و صفاء فطنة. على أنا لو
سلمنا لخصومنا ما ادعوه من امتناع سعد و ابن مسلمة و أسامة و ابن عمر من بيعه أمير
المؤمنين ع و كراحتهم لها و اعتزالهم إياها و أضفنا إليهم في ذلك أمثالهم ممن ظاهره
بالعداوة كزيد بن ثابت و حسان بن ثابت و مروان بن الحكم بن أبي العاص و عبد الله
بن الزبير و ولد عثمان بن عفان و جماعة ممن كان معهم في الدار يوم الحصار و سفهاء
بنى أمية المعروفين بمقت بنى هاشم و عداوتهم و المباينة لهم في الجاهلية و الإسلام
بالخلاف لما قدح فيما اعتمدنا من دليل إمامته ع الذي بنينا القول فيه على مذاهب
الخصوم من الحشوية و المرجئة و الخوارج و أهل الاعتزال و قاعدتهم في ثبوت
البيعة بالاختيار من أهل الرأي إذ كنا لم نقل في ذلك بإجماع كافة أهل الإسلام و إنما
اعتمدنا ما يثبت عند العقل على أمور القوم في بيعه أهل الفضل منهم و الاجتهاد و
استظهرنا في التأكيد لذلك بذكر إجماع المهاجرين الأولين و عيون الأنصار و فضلاء
المسلمين ممن حوته المدينة يومئذ

الجميل ص : ١٠٠

و التابعين بإحسان و الخيرة الصالحين من أهل الحجاز و العراق و مصر و غيرها من
البلاد الذين كانوا حاضرين بالمدينة يومئذ لأنهم كانوا بأجمعهم سوى من يعتصم
بخلافه الخصوم و محصور عددهم لقلتهم رضوا بإمامة أمير المؤمنين ع و رغبوا إليه
في تولى الأمر و سألوه و رأوا أن لا يستحق لها سواه و تابعوه على الطوع منهم و

الإيثار و بذلوا نفوسهم من بعد البيعة له فى الجهاد و اعتقدوا أن التأخر عن طاعته فى قتال أعدائه ضلال موبق و فسق مخرج عن الإيمان. و البيعة عند مخالفتنا تتم ببعض من ذكرناه إذ كانوا خمسة نفر على قول فريق منهم أو أربعة على قول آخرين أو اثنين على مذهب فريق آخر بل تتم عند أكثرهم بواحد حسبما قدمناه فكيف يخل مع ذلك بدليلنا الذى ذكرناه فى إمامته ع خلاف النفر الذين تعلق بذكرهم فى القعود عن القتال من تعلق أو بما ظهر بعد البيعة من خلاف مرتكبها و مباينة معاوية بن أبى سفيان و عمرو بن العاص بعد الذى كان من مراسلتهم أمير المؤمنين ع بالبيعة و الطاعة بشرط إقرارهما على ما ولاهما عليه عثمان من الأعمال فلما أبى ذلك خوفا من الله تعالى و تقوى تظاهرا بالخلاف لو لا أن خصومنا جهال أغمار لا معرفة لهم بوجوه النظر و لا علم لهم بالأخبار الجمل ص : ١٠١

باب ذكر جماعة ممن بايع أمير المؤمنين ع

و نحن نذكر الآن من جملة مبايعي أمير المؤمنين ع الراضين بإمامته الباذلين أنفسهم فى طاعته بعد الذى أجملناه من الخبر عنهم حتى يعرف المنصف بوقوفه على أسمائهم تحقيق ما وصفناه من غايتهم فى الدين و تقدمهم فى الإسلام و مكانهم من نبى الهدى ص و أن الواحد منهم لو تولى العقد لإمام لانعقد الأمر به خاصة عند خصومنا فضلا عن جماعتهم و على مذهبهم فيما يدعونه من ثبوت الإمامة بالاختيار و آراء الرجال و تضمحل بذلك عنده شبهات الأموية فيما راموه من القدح فى دليلنا بما ذكروه من خلاف من سموه حسبما قدمناه. فممن بايع أمير المؤمنين ع بغير ارتياب و دان بإمامته على الإجماع و الاتفاق و اعتقد فرض طاعته و التحريم لخلافه و معصيته الحاضرون معه فى حرب البصرة و هم ألف و خمسمائة رجل من وجوه المهاجرين الأولين السابقين إلى الإسلام و الأنصار البدرين العقبيين و أهل بيعة الرضوان من جملتهم سبعمائة من المهاجرين و ثمانمائة من الأنصار سوى أبنائهم و حلفائهم و مواليتهم و غيرهم من بطون العرب و التابعين بإحسان على ما جاء به الثبت من الأخبار

الجميل ص : ١٠٢

بيعة المهاجرين

فمن جملة المهاجرين. ١- عمار بن ياسر رضى الله عنه صاحب رسول الله ص و وليه و
أخص الأصحاب كان به و الثقة قبل البعثة و بعدها و أنصر الناس له و أشدهم جهادا فى
طاعته المعذب فى الله تعالى اسمه أبوه و أمه فى أول الإسلام الذى لم يكن لأحد من
الصحابة فى المحنة ما كان له و لا نال أحد منهم فى الدين من المكروه و الصبر على
الإسلام كما ناله لم تأخذه فى الله لومة لائم و المقيم مع شدة البلاء على الإيمان
الذى اختص من رسول الله ص بمدائح لم يسبقه فيها سواه من صحابته كلها مع شهادته
له بالجنة مع القطع و البيان لإنذار من قتله و التبشير لقاتله بالنار على ما اتفق عليه
أهل النقل من حملة الآثار. فمن ذلك

قول رسول الله ص إن الجنة لتشتاق إلى عمار و أنها إليه أشوق منه إليها

الجميل ص : ١٠٣

و قوله ص بشروا قاتل عمار و سالبه بالنار

و قوله ص عمار جلدة بين عيني و أنفى

و قوله ص لا تؤذونى فى عمار

و قوله ص عمار ملئ إيمانا و علما

فى أمثال ذلك من المدائح و التعظيمات التى اختص بها على ما ذكرناه. ٢- ثم الحصين

بن الحارث بن عبد المطلب. ٣- و الطفيل بن الحارث المهاجران البدرين. ٤- و

مسطح بن أثاثه. ٥- و جهجاح بن سعيد الغفارى. ٦- و عبد الرحمن بن حنبل

الجمحى. ٧- و عبد الله. ٨- و محمد ابنا بديل الخزاعى. ٩- و الحارث بن عوف أبو

واقد الليثى.

الجميل ص : ١٠٤

١٠- و البراء بن عازب. ١١- و زيد بن صوحان. ١٢- و يزيد بن نويرة الذى شهد له

رسول الله ص بالجنة. ١٣- و هاشم بن عتبة المرقال. ١٤- و بريدة الأسلمي. ١٥- و عمرو بن الحمق الخزاعي و هجرته إلى الله و رسوله معروفة و مكانه منه ص مشهور و مدحه ص له مذكور. ١٦- و الحارث بن سراقه. ١٧- و أبو أسيد بن ربيعة. ١٨- و مسعود بن أبي عمر. ١٩- و عبد الله بن عقيل. ٢٠- و عمرو بن محسن. ٢١- و عدى بن حاتم. ٢٢- و عقبه بن عامر. و من فى عدادهم ممن أدرك عصر النبى ص. ٢٣- كحجر بن عدى الكندى. ٢٤- و شداد بن أوس. فى نظرائهما من الأصحاب و أمثال من تقدم ذكره من المهاجرين على طبقاتهم فى التقى و مراتبهم فى الدين ممن يطول بتعداد ذكره الكلام فيه

الجميل ص : ١٠٥

بيعة الأنصار

و من الأنصار. ١- أبو أيوب خالد بن زيد صاحب رسول الله ص. ٢- و خزيمه بن ثابت ذو الشهادتين. ٣- و أبو الهيثم بن التيهان. ٤- و أبو سعيد الخدرى. ٥- و عبادة بن الصامت. ٦- و سهل. ٧- و عثمان ابنا حنيف. ٨- و أبو عياش الزرقى فارس رسول الله ص يوم أحد. ٩- و زيد بن أرقم. ١٠- و سعيد. ١١- و قيس ابنا سعد بن عبادة. ١٢- و جابر بن عبد الله بن حزام. ١٣- و مسعود بن أسلم. ١٤- و عامر بن أجبل. ١٥- و سهل بن سعيد. ١٦- و النعمان بن عجلان.

الجميل ص : ١٠٦

١٧- و سعد بن زياد. ١٨- و رفاعه بن سعد. ١٩- و مخلد. ٢٠- و خالد ابنا أبى خالد. ٢١- و ضرار بن الصامت. ٢٢- و مسعود بن قيس. ٢٣- و عمرو بن بلال. ٢٤- و عماره بن أوس. ٢٥- و مرة الساعدى. ٢٦- و رفاعه بن رافع بن مالك الزرقى. ٢٧- و جبلة بن عمرو الساعدى. ٢٨- و عمرو بن حزم. ٢٩- و سهل بن سعد الساعدى. فى أمثالهم من الأنصار الذين بايعوا البيعتين و صلوا القبليتين و اختصوا من مدائح القرآن و الثناء عليهم من نبى الهدى ع بما لم يختلف فيه من أهل العلم اثنان و ممن لو أثبتنا

أسماءهم لطلال بها الكتاب و لم يحتمل استيفاء العدد الذى حددناه

الجميل ص : ١٠٧

بيعة بنى هاشم

و من بنى هاشم أهل بيت النبوة و معدن الرسالة و مهبط الوحي و مختلف الملائكة ع.
١- الحسن. ٢- و الحسين سبطا نبى الرحمة ص و سيدا شباب أهل الجنة ع. ٣- و
محمد بن الحنفية. ٤- و عبد الله بن جعفر. ٥- و محمد. ٦- و عون أخواه. ٧- و عبد
الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ص. ٨- و الفضل. ٩- و قثم. ١٠- و
عبيد الله إخوته. ١١- و عتبة بن أبى لهب. ١٢- و عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب.
١٣- و عبد الله بن أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب. و كافة بنى هاشم و بنى عبد

المطلب

الجميل ص : ١٠٨

بيعة سائر الشيعة

و من يلحق بهم فى الذكر من أوليائهم و عليه شيعتهم و أهل الفضل فى الدين و
الإيمان و العلم و الفقه و القرآن المنقطعين إلى الله تعالى بالعبادة و الجهاد و
التمسك بحقائق الإيمان. ١- محمد بن أبى بكر ربيب أمير المؤمنين ع و حبيبه. ٢- و
محمد بن أبى حذيفة وليه و خاصته المستشهد فى طاعته. ٣- و مالك بن الحارث
الأشتر النخعى سيفه المخلص فى ولايته. ٤- و ثابت بن قيس النخعى. ٥- و كميل بن
زياد. ٦- و صعصعة بن صوحان العبدى. ٧- و عمرو بن زرارة النخعى. ٨- و عبد الله
بن الأرقم. ٩- و زيد بن الملق. ١٠- و سليمان بن صرد الخزاعى. ١١- و قبيصة بن
جابر. ١٢- و عبد الله.

الجميل ص : ١٠٩

١٣- و محمد ابنا بديل الخزاعى. ١٤- و عبد الرحمن بن عديس البلوى. ١٥- و أويس
القرنى. ١٦- و هند الجملى. ١٧- و جندب الأزدى. ١٨- و الأشعث بن سوار. ١٩- و

حكيم بن جبلة. ٢٠- و رشيد الهجرى. ٢١- و معقل بن قيس بن حنظلة. ٢٢- و سويد بن الحارث. ٢٣- و سعد بن مبشر. ٢٤- و عبد الله بن وال. ٢٥- و مالك بن ضمرة. ٢٦- و الحارث الهمداني. ٢٧- و حبة بن جوين العرنى. ممن كانوا بالمدينة عند قتل عثمان و أطبقوا على الرضا بأمر المؤمنين ع فبايعوه على حرب من حارب و سلم من سالم و أن لا يولوا فى نصرته الأدبار فحضروا معه فى مشاهدته كلها لا يتأخر عنه منهم أحد حتى مضى الشهيد منهم على نصرته و بقى المتأخر منهم على حجته حتى مضى أمير المؤمنين ع لسبيله و كان من بقى منهم بعده على ولايته و الاعتقاد لفضله على الكافة و إمامته و إذا كان الأمر فى بيعته حسب ما ذكرناه و الإجماع ممن سميناه و نعتناه على الرضا به و الطاعة له و الاعتقاد

الجميل ص : ١١٠

كما وصفناه بطل اعتراض المعترض فى ثبوت إمامته بتأخر من سميناه من البيعة و تفردهم عن الحرب معه و وضح بحصر عددهم أن الإجماع كان من كافة أهل الهجرة عليه إذ لو كان هناك سوى نفر المعدودين فى خلاف أمير المؤمنين ع لشركهم فى رأى و ذكرهم الناس فى جملتهم و أحصوهم فى عددهم و ألحقوهم بهم فيما انفردوا به من جماعتهم و لم يكن لغيرهم ذكر فى ذلك فصح ما حكمنا به من اتفاق المهاجرين و الأنصار و أهل بدر و أهل بيعة الرضوان و التابعين بإحسان على إمامته ع كما قدمناه فيما سلف و ذكرناه و المنه لله

الجميل ص : ١١١

فصل فى نفى الإجماع على البيعة

فإن قال قائل قد وجدتم فيما احتججتم به على مخالفيكم فى إمامة أمير المؤمنين ع و ثبوتها الموجب لضلال مخالفيه و خروجهم بحربه عن الإيمان بعقد الصحابة له على الاختيار و رغبتهم إليه فى توليه أمورهم و مسألتهم إياه ذلك و إباته عليهم حتى اجتمع المسلمون و إلحاح من بايعه طوعا من المهاجرين و الأنصار و قد جاءت

الأخبار بصد ذلك و أنه كان قاهرا للأمم مجبرا لها على البيعة مكرها في ذلك الناس
فروى الواقدي عن هاشم بن عاصم عن المنذر بن الجهم قال سألت عبد الله بن ثعلبة
كيف كانت بيعة علي ع قال رأيت بيعة رأسها الأشر يقول من لم يبايع ضربت عنقه و
حكيم بن جبلة و ذووهما فما ظنك بما يكون أجبر فيه جبرا ثم قال أشهد لرأيت الناس
يحشرون إلى بيعته فيتفرقون فيؤتى بهم فيضربون و يعسفون فبايع من بايع و انفلت
من انفلت و روى أيضا عن

الجميل ص : ١١٢

سعيد بن المسيب قال لقيت سعيد بن زيد بن نفيل فقلت بايعت قال ما أصنع إن لم
أفعل قتلني الأشر و ذووه قال و قد عرف الناس أن طلحة و الزبير كانا يقولان بايعنا
مكرهين و روى عنهما أنهما قالوا بايعناه بأيدينا و لم تبايعه قلوبنا. و الخبر مشهور عن
طلحة بن عبيد الله أنه كان يقول بايعت و اللج على رقبتى قال و إذا كانت البيعة لعل
ع قهرا و إضرارا و إكراها للناس و إجبارا لم تثبت إمامته و لم تثبت بيعته كأبي بكر و
عمر و عثمان. فيقال للمعتز لما حكيناه و المائل عما ذكرناه أما الواقدي فعثمانى
المذهب معروف بالميل عن علي أمير المؤمنين ع و الذى روى عنه ما روى من إكراه
الناس على البيعة لأمر المؤمنين فبالزور له و التخرص عليه بإضافة الأباطيل إليه و
قد ثبت أن شهادة المشاجر مردودة بالإجماع و حديث الخصم فيما قدح به من عدالة
خصمه مطروح بالاتفاق و قول المتهم الظنين غير مقبول بلا اختلاف فلا حجة في
الحديث المذكور عن ابن ثعلبة و لو سلم من جميع ما وصفناه من الطعون فيه فإنه خبر
واحد يضاد المتواتر الوارد بخلاف معناه فكيف و هو من الوهن على ما بيناه. و أما خبر
ابن المسيب عن سعيد بن زيد بن نفيل فقد صرح فيه بإقرار سعيد بالبيعة و دعواهم
أنه بايع خوفا من الأشر باطلا إذ كان ظاهره بخلاف ما ادعاه فيه و ليس كل من خاف
شيئا فقد وقع خوفه موقعه بل أكثر من يخاف متوهم للبعد

الجميل ص : ١١٣

ظان للباطل متخيل للفساد و لم يذكر سعيد شيئا من أمارات خوفه فتكون له حجة
فيما ادعاه و لم يقل أحد إن الأشر و لا غيره من شيعة أمير المؤمنين ع كلموا ممتنعا
من بيعته في الحال و لا ضربوا أحدا منهم بسوط و لا نهروه فضلا عن القتل و ضرب
الرقاب فكيف يخاف سعيد من الأشر مع ما ذكرناه و أنى يكون لخوفه وجه صحيح
على ما تظناه و هذا يدل على كذب الواقدي فيما أضافه إلى سعيد بن زيد من الخوف و
أخبر عنه أو على تمويه سعيد فيما ادعاه. و أما قول طلحة و الزبير إنهما بايعا مكرهين
فالكلام فيه كالكلام على ابن المسيب عن سعيد و التهمة لهما في ذلك أوكد لأنهما
جعلاه عذرا في نكتهما البيعة و الخروج عن الطاعة و طلب الرئاسة و الإمرة فلم يجدا
إلى ذلك سبيلا مع ما كان منهما في ظاهر الحال من البيعة على الطوع بلا إجبار إلا
بدعوى الإكراه و الإحالة في ذلك على الضمائر و البواطن التي لا يعلمها إلا الله تعالى
اسمه و قد ثبت في حكم الإسلام الأخذ لهما بمقتضى الإقرار منهما في البيعة و القضاء
عليهما بلزوم الطاعة لهما لمن بايعاه و الخلاف عليهما لإمامهما الذي اعترفا ببيعتهما
له و صفقا بأيديهما على يده بالعقد له على ظاهر الرضا و الإيثار و سقوط دعواهما
للباطن المضاد للحكم الظاهر من ذلك و ما زعماه من حكم الكراهة في قلوبهما على ما
ادعياه. مع أن ظهور مشاحتهما لأمر المؤمنين ع و مظاهرتهما بالعداوة له و بلوغهما
في ذلك الغاية من ضرب الرقاب و سفك الدماء يبطل دعواهما على ما يقدر في عدالته
و يؤثر في إمامته و يمنعه حقا له على كل حال. على أنه لو ثبت الإكراه في بيعة أمير
المؤمنين ع لمن ادعى المخالفون إكراهه لم يقدر ذلك في إمامته على أصول شيعته
الدائنين بالنص عليه من رسول الله ص لأن للإمام المنصوص عليه المفترض الطاعة
على الأنام أن

الجميل ص : ١١٤

يكره من أبى طاعته و يضربه بالسوط و السيف على ذلك حتى يفىء إلى أمر الله تعالى
و الانقياد له و يأمن بذلك ما يحذر من فتنته و فساد. و لا يؤثر أيضا في إمامته على

مذهب المخالفين القائلين بالاختيار لأنه إذا بايع عندهم من أهل الفضل عدد محصور ثبت له العقد و وجبت له الطاعة و كان له إكراه من أبى البيعة و رام الخلاف و العصيان و إعمال السوط و السيف فى ردعه عن ذلك و إكراهه على الطاعة و الدخول مع الجماعة و معلوم أن أمير المؤمنين ع قد بايعه على الرضا به من لا يحصى عددهم كثرة ممن جاهد معه فى حروبه و بذل دمه فى نصرته من المهاجرين البدرين و الأنصار العقبيين و أهل بيعة الرضوان و التابعين بإحسان ممن أثبتنا أسماء بعضهم فيما سبق هذا الفصل من الكتاب فبطل ما تعلق به الخصم من دعوى الإكراه لمن سموه و الجبر فى ذلك على ما ادعوه و الاعتماد على أخبار شواذ به يبطلها الظاهر و المنتشر فى خلافتها من الأخبار

الجميل ص : ١١٥

إكراه قوم على بيعه أبى بكر

على أنه يقال للخصم إن كان الخبر بإكراه قوم على بيعه أمير المؤمنين ع يقدر فى إمامته عندك فقد جاءت الأخبار متواترة بإكراه من أكره على بيعه أبى بكر و عمر و عثمان فيجب أن تقطع على فساد إمامتهم بذلك و إلا كنت مناقضا عند العقلاء أ لا ترى أن المعلوم المنتشر بلا ارتياب مباينة الأنصار فى بيعه أبى بكر و دعائها إلى العقد لسعد بن عباد رضى الله عنه و إنكارها بيعه سواه و تضمنها على صرف الأمر عن قریش و شروعا فى ذلك حتى اختلفت كلمتهم و أفشى أمرهم بشير بن سعد منهم و بايع أبا بكر حسدا لابن عمه و ضنا عليه بالرئاسة و كراهة الاتباع له و التقديم على نفسه فوقع الفتنه و سلت السيوف و دعا عمر بن الخطاب إلى قتل سعد بن عباد و حرض عليه فى ذلك و قال اقتلوا سعدا قتل الله سعدا فخافت الأنصار من ظفرها و جنايته عليها فحملوا سعدا من السقيفة

الجميل ص : ١١٦

بين جماعة منهم لضعفه عن النهوض بنفسه لمرض كان به فى الحال و انحاز إليه أهل

بيته كارهين لبيعة من عقدت له منكرين لما تم لأبى بكر متوعدين فيه بالخلاف. و
جاءت الأخبار متظافرة بإنكار الزبير بن العوام لبيعة أبى بكر و خروجه بالسيف مصلتا
للقتال فتكاثر القوم عليه حتى أخذوه من يده و ضربوه بالأحجار فكسروه و جاءوا به
ملبيا لأبى بكر حتى بايع مكرها على غير اختيار. و لما حضر سلمان الفارسي رضى الله
عنه منكرا لأمرهم و متكلم في ذلك بلسانه و مفصحا فيه بلسان العرب فامتنع عن
البيعة حتى وجئ عنقه بأيديهم و صار كالسلسلة الحمراء. و ما كان من إنكار العباس بن
عبد المطلب عم رسول الله ص صرف الأمر عن بنى هاشم و بيعتهم لمن بايعوا و دعائه
أمير المؤمنين ع إلى بسط يده لبيايه على الأمر فقال له أمدد يدك يا ابن أخى أبايعك
ليقول الناس

الجميل ص : ١١٧

عم رسول الله ص بايع ابن عمه فلا يختلف عليك اثنان. و قول أبى سفيان صخر بن
حرب بأعلى صوته يا بنى هاشم أ رضى أن يلى عليكم بنو تيم بن مرة حكاما على العرب
و متى طمعت أن تتقدم على بنى هاشم بالأمر انهضوا لدفع هؤلاء القوم عما تمالئوا
عليه ظلما لكم أما و الله لئن شئتم لأملأنها عليهم خيلا و رجالا ثم أنشأ يقول
بنى هاشم لا تطمعوا الناس فيكم و لا سيما تيم بن مرة أو عدى
فما الأمر إلا فيكم و إليكم و ليس لها إلا أبو حسن على
أبا حسن فاشدد بها كف حازم فإنك بالأمر الذى يرتجى ملى
إجبار عمر على بيعة أبى بكر

و لما اجتمع من اجتمع إلى دار فاطمة ع من بنى هاشم و غيرهم للتحيز عن أبى بكر و
إظهار الخلاف عليه أنفذ عمر بن الخطاب قنفذا و قال له أخرجهم من البيت فإن خرجوا
و إلا فاجمع الأخطاب على بابهم و أعلمهم أنهم إن لم يخرجوا للبيعة أضربت البيت
عليهم نارا ثم قام بنفسه فى جماعة منهم المغيرة بن شعبة الثقفى و سالم مولى أبى
حذيفة حتى صاروا إلى باب على ع فنادى

الجميل ص : ١١٨

يا فاطمة بنت رسول الله أخرجى من اعتصم بيتك ليبيع و يدخل فيما دخل فيه
المسلمون و إلا و الله أضمرت عليهم نارا فى حديث مشهور. و لما عرف أهل اليمامة
تقلد أبى بكر أنكروا أمره و امتنعوا من حمل الزكاة حتى أنفذ إليهم الجيوش فقتلهم و
حكم عليهم بالردة عن الإسلام و فى إنكار أهل اليمامة بيعه أبى بكر يقول الحطيئة
الشاعر العبسى

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيا عجباً ما كان ملك أبى بكر
أ نؤتى أبا بكر إذا قام بعده فتلك لعمر الله قاصمة الظهر
و كان عبد الله بن أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب خارجاً عن المدينة فدخلها و
قد بويع أبو بكر فوقف فى وسط المسجد و أنشأ يقول
ما كنت أحسب أن الأمر منتقل عن هاشم ثم منها عن أبى الحسن
أ ليس أول من صلى لقبلتهم و أعرف الناس بالآثار و السنن
و آخر الناس عهداً بالنبى و من جبريل عون له بالغسل و الكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به و ليس فى القوم ما فيه من الحسن
فما الذى ردكم عنه فنعلمه ها إن بيعتكم من أول الفتن
و روى أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي عن محمد بن سائب الكلبي و أبى

الجميل ص : ١١٩

صالح و رواه أيضاً عن رجاله عن زائدة بن قدامة قال كان جماعة من الأعراب قد دخلوا
المدينة ليمتاروا منها فشغل الناس عنهم بموت رسول الله ص فشهدوا البيعة و
حضرُوا الأمر فأنفذ إليهم عمر و استدعاهم و قال لهم خذوا بالحظ و المعونة على بيعة
خليفة رسول الله ص و اخرجوا إلى الناس و احشروهم ليبيعوا فمن امتنع فاضربوا
رأسه و جبينه قال فو الله لقد رأيت الأعراب قد تحزموا و اتشحوا بالأزر الصنعانية و
أخذوا بأيديهم الخشب و خرجوا حتى خبطوا الناس خبطاً و جاءوا بهم مكرهين إلى

البيعة. و أمثال ما ذكرناه من الأخبار في قهر الناس على بيعه أبي بكر و حملهم عليها بالاضطرار كثيرة و لو رمنا إيرادها لم يتسع لهذا الكتاب فإن كان الذى ما ادعاه المخالف من إكراه من أكره على بيعه أمير المؤمنين ع دليلا على فسادها مع ضعف الحديث بذلك فيكون ثبوت الأخبار بما شرحناه من الأدلة على بيعه أبي بكر موضحة عن بطلانها

الجميل ص : ١٢٠

كراهة وجوه المهاجرين استخلاف عمر

هذا و الأمة مجتمعة على أن أبا بكر لما أراد استخلاف عمر بن الخطاب حضره وجوه المهاجرين و فيهم طلحة و الزبير و سعد بن أبي وقاص فقالوا ما تقول لربك إذا وليت علينا هذا اللفظ الغليظ فإننا لم نكن نطيعه و هو رعية لك فكيف إذا ولي الأمر فاتق الله فى الإسلام و أهله و لا تسلطه على الناس فغضب أبو بكر و قال أجلسوني أجلسوني فأجلس و استند إلى صدور الرجال من ضعفه ثم قال لهم أ بالله تخوفوني إن كل واحد منكم قد طمع فى هذا الأمر فلما سمع ما أريده لعمر ورم لذلك أنفه لكأنى بكم و قد جاءكم فعمدتم على التأمر و استعمال الستور و نضائد الديباج لتتخذوها كسروية لا و الله لا أحببتكم إلى ما تريدون أنى إذا لقيت ربي فسألنى من استخلفت عليهم قلت استخلفت عليهم خير أهلهم و هذا

الجميل ص : ١٢١

خبر مشهور لا يتنازع فيه العلماء و هو متضمن لعقد أبي بكر الأمر لعمر على كراهة ممن ذكرناه و قهر لهم و إجبار عليهم فيجب على مقال الخصم أن تكون إمامة عمر بن الخطاب فاسدة لأنها على كراهة ممن عددناه

الجميل ص : ١٢٢

الشورى و اعتزال أمير المؤمنين ع عن بيعه عثمان

قال و لما كان فى يوم الشورى حضر عمار بن ياسر رضى الله عنه فقام فى الناس و قال

إن وليتموها عليا سمعنا و أطعنا و إن وليتموها عثمان سمعنا و عصينا فقام الوليد بن عقبة و قال يا معشر الناس من أهل الشورى إن وليتموها عثمان سمعنا و أطعنا و إن وليتموها عليا سمعنا و عصينا فانتهره عمار و قال له متى كان مثلك يا فاسق يعترض فى أمور المسلمين و أسباب جمعها و تسابا و تناوشا حتى حيل بينهما فقال المقداد رضى الله عنه من وراء الباب يا معشر المسلمين إن وليتموها أحدا من القوم فلا تولوها من لم يحضر بدرا و انهزم يوم أحد و لم يحضر بيعة الرضوان و ولى الدبر يوم التقى الجمعان فقال له عثمان أما و الله لئن وليتها لأردنك إلى زيک الأول. و لما صفق عبد الرحمن يده على يد عثمان همس أمير المؤمنين ع و قال

الجمال ص : ١٢٣

مال الرجل إلى صهره و نبذ دينه وراء ظهره و أقبل على عبد الرحمن فقال و الله ما أملت منه إلا ما أمل صاحبك من صاحبه دق الله بينكما عطر منشم و انصرف مظهرا النكير على عبد الرحمن و اعتزل بيعة عثمان فلم يبايعه حتى كان من أمره مع المسلمين ما كان و قد عرفت الخاصة و العامة ما أظهره أمير المؤمنين ع من كراهته من تقدم عليه و تظلمه منهم.

فقال فى مقام بعد مقام اللهم إني أستعديك على قريش فإنهم ظلموني حقى و منعوني إرثى و تمأثوا على

و قال لم أزل مظلوما منذ قبض رسول الله ص

و قال لقد عهد إلى رسول الله ص أن الأمة ستغدر بى من بعده

الجمال ص : ١٢٤

و قال لقد ظلمت عدد الحجر و المدر

و قال اللهم أجز قريشا عنى الجوازى فقد قطعت رحمى و دفعتنى عن حقى و أغرت بى سفهاء الناس و خاطرت بدمى

الجمال ص : ١٢٥

فصل خطبة أمير المؤمنين ع يوم بيعته

و لما أفضى الأمر إليه ع رقى المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثم قال قد مضت أمور كنتم فيها غير محمودى الرأى أما إنى لو أشاء أن أقول لقلت عفى الله عما سلف سبق الرجال و قام الثالث كالغراب همته بطنه و فرجه يا ويله لو قص جناحه و قطع رأسه لكان خيرا له

و استمر فى الخطبة إلى آخرها و فيها عجائب من فصيح الكلام و غرائب من بديع المقال و العلماء متفقون عليها عنه ع و قد ذكرها أبو عبيدة معمر بن المثنى و فسر غريب الكلام فيها و أوردوا المدائنى فى كتبه و ذكرها الجاحظ مع نصبه و عداوته لأمر المؤمنين ع فى كتابه الموسوم بالبيان و التبيين

الجمل ص : ١٢٦

الخطبة الشقشقية

فأما خطبته ع التى رواها عنه عبد الله بن عباس رحمه الله فهى أشهر من أن ندل عليها و نتحمل لثبوتها و هى التى يقول فى أولها

أما و الله لقد تقمصها ابن أبى قحافة و إنه ليعلم أن محلى منها محل القطب من الرحى ينحدر عنى السيل و لا يرقى إلى الطير لكنى سدلت دونها ثوبا و طويت عنها كشحا أرى تراثى نهبا فصبرت و فى العين قذى و فى الحلق شجى حتى أتى على الشورى فيها فقال فجعلنى عمر سادس ستة زعم أنى أحدهم فى الله و للشورى متى اختلج الريب فى مع الأولين منهم حتى صرت أقرن بهذه النظائر و لكنى أسففت مع القوم حين أسفوا و طرت معهم حين طاروا انتظارا للمدة و الأجل

الجمل ص : ١٢٧

فى كلام طويل اختصرناه هاهنا فدل ما ذكرناه عنه ع على كراهيته من تقدم عليه و إنكاره ما صنعوه فى ذلك و خصومنا لعنادهم الحق و تجاهلهم يجعلون الأخبار الشاذة فى كراهة نفر معدودين لبيعة أمير المؤمنين ع قدحا فى إمامته و لا يجعلون ما ذكرناه

من خلاف وجوه المسلمين و عامة المؤمنين و الأنصار و المهاجرين فى إمامة الثلاثة
النفر المذكورين حجة فى بطلانها و لا إنكارهم لذلك و كراحتهم لها قدحا فيها و
يدعون مع ذلك بعجبتهم و جرأتهم و قلة أمانتهم إجماع الأمة عليهم إن هذا لشيء
عجيب. و إني مثبت طرفا من الأخبار التى جاءت ببيعة أمير المؤمنين على بن أبى طالب
ع و أنها كانت على وفاق ما ذكرت فى أول الباب من الرغبة إليه فى قبولها منهم و
الإيثار لتقدمه عليهم و الاختيار منهم ليتأيد ما قصدنا الإيضاح عنه من ثبوت إمامته على
أصول الموافقين من شيعته و المخالفين لهم فى ذلك حسب ما بيناه إن شاء الله
الجمال ص : ١٢٨

امتناع أمير المؤمنين ع من قبول الخلافة
فمن روى خبر البيعة و ما كانت عليه من الحال أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي فى
كتابه المصنف فى حرب البصرة عن سيف بن عمر عن محمد بن عبد الله بن سواده و
طلحة بن الأعلم و أبى عثمان أجمع قالوا بقيت المدينة بعد قتل عثمان خمسة أيام
أميرها الغافقى بن حرب و الناس يلتمسون من يجيبهم إلى هذا الأمر فلا يجدون فيأتى
المصريون عليا فيختبئ منهم و يلوذ بحيطان المدينة فإذا أتوه يأبى عليهم قال و روى
إسحاق بن راشد عن عبد الحميد بن عبد الرحمن عن ابن أبى قال أ لا أحدثك ما رأيت
عيناى و سمعت أذناى لما التقى الناس عند بيت المال قال على لطلحة أبسط يدك
أبايعك فقال طلحة أنت أحق بهذا الأمر منى و قد اجتمع لك من أهواء الناس ما لم
يجتمع لى فقال ع له ما خشينا غيرك فقال طلحة لا تخش فو الله لا تؤتى من قبلى و
قام عمار بن ياسر و أبو الهيثم بن التيهان و رفاعه بن رافع بن مالك بن العجلان و أبو
أيوب خالد بن زيد فقالوا لعلى إن هذا الأمر قد فسد و قد رأيت ما صنع عثمان و ما أتاه
من خلاف الكتاب و السنة فابسط يدك نبايعك لتصلح من أمر الأمة ما قد فسد فاستقال
الجمال ص : ١٢٩

على ع و قال قد رأيتم ما صنع بى و عرفتم رأى القوم فلا حاجة لى فيهم فاقبلوا على

الأنصار فقالوا يا معاشر الأنصار أنتم أنصار الله و أنصار رسوله و برسوله أكرمكم الله تعالى و قد علمتم فضل على و سابقته فى الإسلام و قرابته و مكاتته التى كانت له من النبى ص و إن ولى أنالكم خيرا فقال القوم نحن أرضى الناس به ما نريد به بدلا ثم اجتمعوا عليه فلم يزالوا به حتى بايعوه.

و بإسناده عن أبى الهيثم بن التيهان أنه قال يا معاشر الأنصار قد عرفتم رأيى و نصحى و مكانى من رسول الله ص و اختياره إياى فردوا هذا الأمر إلى أقدمكم إسلاما و أولاكم برسول الله ص لعل الله أن يجمع به ألفتكم و يحقن به دماءكم فأجاباه القوم بالسمع و الطاعة

و روى سيف عن رجاله قال اجتمع الناس إلى على ع سألوه أن ينظر فى أمورهم و بذلوا له البيعة فقال لهم التمسوا غيرى فقالوا ننشدك الله أ ما ترى الفتنة أ لا تخاف الله فى ضياع هذه الأمة فلما ألحوا عليه قال لهم إني إن أجبتكم حملتكم على ما أعلمه و إن تركتمونى كنت كأحدكم فقالوا قد رضينا بحكمك و ما فىنا مخالف لك فاحملنا على ما تراه ثم بايعته الجماعة
الجملى ص : ١٣٠

بيعة طلحة و الزبير لأمير المؤمنين ع
و روى أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفى عن عثمان بن أبى شبيهة عن عبد الله بن إدريس عن محمد بن عجلان عن زيد بن أسلم قال جاء طلحة و الزبير إلى على ع و هو متعوذ بحيطان المدينة فدخل عليه و قال له ابسط يدك نبايعك فإن الناس لا يرضون إلا بك فقال لهما لا حاجة لى فى ذلك لئن أكون لكما وزيرا خير من أن أكون لكما أميرا فليسط من شاء منكما يده أبايعه فقالا إن الناس لا يؤثرون غيرك و لا يعدلون عنك إلى سواك فابسط يدك نبايعك أول الناس فقال إن بيعتى لا تكون سرا فامهلا حتى أخرج إلى المسجد فقالا بل نبايعك هاهنا ثم نبايعك فى المسجد فبايعاه أول الناس ثم بايعه الناس على المنبر أولهم طلحة بن عبيد الله و كانت يده شلاء فصعد المنبر

إليه فصفق على يده و رجل من بنى أسد يزجر الطير قائم ينظر إليه فلما رأى أول يد
صفقت على يد أمير المؤمنين ع يد طلحة و هى شلاء قال إنا لله و إنا إليه راجعون أول
يد صفقت على يده شلاء يوشك أن لا يتم هذا الأمر ثم نزل طلحة و الزبير و بايعه
الناس بعدهما

الجميل ص : ١٣١

و هذه الأخبار مع شهرتها و انتشارها فى كتب السير و عند كافة العلماء و ظهورها و
استفاضتها تتضمن نقيض ما ادعاه المخالف من إكراه أمير المؤمنين ع على البيعة و
تبطل ما تعلق به من ذلك من شك فى الخبر الذى أورده الواقدي عن العثمانية
المتظاهرين بعداوة أمير المؤمنين ع. على أن الواقدي قد أثبت فى كتابه الذى صنفه
فى حرب البصرة ما يوافق الأخبار التى قدمنا ذكرها و يضاد ما خالفها فى معناه فقال
حدثني عبد الله بن جعفر عن عثمان بن محمد قال لما قتل عثمان أقبل الناس على على ع
ليبايعوه فتأبى عليهم فقالوا بايعنا لا نخلف فأبى عليهم فمدوا يده و بسطوها و
قبضوها فقالوا بايعنا لا نجد غيرك و لا نرضى إلا بك. و روى إسماعيل بن محمد عن
محمد بن سعد عن أبيه قال أرسل على بن أبي طالب ع إلى أبي ليبياع فقال له إذا لم
يبق غيرى بايعتك فقال على ع خلوا سعدا و أرسل إلى أسامة بن زيد فقال له أسامة أنا
أطوع لك و لكن أعصى الخروج بالسيف فقال له على ع لم أكره أحدا على بيعتى فقد
بان أن جميع من بايعه كان مؤثرا له راغبا إليه فى ذلك على ما قدمناه و الحمد لله

الجميل ص : ١٣٢

بطلان آراء أهل الفرق

قال الشيخ المفيد أبو عبد الله أدام الله تأييده قد دللنا على إمامة أمير المؤمنين ع من
جهة النص عليه من رسول الله ص و باختيار له من ذوى العقول و العلم و الفضل و
الرأى على ما يذهب إليه المخالفون فى ثبوت الإمامة و انعقادها و أنبأنا عن عصمته ع
بما سلف و شرحنا القول فى طريقها و أوضحناه و ذكرنا الأخبار الواردة من طريق

الخاصة و العامة فى وجوب حقه و برهان صوابه و تحريم خلافه و فى ذلك إبطال ما ذهب إليه كافة خصومنا على اختلافهم فى تصويب محاربيه و الوقوف فى ذلك و الشك فيه و فى ما أصلناه من ذلك و رسمناه فى معناه غنى عن تكلف كلام فى فساد مذهب واصل بن عطاء و عمرو بن عبيد على ما شرحناه عنهما فى صدر هذا الكتاب من شبهات المذهب الرذل و إبطال مذهب الأصم و أتباعه و نقض شبهات الحشوية فى تصويب الجماعة و إفساد ما ذهب إليه كل فريق منهم فى تخطئتهم بأسرهم و إقامة البرهان على صحة ما ذهب إليه الشيعة و من شاركهم من قبائل المعتزلة و المرجئة و الخوارج و تصويب أمير المؤمنين فى حرب البصرة و الشام و تخطئة محاربيه فى هذين المقامين و ضلالهم فى ذلك عن طريق الرشاد و فيما أثبتناه من عصمته ع و حقه أيضا دليل مقنع فى إبطال مذهب الخوارج المبدعة فى إنكار التحكيم و ترك القتال عند المودعة حسب ما قدمناه. و نحن نشفع ذلك بأسباب فتنة البصرة على ما بطن منها عن كثير من الناس

الجملة ص : ١٣٣

و ظهر منها للجمهور و نورد بعد هذا الباب الذى ذكرناه الأخبار الواردة بصورة الأمر فى القتال و كيفية ما جرى فيه على ترتيب ذلك فى مواضعه المقتضية لذكره فيها و نأتى به على الترتيب و النظام إن شاء الله تعالى

الجملة ص : ١٣٥

فصل فى نكت البيعة من قبل طلحة و الزبير

فأما ظاهر سبب الفتنة بالبصرة فهو ما أحدثه طلحة و الزبير من نكت البيعة التى بذلها لأمر المؤمنين طوعا و اختيارا و إثارا و خروجهما من المدينة إلى مكة على إظهار منهما لابتغاء العمرة فلما وصلاها اجتمعا على عائشة و عمال عثمان الهاربين بأموال المسلمين إلى مكة طمعا فيما احتجوا به منها و خوفا من أمير المؤمنين ع و اتفاق رأيهم على الطلب بدم عثمان و التعلق عليه فى ذلك بانحياز قتلة عثمان و حاصريه و خاذليه

من المهاجرين و الأنصار و أهل مصر و العراق إلى على ع و كونهم جندا له و أنصارا و اختصاصهم به فى حربهم منه و مظاهرتة لهم بالجميل و قوله فيهم الحسن من الكلام و ترك إنكار ما صنعوه بعثمان و الإعراض عنهم فى ذلك و المصير معهم فى جنده إلى ما ذكرناه و شبهوا بذلك على الضعفاء و اغتروا به السفهاء و أوهموهم فى ذلك بظلم عثمان و البراءة من شىء يستحق به

الجميل ص : ١٣٦

ما صنع به القوم من إحصاره و خلعه و المنازعة إلى دمه فأجاب إلى مرادهم من الفتنة من استغوه بما وصفناه و قصدوا البصرة لعلمهم أن جمهور أهلها من شيعة عثمان و أصحاب عامله و ابن عمه الذى كان بها و هو عبد الله بن عامر بن كريز فكان ذلك منهم ظاهرا و باطنه بخلافه كما تدل عليه الأخبار و يوضح عن صحة الحكم به الاعتبار أ لا ترى أن طلحة و الزبير و عائشة بإجماع العلماء بالسير و الآثار هم الذين أوكدوا خلع عثمان و حصره و قتله و أن أمير المؤمنين ع لم يزل يدفعهم عن ذلك و يلفظ فى منعهم عنه و يبذل الجهد فى إصلاح حاله مع المنكرين عليه العائين له بأفعاله المحتجين عليه بإحداثه فمن أنكر ما ذكرناه أو شك فى شىء مما وصفناه فهو بعيد من علم الأخبار ناء عن معرفة السير و الفتن و الآثار مكابر يحمل نفسه على جحد الاضطراب و هذا باب لا تحسن مكالمة الخصوم فيه إلا مع الإنصاف و الاطلاع على ما جاءت به الأخبار و مخالطة العلماء من أهل الاختبار و أما من لا معرفة له بالروايات أو منقطع عنها إلى صناعة الكلام أو عامى له غفلة أو مترف مشغول باللذات فلا وجه لمجاراته فى هذا الباب و أمثاله مما طريقه السمع و الأخبار و سبيله ملاقة الخاصة و العلماء و استفادة ما عندهم من علم على ما ذكرناه

الجميل ص : ١٣٧

فصل فى أسباب الخروج على عثمان

و نحن نثبت بتوفيق الله مختصرا من الأخبار فيما ذكرناه من كون طلحة و الزبير و

عائشة فيما صنعوه فى أيام عثمان من أوكد أسباب ما تم عليه من الخلع و الحصر و سفك الدم و الفساد فمن ذلك ما رواه أبو حذيفة إسحاق بن بشر القرشى و أثبتته فى كتابه الذى صنفه فى مقتل عثمان و كان هذا الرجل أعنى أبا حذيفة من وجوه أصحاب الحديث المنتسبين إلى السنة و المباينين للشيعة لا يهتم فيما يرويه لمفارقة خصومه و لا يظن به تخرص فيما يجتنيه من جميع الأخبار فقال حدثنى محمد بن إسحاق عن الزهرى قال قدم أهل مصر فى ستمائة راكب عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوى فنزلوا ذا خشب و فيهم كنانة بن بشر الكندى و أبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعى و أبو عروة الليثى و اجتمع إليهم حكيم بن جبلة العبدى فى طائفة من أهل البصرة و كميل بن زياد و مالك الأشتر و صعصة بن صوحان و حجر بن عدى فى جماعة من قراء أهل الكوفة الذين كانوا سيرهم عثمان

الجل ص : ١٣٨

منها إلى الشام حين شكوا أحداثه التى أنكرها عليه المهاجرون و الأنصار فاجتمع القوم على عيب عثمان و جهروا بذكر أحداثه فمر بهم عمر بن عبد الله الأصم و زياد بن النضر فقالا لهم إن شئتم بلغنا عنكم أزواج النبى ص فإن أمرنكم أن تقدموا فاقدموا فقالوا لهما افعلوا و اقصدوا عليا آخر الناس فانطلق الرجلان فبدءا بعائشة و أزواج النبى بعدها ثم انبأ أصحابه و أخبراهم الخبر فأمرهم أن يقدموا المدينة و صاروا إلى أمير المؤمنين ع فأخبراه و استأذناه للقوم فى دخول المدينة فقال لهما أتيتما أحدا قبلى قالوا نعم أتيينا عائشة و أزواج النبى ص بعدها و أصحابه من المهاجرين و الأنصار فأمرهم أن يقدموا فقال أمير المؤمنين ع لكنى لا آمرهم بذلك يستعقبونه ممن قرب فإن أعتبهم فهو خير لهم و إن أبى فهم أعلم فرجع الرجلان إليهم جميعا و تسرع إليهم جماعة من المدينة فاجتمعوا مع أهل الحسب و ذوى المروءات. فلما بلغ عثمان اجتماعهم أرسل إلى على ع فقال له اخرج يا أبا الحسن إلى هؤلاء القوم و ردهم عما جاءوا إليه فخرج إليهم فلما رأوه رحبوا به و قالوا له قد علمت يا أبا الحسن ما أحدثه

هذا الرجل من الأعمال الخبيثة و ما يلقاه المسلمون منه و من عماله و كنا لقيناه و
استعتبناه فلم يعتبنا و كلمناه فلم يصغ إلى كلامنا و أغراه ذلك بنا و قد جئنا نطالبه
بالاعتزال عن إمرة المسلمين و استأذنا في ذلك الأنصار و المهاجرين و أزواج النبي ص
أمهات المؤمنين فأذنوا لنا في ورود المدينة و نحن على ذلك فقال لهم أمير المؤمنين
ع يا هؤلاء تريثوا

الجميل ص : ١٣٩

لا تسرعوا إلى شيء لا تعرف عاقبته فإننا كنا قد عتبناه على هذا في شيء و أنه قد رجع
عنه فارجعوا فقالوا هيهات يا أبا الحسن لا نقنع منه إلا بالاعتزال عن هذا الأمر ليقوم
به من يوثق بأمانته فرجع أمير المؤمنين ع إلى عثمان و خبره بمقاتلتهم فخرج عثمان
حتى أتى المنبر فخطب الناس و جعل يتكلم و يدعو إلى نصرته و دفاع القوم عنه فقام
إليه عمرو بن العاص فقال يا عثمان إنك قد ركبت الناس بالنهاير و قد ركبوها منك فتب
إلى الله فقال له عثمان و إنك لها هنا يا ابن النابغة ثم رفع يديه إلى السماء و قال
أتوب إلى الله اللهم إني أتوب إليك اللهم إني أتوب إليك. فأنفذ أمير المؤمنين ع
إلى القوم بما جرى من عثمان و ما صار إليه من التوبة و الإقلاع فساروا إلى المدينة
بأجمعهم و سار إليهم عمرو بن معديكرب في ناس كثير فجعل عمرو يحرض على عثمان
و يذكر أثرته ثم جعل يقول

أما هلكنا و لا ييكى لنا أحد قالت قريش إلا تلك المقادير

و نحن في الصف قد تدمى حواجبنا نعطي السوية مما أخلص الكير

نعطي السوية يوم الضرب قد علموا و لا سوية إذ كانت دنانير

و انضم إليهم من المهاجرين طلحة و الزبير و جمهور الأنصار على ذلك فخرج إليهم

أمير المؤمنين ع فقال لهم يا هؤلاء اتقوا الله ما لكم و للرجل أ ما رجع

الجميل ص : ١٤٠

عما أنكرتموه أ ما تاب على المنبر توبة جهر بها و لم يزل يلطف بهم حتى سكنت

فورتهم ثم سأله أهل مصر أن يلقاه في عزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح عنهم و اقترح أهل الكوفة عزل سعيد بن العاص عنهم و سأل أهل النهروان أن يصرف ابن كريز عنهم و يعدل عما كان عليه من منكر الأفعال فدخل أمير المؤمنين ع على عثمان و لم يزل به حتى أعطاه ما أراد القوم من ذلك و بذل لهم العهود و المواثيق فخرج أمير المؤمنين ع إلى القوم بما ضمنه له عثمان و لم يزل بهم حتى تفرقوا و توجه كل قوم إلى بلادهم. فلما سار أهل مصر ببعض الطريق نظروا و إذا راكب على الطريق مسرع فلما دنا تأملوه فإذا هو غلام لعثمان على ناقة من نوقه فاسترابوا به فقالوا له أين تذهب فقال بعثني عثمان في حاجة له قالوا إلى أين بعثك فأرتج عليه و تلعث في كلامه فنهروه و زبروه فقال أنفذني إلى مصر فقالوا فيم أنفذك فقال لا أعلم فزادت استرابتهم به ففتشوه فلم يجدوا معه شيئا فأخذوا إداوته ففتشوها فإذا فيها كتاب من عثمان إلى عبد الله بن أبي سرح و هو إذا أتاك كتابي هذا فاضرب عنق أبي عمرو بن بديل و عبد الرحمن البلوى و اقطع أيدي و أرجل علقمة و كنانة و عروة ثم دعهم يتشحطون بدمائهم فإذا ماتوا فأوقفهم على جذوع النخل. فلما رأوا ذلك قبضوا على الغلام و عادوا إلى المدينة فاستأذنوا على بن أبي طالب ع و دفعوا إليه الكتاب ففزع ع لذلك فدخل على عثمان فقال

الجميل ص : ١٤١

إنك وسطتني أمرا بذلت الجهد فيه لك و في نصيحتك و استوهبت لك من القوم فقال عثمان فما ذا فأخرج إليه الكتاب ففضه و قرأه ثم أنكره فقال له على ع أ تعرف الخط قال الخط يتشابه قال أ تعرف الختم قال الختم ينقش عليه قال فهذا البعير الذي على باب دارك تعرفه قال هو بعيري و لم آمر أحدا بأخذه و لا بركوبه قال فغلامك من أنفذه قال أنفذ بغير أمرى فقال له أمير المؤمنين ع أما أنا فمعتزلك و شأنك و أصحابك و خرج من عنده و دخل داره و أغلق عليه بابه و لم يأذن لأحد من القوم في الوصول إليه. و خرج إليهم طلحة و الزبير فقالا لهم قد اعتزل على بن أبي طالب ع و انتدبنا معكم

على هذا الرجل فاجتمع القوم على حصره فلما علم عثمان أن القوم قد حصروه و حقق
العزيمة على خلعه كتب إلى معاوية يستدعيه بجنود الشام و كتب إلى عبد الله بن عامر
يستدعيه بجنود البصرة و فارس لينصر بهم و يدفعهم عن نفسه و عرف أهل مصر و
العراق و الحجاز أنه قد استنفر عليهم أهل الشام و شيعته من أهل البصرة و فارس و
خوزستان فجدوا في حصاره و تولى ذلك منه طلحة و الزبير و منعاه الماء و ضيقا عليه و
كان طلحة على حرس الدار يمنع كل أحد يدخل إليه شيئا من الطعام و الشراب و يمنع
من في الدار أن يخرج منها إلى غيرها

الجملة ص : ١٤٢

فصل في براءة أمير المؤمنين ع من التآليب على عثمان

فهل تخفى على عاقل براءة أمير المؤمنين ع مما قرفه به ناكثو عهده من التآليب على
عثمان و السعى في دمه مع ما رويناه من الحديث عن سميناه أم هل يرتاب عاقل فيما
فعله طلحة و الزبير فيما تولياه من حصر عثمان حتى آل ذلك إلى قتله و هما من بعده
يقرفان عليا فيما تولياه و يدعيان لأنفسهما البراءة مما صنعاه و يجعلان شبهتهما في
استحلال قتاله ع دعوى الباطل المعروف بهتانا ممن ادعاه و هذا يكشف أن الأمر فيما
ادعياه و أظهره من الطلب بدم عثمان كان بخلافه على ما بيناه. و مما جاءت به الأخبار
فيما تولاه طلحة و الزبير من عثمان ما رواه أبو إسحاق عن صلة بن زفر قال رأيت طلحة
و الزبير يرفلان في أذراعهما في قتل عثمان ثم جاءا من بعد إلى على ع فبايعاه طائعين
غير مكرهين ثم صنعا ما صنعا.

الجملة ص : ١٤٣

و روى أبو حذيفة القرشي عن الحصين بن عبد الرحمن عن عمرو بن جاوان عن الأحنف
بن قيس قال قدمت المدينة و ساق حديثا طويلا من أمر عثمان إلى أن قال فلما لقحت
الفتنة و الناس قد اجتمعوا على حصر عثمان و هو على خطر أتيت طلحة و الزبير فقلت
لهما ما أرى هذا الرجل إلا مقتولا فمن تأمراني أن أباع ترضيانه لى فقلالا عليا فخرجت

حتى أتيت مكة و بها عائشة فدخلت عليها فقلت إني لأحسب هذا الرجل مقتولا فمن تأمريني أن أبايع فقالت بايع عليا فقضيت حجتى ثم مررت بالمدينة و قد قتل عثمان فبايعت عليا ثم عدت إلى البصرة فإذا عائشة و طلحة و الزبير قد جاءونا يطلبون بدم عثمان و يأمرونا بقتال على بن أبى طالب فطال عجبى من ذلك. و روى أبو حذيفة عن رجاله أنه لما اجتمع الناس على عثمان انفذوا إليه اخلع نفسك فقال لا أخلع سربالا سربلنيه الله تعالى و كتب إلى معاوية يستدعيه بجنود الشام و إلى عبد الله بن عامر بن كريز يستدعيه بجنود البصرة و خرج عثمان حتى صعد المنبر فلما بدأ بالخطبة قام إليه رجل من الأنصار فقال له أقم كتاب الله يا عثمان فقال هو لك ثم أعادها ثانية فقال هو لك فأعادها ثالثة فتقنع و جلس فقام ناس من الأنصار فخلصوه و حصب عثمان بالحصى حتى سقط مغشيا عليه فحملته بنو أمية حتى أدخلوه الدار و جاء على ع يسأل عن خبره و حاله فثارت بنو أمية إليه بصوت واحد يا على كدرت علينا العيش و عملت بنا العمل و الله لئن بلغت الذى تريد لنخيشن عليك الدنيا فخرج على مغضبا فقال القوم للعباس بن الزبرقان بن زيد و كانت أخته تحت الحارث بن الحكم أخى الجمل ص : ١٤٤

مروان بن الحكم اتبع الرجل فقل له ما لك و لابن عمك فاتبعه فقال له ذلك فقال ع و هو مغضب فعل الله و فعل يجنى ما يجنى و أسأل عن أمره و أتهم مع ذلك أما و الله لو لا مكانى لاجتز الذى فيه عينا عثمان

الجمل ص : ١٤٥

موقف طلحة من عثمان

و لما أبى عثمان أن يخلع نفسه تولى طلحة و الزبير حصاره و الناس معهما على ذلك فحصره حصرا شديدا و منعه الماء فأنفذ إلى على ع يقول إن طلحة و الزبير قد قتلانى بالعطش و الموت بالسلاح أحسن فخرج على ع معتمدا على يد المسور بن مخرمة الزهرى حتى دخل على طلحة بن عبيد الله و هو جالس فى داره يبرى نبلا و عليه

قميص هندی فلما رآه طلحة رحب به و وسع له على الوسادة فقال له على ع إن عثمان قد أرسل إلى أنكم قد قتلتموه عطشا و أن ذلك ليس بالحسن و القتل بالسلاح أحسن له و كنت آليت على نفسي أن لا أرد عنه أحدا بعد أهل مصر و أنا أحب أن تدخلوا عليه الماء حتى تروا رأيكم فيه فقال طلحة لا و الله لا نعمة عينا له و لا نتركه يأكل و لا يشرب فقال على ع ما كنت أظن أن أكلم أحدا من قريش فيردني دع ما كنت فيه يا طلحة فقال طلحة ما كنت أنت يا على في ذلك من شيء فقام على ع مغضبا و قال ستعلم يا ابن الحضرمية أكون في ذلك من شيء أم لا ثم

الجملة ص : ١٤٦

انصرف. و روى أبو حذيفة إسحاق بن بشر القرشي أيضا قال حدثني يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال و الله إنى لأنظر إلى طلحة و عثمان محصور و هو على فرس أدهم و بيده الرمح يجول حول الدار و كأنى أنظر إلى بياض ما وراء الدرع موقف الزبير من عثمان

و روى أبو إسحاق قال لما اشتد بعثمان الحصار عمل بنو أمية على إخراجه ليلا إلى مكة و عرف الناس ذلك فجعلوا عليه حرسا و كان على الحرس طلحة بن عبيد الله و هو أول من رمى بسهم في دار عثمان قال و أطلع عثمان و قد اشتد به الحصار و ظمئ من العطش فنادى أيها الناس اسقونا شربة من الماء و أطعمونا مما رزقكم الله فناده الزبير بن العوام يا نعل لا و الله لا تذوقه. و روى أبو حذيفة القرشي عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن تغلبة بن يزيد الحماني قال أتيت الزبير و هو عند أحجار الزيت فقلت له يا أبا عبد الله قد حيل بين أهل الدار و بين الماء فنظر نحوهم و قال و حيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ

الجملة ص : ١٤٧

كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ. فهذه الأحاديث من جملة كثيرة في هذا المعنى و هي كاشفة عما ذكرناه من إدغال القوم من التظاهر بطلب دم

عثمان و هم تولوا سفكه و لم يظهر أحد منهم إلا الذم عليه و لما بايع الناس عليا ع
أظهروا الندم على ما فرط منهم و قرفوه بما صنعوا و أثاروا الفتنة التي رجع عليهم منها
ما كانوا أملوه فيها منه و هو الظاهر منهم و الباطن كان مخالفا للظاهر منهم فيما ادعوه
بعثمان

فصل فى موقف عائشة من عثمان

فأما أخبار تأليب عائشة على عثمان فهي أظهر مما وردت به الأخبار فى تأليب طلحة و
الزبير عليه فمن ذلك ما رواه محمد بن إسحاق صاحب السيرة عن مشايخه عن حكيم بن
عبد الله قال دخلت يوما بالمدينة المسجد فإذا كف مرتفعة و صاحب الكف يقول أيها
الناس العهد قريب هاتان نعلا رسول الله ص و قميصه كأنى أرى ذلك القميص يلوح و
أن فيكم فرعون هذه الأمة فإذا هي عائشة و عثمان يقول لها اسكتي ثم يقول للناس إنها
امرأة و عقلها عقل النساء فلا تصغوا إلى قولها. و روى الحسن بن سعد قال رفعت
عائشة ورقة من المصحف بين عودتين من

الجميل ص : ١٤٨

وراء حجلتها و عثمان قائم ثم قالت يا عثمان أقم ما فى هذا الكتاب فقال لتنتهن عما
أنت عليه أو لأدخلن عليك جمر النار فقالت له عائشة أما و الله لئن فعلت ذلك بنساء
النبي ص ليلعنك الله و رسوله و هذا قميص رسول الله لم يتغير و قد غيرت سنته يا
نعثل. و روى ليط بن أبي سليم عن ثابت بن عجلان الأنصارى عن ابن أبي عامر مولى
الأنصار قال كنت فى المسجد فمر عثمان فنادته عائشة يا غدر يا فجر أخفرت أمانتك و
ضيعت رعيتك و لو لا الصلوات الخمس لمشى إليك الرجال حتى يذبوك ذبح الشاة
فقال عثمان ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتُ نُوحٍ وَ امْرَأَتُ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ
عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا
النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ. و روى محمد بن إسحاق و المدائنى و أبو حذيفة قال لما عرفت
عائشة أن الرجل مقتول تجهزت إلى مكة فجاءها مروان بن الحكم و سعيد بن العاص

فقالا لها إنا لنظن أن الرجل مقتول و أنت قادرة على الدفع عنه فإن تقيمي يدفع الله بك عنه

الجميل ص : ١٤٩

قالت ما أنا بقاعدة و قد قدمت ركابي و غررت غرائري و أوجبت الحج على نفسي فخرج من عندها مروان بن الحكم و هو يقول

و حرق قيس على البلاد حتى إذا اضطربت أجذما

فسمعت عائشة فقالت أيها المتمثل هلم قد سمعت ما تقول أ تراني في شك من صاحبك و الله لوددت أنه في غرارة من غرائري حتى إذا مررت بالبحر قذفته فيه فقال مروان قد و الله تبنيته قد و الله تبنيته قال و سارت عائشة فاستقبلها ابن عباس بمنزل يقال له

الصلعاء و ابن عباس يريد المدينة فقالت له يا ابن عباس إنك قد أوتيت عقلا و بيانا فإياك أن ترد الناس عن قتل هذا الطاغية. و هذه أيضا جملة من كثير ورد بها أخبار في تأليب عائشة على عثمان و السعي في دمه اقتصرنا عليها كراهة الإملال بالتطويل و فيها أوضح دليل على أن ما تظاهرت به من بعد بالطلب بدمه و المباينة لأمير المؤمنين ع و جمع الجموع لحربه و الاجتهاد في نقض عهده و أمره و سفك دمه لم يكن الباطن فيه كالظاهر بل كان لغير ذلك فيما اشتهر عند المعتبرين لأعمال القوم قديما و حديثا و أغراضهم في الأفعال

الجميل ص : ١٥٠

و ما فيه من صريح القول عنهم في عداوته ع فليتأمل أولو الأبصار فيما روينا و ليمعن النظر أهل الاعتبار فيما حكينا يجد الأمر فيه على ما وصفناه و الله المستعان

الجميل ص : ١٥١

فصل في ندم طلحة و الزبير على البيعة

قد قدمنا من القول فيما كان عمل عليه طلحة و الزبير في خلاف أمير المؤمنين ع و المباينة له و التحيز عنه و هما لما كرها ولايته و أنكرا إمرته و لم يؤثر من الناس

بيعته لما كانا عليه من الطمع فى الولاية للأمر دونه و التأمر على الناس بذلك ففاتهما
منه ما أملاه و ندما على إفراطهما فيما صنعاه مع التسخير لهما من الله تعالى فى بذل
بيعتهما له ع طوعا و اختيارا سنج لهما الاعتلال فى تسويغ خلافهما له بدعوى إكراهه
لهما على البيعة فتعلقا بذلك و جعلاه حجة لهما فى خلافه و ظنا به تمام الشبهة التى
قصداها بغمر الأمر على الجهال فلما وضح لهما تهافت ما اعتمدها فى ذلك بظهور
اختيارهما لبيعته و إثارهما لتقدمه عليهما و الرضا بإمامته و اشتهر ذلك عند الكافة من
الخاصة و العامة و علما أنه لا حجة لهما فى دفع الظاهر بدعوى الباطن و أنه لو تم
لهما التلبيس بدعوى الكراهية الباطنية لم تتم لهما حجة لأنه لا يسع لأحد كراهة
بيعة المحق و لا يسوغ لأحد خلاف المهاجرين و الأنصار فى الرضا بما يجتمعون عليه
من الرضا بإمامة المرتضى فى ظاهر الحال فكيف بمن يرضى برضا الله عنه فى الظاهر و
الباطن على كل حال و لأنهما لم يجدا شبهة يتعلقان بها فى كراهة إمامة أمير المؤمنين
الجميل ص : ١٥٢

ع مع جمعه للفضل و تقدم الإيمان و الذب عن الإسلام و الجهاد فى الدين و البلاء
الحسن مع الرسول و العلم الظاهر الذى لا يختلف فى فضله اثنان من العلماء مع
الزهد فى الدنيا و الورع عن محارم الله و حسن التدبير و صواب رأى و الرحم
الماسة منه برسول الله ص و ما كان فيه من الأمور الدالة على استحقاقه التقدم على
كافة الأنام من الأمة فإنه ص لم يول عليه واليا قط و لا أنفذه فى سرية إلا و هو أميرها
و سيدها و رئيسها و قائدها و عظيمها و أنه لم يفسد أحد على عهد النبى أمرا فندبه
إليه إلا قوى فى تلافى فارطه و كان الأمر إذا أعضل فى شىء ناطه به فأنجزه و كفى به
و أغناه و فزع إليه من بعده ص من تقدمه فى مقامه عند معضل الأمور فاستعلموا منه ما
كان خافيا عليهم من أحكام الملة و صواب التدبير فى مصالح الأمة فعلم طلحة و
الزبير أن التعلق فى خلافه بكراهة البيعة له شبهة داحضة لا تثبت بها حجة عند أحد من
الفضلاء و العلماء و أنه لو ثبت ما ادعياه من إكراههما على البيعة لكان أسوء لحالهما

عند الأمة و لكان له ع فى حكم الشريعة ذلك إذ للإمام القهر على طاعته و الإكراه على الإجابة إلى ما يلزم الأمة من كف الفتنة و شمول المصلحة فلما علم الرجلان ذلك و وضع لهما ما ذكرناه فى معانيه و لم يكونا ممن يخيل عليهما فساد الدعوى لما ادعياه و قصورهما به عن غرضهما فيه عدلا إلى التظاهر بطلب دم عثمان و زعما أن الذى كان منهما قد تابا عنه و ادعيا أن التوبة لا تصح أن تتم لهما إلا ببذل الجهد فى طلب قاتليه و الاقتصاص من ظالميه و اشتبه الأمر بما سارا إليه مما ذكرناه عنهما على المستضعفين و استغويا به كثيرا من العامة البعداء عن فقه الدين

الجميل ص : ١٥٣

لحاق عائشة بالناكثين و عصيانها أمر الله

و سلكت عائشة فى خلافها لأمر المؤمنين ع مسلكتهما فى ذلك فتظاهرت به من الطلب بدم عثمان و الاقتصاص من قاتله و معلوم فى شريعة المسلمين أن ذلك ليس لهما و لا إليهما و أنهما فيما تكلفاه منه على شبهة باطلة عند الناظرين لأنهما لم يكونا أولياء لدم عثمان و لا بينه و بينهما نسب يسوغهما للتخاصم فى دمه و لا إلى النساء أيضا الدخول فى شىء من ذلك على وجه من الوجوه إذ ليس عليهن جهاد و لا لهن أمر و لا نهى فى البلاد و العباد لا سيما مع ما خص الله به أزواج النبى ص فى الحكم المضاد لما صنعتته هذه المرأة و تبينت بالخلاف فيه للدين و قص الله تعالى فى محكم التنزيل حيث يقول جل اسمه يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَ بَنَاتِكَ وَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ وَ فَرض عليهن سبحانه التحصن و التجليب و لا يتعرفن إلى أحد ففعلت هذه بضد ذلك من التبرج و هتك الحجاب و إطراح الجلباب و إظهار الصورة و إبداء الشخص و التهتك بين العامة فيما لا عذر لها فيه مع ما ارتكبه من قتال ولى الله الذى فرض عليها إعظامه و إجلاله و وجب عليها طاعته و حرم عليها معصيته و سفكت فيما صنعت دماء المؤمنين و أثارت الفتنة التى شانت بها المسلمين و أنى يواطئ ذلك ما أمرها الرسول

الجمال ص : ١٥٤

ص به

فى الحديث المشهور فقد قيل دخل ابن أم مكتوم و هو أعمى على النبى ص فقال لها قبل دخوله ادخلى الخباء يا عائشة فاستترى به من هذا الرجل فقالت يا رسول الله إنه أعمى و لن يرانى فقال لها إن لم يراك فإنك ترينه

و قال الله سبحانه فيما أدب به أصحاب نبيه يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِىَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا. فبين الله عز اسمه أن خطاب المؤمنين من أصحابه لأزواج نبيه ص يسوءه و يؤذيه و أن الانبساط لهن يشق عليه و يؤلمه و صانهن لصيانتته و حراسته فهى أن يؤنس بإحداهن أو يسألن متاعا إلا من وراء حجاب و نهى عن التلبث فى بيته بعد نيل الحاجة من طعامه و غير ذلك لئلا يطول مقامهم فيه فتأنس أزواجه بهم أو يأنسوا بكلامهن فكيف يكون هذا يوافق لما فعلته المرأة من مخالطتها للقوم و مسافرتها معهم و إطالة النجوى لهم و كونها بمحل من لا يحتشم فى خطاب و كلام و أمر و نهى و يؤنس بها فى كل حال و تصير بذلك كأمير العسكر و قائد الجيش الذى لا يتمكن من الاستخفاء عن أصحابه بحال إن هذا لعجيب عند من

الجمال ص : ١٥٥

فكر فيه و الحكم بالعصيان به لله عز و جل و الإطراح لأمره و الاستخفاف بنواهييه غير مشكل على كل ذى عقل و من اشتبه عليه ضلالها فهو ممن يعد من الأموات هذا مع قول الله عز و جل يا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ اتَّقِيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ

فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ
الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَمَعْلُومٌ عِنْدَ كُلِّ ذِي لُبٍّ عَرَفَ الشَّرْعَ وَدَانَ بِالْإِسْلَامِ أَنَّ أَزْوَاجَ عِثْمَانَ
وَبَنَاتِهِ وَبَنَاتِ عَمِّهِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ الَّذِينَ هُنَّ أُمَسٌ رَحِمًا بِهِ مِنْ عَائِشَةَ لَوْ تَكَلَّفْنَ مَا تَكَلَّفَتْهُ
لَكِنْ عَاصِيَاتٌ خَارِجَاتٌ عَنْ شَرَفِ الْإِسْلَامِ فَمَا ظَنُّكَ بِالْبَعِيدَةِ نَسَبِ النَّائِيَةِ عَنْهُ عَقْلًا وَ
مَذْهَبِ الْمَقْرِفَةِ قَتْلِهِ السَّاعِيَةِ فِي دَمِهِ الدَّاعِيَةِ إِلَى خُلْعِهِ الْمَانِعَةِ عَنْ تَصَرُّفِهِ وَمَا الَّذِي
أَحْدَثَهُ بَعْدَ إِنكَارِهَا عَلَيْهِ مِمَّا يُوجِبُ رَجُوعَهَا عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ مَعْتَقَدَةً وَهَلْ تَرَاهُ أَحْدَثَ
عَمَلًا صَالِحًا بَعْدَ قَتْلِهِ أَوْ أَحْيَاةِ اللَّهِ لَهَا فَسَأَلَهَا نَصْرَتَهُ أَمْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهَا مِنْ بَاطِنِ أَمْرِهِ
مَا كَانَ مُسْتَوْرًا عَنْهَا كَلَّا لَكِنَّ الْأَمْرَ فِيمَا قَصَدْتَهُ مِنْ حَرْبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع وَتَظَاهَرَتْ
عَلَيْهِ بِهِ مِنْ عِدَاوَتِهِ كَانَ أَظْهَرَ وَأَشْهَرَ مِنْ أَنْ تَخْفِيهِ بِالْعُلَلِ وَالْأَبَاطِيلِ وَقَدْ اجْتَمَعَ أَهْلُ
النَّقْلِ عَنْهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ فِي بَاطِنِ الْأَمْرِ وَأَوْضَحْنَاهُ عَنْهُ فِي وَجْهِ الْحِجَاجِ وَبَيْنَاهُ

الجمال ص : ١٥٧

فصل في بغض عائشة لأُمير المؤمنين ع

فَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ كَافَّةُ الْعُلَمَاءِ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ لَمْ يَزَلْ بَيْنِي وَبَيْنَ عَلَى مِنَ التَّبَاعِدِ
مَا يَكُونُ بَيْنَ الْأَحْمَاءِ وَقَالَتْ فِي خَبَرِهَا عَنْ قِصَّةِ الَّذِينَ رَمَوْهَا بِصَفْوَانَ بْنِ الْمَعْطَلِ وَمَا
كَانَ مِنْهَا فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمَصْطَلِقِ وَهَجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَهَا وَإِعْرَاضَهُ عَنْهَا وَاسْتِشَارَتَهُ
فِي أَمْرِهَا أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ قَالَتْ وَكَانَ عَبْدًا صَالِحًا مَأْمُونًا وَذَكَرَ لَهُ قَذْفُ الْقَوْمِ بِصَفْوَانَ
فَقَالَ لَهُ أَسَامَةُ لَا تَظُنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا خَيْرًا فَإِنَّ الْمَرْأَةَ مَأْمُونَةٌ وَصَفْوَانُ عَبْدٌ صَالِحٌ ثُمَّ
اسْتِشَارَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ النِّسَاءُ كَثِيرَةٌ وَسَلْ بَرِيرَةَ خَادِمَتَهَا
وَابْحَثْ عَنْ

الجمال ص : ١٥٨

خَبَرَهَا مِنْهَا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص فَتَوَلَّ أَنْتِ يَا عَلَى تَقْرِيرَهَا فَقَطَعَ لَهَا عَلَى عَسْبِهَا مِنَ
النَّخْلِ وَخَلَا بِهَا يَسْأَلُهَا عَنِّي وَيَتَهَدَّدُهَا وَيُرْهِبُهَا لَا جَرَمَ أَنِّي لَا أَحِبُّ عَلَيْهَا أَبَدًا. فَهَذَا
تَصْرِيحٌ مِنْهَا بِبَغْضِهَا لَهُ وَمَقْتَتِهَا إِيَّاهُ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْهُ عِلاَّ النَّصِيحَةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَ

اجتهاده فى الرأى و نصحه و امتثاله لأمر النبى ص و مسارعته إلى طاعته. و من ذلك ما رواه كافة العلماء من حديث عكرمة و ابن عباس و أن عكرمة خبره عن حديث حدثه عائشة فى مرض رسول الله ص الذى توفى فيه حتى انتهت من ذلك إلى قولها فخرج رسول الله ص متوكئا على رجلين من أهل بيته أحدهما الفضل بن العباس فقال عبد الله بن العباس لعكرمة فلم تسم لك الآخر قال لا و الله ما سمته فقال أ تدرى من هو قال لا قال ذلك على بن أبى طالب ع و ما كانت و الله أمنا تذكره بخير و هى تستطيع.

الجمال ص : ١٥٩

و الرواية المشهورة عن ابن عباس حين أنفذه أمير المؤمنين ع إلى عائشة و هى بالبصرة نازلة فى قصر ابن خلف يأمرها بالرحيل إلى وطنها و الرجوع إلى بيتها و الحديث مشهور قد ثبت فى كتب الجمال و غيرها أن ابن عباس قال لها إن أمير المؤمنين ع يأمرك أن ترتحل إلى بيتك فقالت رحم الله أمير المؤمنين و إن تربدت له وجوه و رغمت له معاطس. هذا مع الأخبار التى لا ريب فيها و لا مرية فى صحتها لاتفاق الرواة عليها أنها لما قتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب ع جاء الناعى فنعاه لأهل المدينة فلما سمعت عائشة بنعيه استبشرت و تمثلت بقول الشاعر

فإن يك ناعيا فلقد نعاه بناع ليس فى فيه التراب

فقالت لها زينب بنت أبى سلمة أ لعلى تقولين هذا فتضاحكت ثم قالت انسى فإذا نسيت

فذكرونى ثم خرت ساجدة شكرا على ما بلغها من قتله و رفعت رأسها و هى تقول

فألقت عصاها و استقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

هذا و قد روى عن مسروق أنه قال دخلت عليها فاستدعت غلاما باسم

الجمال ص : ١٦٠

عبد الرحمن فسألتها عنه فقالت عبدى فقلت كيف سميت به بعد الرحمن قالت حبا لعبد

الرحمن بن ملجم قاتل على. و الخبر المشهور أنه لما بعث إليها أمير المؤمنين ع

بالبصرة أن ارتحل عن هذه البلدة قالت لا أريم مكانى هذا فقال لها أم و الله لثرتحلن

أو لأنفذن إليك نسوة من بكر بن وائل يأخذنك بشقاق حداد فقالت لرسوله أنا أرتحل
فبالله أحلف ما كان مكان أبغض إلى من مكان يكون هو فيه و أمثال هذا مما لو أثبتناه
لطال به الكتاب

الجميل ص : ١٦١

تناقض مواقف عائشة

و مما يؤكد ما ذكرناه من غرض القوم فى مباينة أمير المؤمنين ع و مظاهرتة بالخلاف و
أنه لم يكن لإقامة حق و اجتهاد رأى فى إصابة طاعة و حوزة مثوبة بل كان لضغائن بينه
و بينهم لأسباب سالفه و آنفه و طمع فى عاجل و حسد له و بغى عليه و أن حكم المرأة
فيما ذكرناه ظاهر لذوى الاعتبار ما أجمع على نقله رواة الآثار و نقله السير و الأخبار
أنه لما قتل عثمان بن عفان خرج النعاه إلى الآفاق فلما وصل بعضهم إلى مكة سمعت
بذلك عائشة فاستبشرت بقتله و قالت قتلتة أعماله إنه أحرقت كتاب الله و أمات سنة
رسول الله ص فقتله الله قالت و من بايع الناس فقال لها الناعى لم أبرح من المدينة
حتى أخذ طلحة بن عبيد الله نعاجا لعثمان و عمل مفاتيح لأبواب بيت المال و لا شك
أن الناس قد بايعوه فقال إيها ذا الإصبع قد وجدوك لها كافيا و بها محسنا ثم قالت
شدوا رحلى فقد قضيت عمرتى لأتوجه إلى منزلى فلما شد رحلها و استوت على مركبها
سارت

الجميل ص : ١٦٢

حتى بلغت سرفا موضع معروف بهذا الاسم لقيها عبيد ابن أم كلاب فقالت له ما الخبر
فقال قتل عثمان فقالت قتل نعثل فقالت خبرنى عن قصته و كيف كان أمره فقال لما
أحاط الناس بالدار و به رأيت طلحة بن عبيد الله قد غلب على الأمر و اتخذ مفاتيح على
بيوت الأموال و الخزائن و تهيأ لبياع له فلما قتل عثمان مال الناس إلى على بن أبى
طالب ع و لم يعدلوا به طلحة و لا غيره و خرجوا فى طلب على يقدمهم الأشتر و محمد
بن أبى بكر و عمار بن ياسر حتى أتوا عليا ع و هو فى بيت سكن فيه فقالوا له بايعنا

على الطاعة لك قتلکأ ساعة فقال الأشر يا على إن الناس لا يعدلون بك غيرک فبايع قبل أن تختلف الناس قال و فى الجماعة طلحة و الزبير فظننت أن سيكون بين طلحة و الزبير و على كلام قبل ذلك فقال الأشر لطلحة قم يا طلحة فبايع قم يا زبير فبايع فما تنتظران فقاما فبايعا و أنا أرى أيديهما على يده يصفقانهما ببيعته ثم صعد على بن أبى طالب ع المنبر فتكلم بكلام لا أحفظه إلا أن الناس بايعوه يومئذ على المنبر و بايعوه من الغد فلما كان اليوم الثالث خرجت و لا أعلم ما جرى بعدى فقالت يا أبا بنى بكر أنت رأيت طلحة بايع عليا فقلت إى و الله رأيت بايعه و ما قلت إلا ما رأيت طلحة و الزبير أول من بايعه فقالت إنا لله أكره و الله الرجل و غصب على بن أبى طالب أمرهم و قتل خليفة الله مظلوما ردوا بغالى ردوا بغالى فرجعت إلى مكة قال و سرت معها فجعلت تسألنى فى المسير و جعلت أخبرها بما كان فقالت لى هذا بعدى و ما كنت أظن أن الناس يعدلون عن طلحة

الجمال ص : ١٦٣

مع بلائه يوم أحد قلت فإن كان بالبلاء فصاحبه الذى بويع أشد بلاء و عناء فقالت يا أبا بنى بكر لم أسألك غير هذا فإذا دخلت مكة و سألك الناس ما رد أم المؤمنين فقل القيام بدم عثمان و الطلب به و جاءها يعلى بن منية فقال لها قد قتل خليفتك الذى كنت تحرضين على قتله فقالت برأت إلى الله من قاتله فقال لها الآن ثم قال لها أظهرى البراءة ثانيا من قاتله قال فخرجت إلى المسجد فجعلت تتبرأ ممن قتل عثمان. و هذا الخبر يصرح مضمونه عما ذكرناه من أنها لم تزل مقيمة على رأيها فى استحلال دم عثمان حتى بلغها أن أمير المؤمنين ع قد بويع دون طلحة و الزبير قلبت الأمر و أظهرت ضد الذى كانت عليه من رأى و أنه لو تم الأمر لطلحة لأقامت على ما كانت عليه و أن طلحة و الزبير كانا على رأى الأول فى عثمان و أنهما رجعا عنه لما فاتهما ما كانا يأملانه من ذلك و لم يرجعا عنه لما أظهره من بعد الندم على قتل عثمان و الدعاء إلى قتلته و لا رجعا عنه استبصارا بضلالة فأعلمنا ذلك أن الذى ادعته الحشوية

لهم من اجتهاد الرأى فيه باطل و منحل و أن دعوى المعتزلة فى الشبهة عليهما فيما صارا إليه من خلاف أمير المؤمنين ع ليس بصحيح بل الحق فى ذلك ما ذهبت إليه الشيعة فى تعمدهم الخلاف و أسباب ذلك العداوة له و الشنآن مع الطمع فى الدنيا و السعى فى عاجلها و التأميل للتأمر على الناس و التملك لأمرهم و بسط اليد عليهم و أن الرجلين خاصة لما أيسا من نيل

الجميل ص : ١٦٤

ما طمعا فيه من الأمر فوجدا الأمة لا تعدل بأمر المؤمنين أحدا و عرفا رأى المهاجرين و الأنصار فى ذلك أرادا الخطوة عنده بالبدار إلى بيعته و ظنا أنهما بذلك يشركانه فى أمره فلما استويا بالحال من بعد وضح لهما أمره و رأيه و تحققا أنهما لا يليان معه أمرا فامتحنا ذلك مع ما غلب فى ظنهما كما ذكرناه بأن صارا إليه بعد استقرار الأمر له ببيعة المهاجرين و الأنصار و بنى هاشم و كافة الناس إلا من شذ من بطانة عثمان و كانوا على خفاء لأشخاصهم مخافة على دمائهم من أهل الإيمان

فصارا إلى أمير المؤمنين ع فخطب إليه طلحة و لاية العراق و طلب منه الزبير و لاية الشام فأمسك ع عن إجابتهم فى شىء من ذلك فانصرفا و هما ساخطان منه فعرفا ما كان غلب فى ظنهما قبل من رأيه ع فتركاه يومين أو ثلاثة أيام ثم صارا إليه و استأذنا عليه فأذن لهما و كان فى عليه فى داره فصعدا إليه و جلسا عنده بين يديه و قالوا يا أمير المؤمنين قد عرفت حال هذه الأزمنة و ما نحن فيه من الشدة و قد جنناك لتدفع إلينا شيئا نصلح به أحوالنا و نقضى به حقوقا علينا فقال ع قد عرفت ما مالى بينبع فإن شئتما كتبت لكما منه ما تيسر فقالا لا حاجة لنا فى مالك بينبع فقال لهما فما أصنع فقالا له أعطنا من بيت المال شيئا فيه لنا كفاية فقال أمير المؤمنين ع سبحان الله و أى يد لى فى بيت المال ذلك للمسلمين و أنا خازنهم و أمين لهم فإن شئتما رقيت المنبر و سألتهم ذلك مما شئتما فإن أذنوا فيه فعلت و أنى لى بذلك و هو لكافة المسلمين شاهدهم

الجمال ص : ١٦٥

و غائبهم لكنى أبلى لكما عذرا قالوا ما كنا بالذى يكلفك ذلك و لو كلفناكه لما أجابك المسلمون فقال لهما فما أصنع قالوا سمعنا ما عندك ثم نزلنا من العلية و فى أرض الدار خادمة لأمير المؤمنين ع فسمعتهما يقولان و الله ما بايعناه بقلوبنا و إن كنا بايعناه بالسنتنا فقال أمير المؤمنين ع إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا

الجمال ص : ١٦٦

خروج طلحة و الزبير إلى مكة

فتركاه يومين آخرين و قد جاءهما الخبر بإظهار عائشة بمكة ما أظهرته من كراهة أمره و البراءة ممن قتل عثمان و الدعاء إلى نصرته و الطلب بدمه و أن عمال عثمان قد هربوا من الأمصار إلى مكة بما احتجونه من أموال المسلمين لخوفهم من أمير المؤمنين ع و من معه من الأنصار و المهاجرين و أن مروان بن الحكم ابن عم عثمان و يعلى بن منية خليفته و عامله باليمن و عبد الله بن عامر بن كريز ابن خاله و عامله على البصرة قد اجتمعوا مع عائشة و هم يدبرون الأمر فى الفتنة فصار الرجلان إلى أمير المؤمنين ع و تيمما وقت خلوته فلما دخلا عليه قالوا يا أمير المؤمنين قد جئناك نستأذنك للخروج فى العمرة فلم يأذن لهما فقالا نحن بعيديو العهد بها ائذن لنا فيها فقال لهما و الله ما تريدان العمرة و لكنكما تريدان الغدرة و إنما تريدان البصرة فقالا اللهم غفرا ما نريد إلا العمرة فقال لهما ع احلفا لى بالله العظيم أنكما لا تفسدان على أمور المسلمين و لا تنكثان لى بيعه و لا تسعيان فى فتنة فبذلا ألسنتهما بالإيمان الوكيدة فيما استحلفهما عليه من ذلك فلما خرجا من عنده لقيهما ابن عباس فقال لهما فأذن لكما أمير المؤمنين قالوا نعم فدخل على أمير المؤمنين ع فابتدأه ع و قال يا ابن عباس أ عندك خبر فقال قد رأيت طلحة و الزبير فقال له إنهما

استأذنانى فى العمرة فأذنت

الجمال ص : ١٦٧

لهما بعد أن استوثقت منهما بالإيمان أن لا يغدرا و لا ينكثا و لا يحدثا فسادا و الله يا ابن عباس ما قصدا إلا الفتنة فكأنى بهما و قد صارا إلى مكة ليستعينا على حربى فإن يعلى بن منية الخائن الفاجر قد حمل أموال العراق و فارس لينفق ذلك و سيفسد هذان الرجلان على أمرى و يسفكان دماء شيعتى و أنصارى فقال عبد الله بن عباس إذا كان عندك الأمر كذلك فلم أذنت لهما و هلا حبستهما و أوثقتهما بالحديد و كفيت المسلمين شرهما فقال له ع يا ابن عباس أ تأمرنى أن أبدأ بالظلم و بالسيئة قبل الحسنة و أعاقب على الظنة و التهمة أؤاخذ بالفعل قبل كونه كلا و الله لا عدلت عما أخذ الله على من الحكم بالعدل و لا القول بالفصل يا ابن عباس إننى أذنت لهما و أعرف ما يكون منهما لكننى استظهرت بالله عليهما و الله لأقتلنهما و ليخين ظنهما و لا يلقىان من الأمر مناهما فإن الله يأخذهما بظلمهما لى و نكتهما بيعتى و بغيهما على و هذا الخبر و الذى تقدمه مع ما ذكرناه من الأثر موجود فى مصنفات أصحاب السير فقد أورده أبو مخنف لوط بن يحيى فى كتابه الذى صنفه فى حرب الجمل و جاء به الثقفى عن رجاله الكوفيين و الشاميين و غيرهم و لم يورد أحد من أصحاب الآثار نقيضه فى معناه و لا أثبت ضده فى فحواه و من تأمل ذلك علم أن القوم لم يكونوا فيما صنعوه على جميل طوية فى الدين و لا نصيحة للمسلمين و أن الذى أظهره من الطلب بدم عثمان إنما كان تشبيها و تلبيسا على العامة و المستضعفين و لو لا ما جعلوه من شعارهم بدعوى الانتصار بعثمان و التظاهر بتظليم قاتليه و خاذليه

الجمال ص : ١٦٨

و الندم على ما فرط منهم فيه لما اختلف اثنان من العلماء و أتباعهم فى صواب رأى المسلمين فى عثمان و أنهم إنما اجتمعوا على خلعه و قتله باستحقاقه ذلك بالأحداث التى أحدثها فى الدين و لكنهم ضلوا بما أظهره و أفسدوا فسادا عظيما بما أضمره و

لم يؤثر في المستضعفين في هذا الباب إلا لنأيهم عن معرفة الأخبار و تدبر الآثار و
اشتبه الأمر فيه على جماعة النظار بجهلهم بما أثبتناه في ذلك من الحديث و بعدهم عن
معرفة طرقه و لعل جمهورهم لم يسمع بشيء منه فضلا عن تدبره و كل من ضل عن
سبيل الحق إنما ضل بالتقليد و حسن الظن بمن لا يجب حسن الظن به و اعتقاد فضل
من خرج عنه بسوء الرأي. و طريق الإنصاف فيما ذكرناه و النظر فيما وصفناه و التأمل
لما أثبتناه من الأخبار فيه و شرحناه و الرجوع إلى أهل السير على اختلافهم في الآراء
و المذاهب و إلى كتبهم المصنفة في الفتن تعرف ذلك منهما و من تدبر الأمر يجده على
ما وصفناه و الله سبحانه و تعالى ولى التوفيق

الجميل ص : ١٦٩

براءة أمير المؤمنين ع من دم عثمان

باب آخر من القول فيما يتصل بالكلام المقدم في معانيه

قد اشتبه الأمر في رأى أمير المؤمنين ع و مذهبه في حصر عثمان و قتله تشعب أقوال
المختلفين في ذلك و لم أجد أحدا من متكلمي أصحابنا الإمامية ذكر مقالا يحصر القول
في ذلك و لا كلاما في معناه يوضح الغرض الملتبس على العقلاء و كل فريق عدا الإمامية
من أهل القبلة يقول في ذلك بظن و ترجيم و لا يضع يده في شيء منه على معرفة و
يقين و الذى تدل الدلائل عليه من رأى أمير المؤمنين ع فيما صنعه القوم بعثمان من
الحصار و مطالبته للخلع و منعه الطعام و الشراب لغاية الإجابة لهم إلى ما دعوه إليه
من اعتزال الأمر ثم الهجوم عليه بالقتل و إلقاءه على بعض المزابل لا يرون الصلاة
عليه و لا الدفن له و يمنعون من ذلك على ما أجمعت

الجميل ص : ١٧٠

عليه رواء الآثار و الأخبار المتفق على صحته العلماء بالسير و الآثار الكراهة منه ع
لجملة ذلك و اعتزال القوم فيه غير أنه لم يواط على كراهته غيره على نيته فيه و لا
وافق سواه من مخالفيه على طويتهم في معناه و ذلك أنه ع لم يتسرع مع القوم في

دعاء عثمان إلى الاعتزال و لا رأى ما رأوه من حصاره و ما ولى ذلك من أفعالهم به لأنه ع
علم عاقبة الأمر فى ذلك و تحققها و لم يخف عليه ما يكون فى مستقبل الأوقات من
الفتنة بذلك و الاختلاف و الحروب و سفك الدماء بأن مخالفيه لتقديم العداوة له و
البغضاء له و الشنثان و الحسد و البغى عليه بالطغيان سيقرفونه بقتل عثمان و
السعى فى دمه بهتا له بذلك على ما ذكرناه من الضعفاء فى الدين البعداء عن علمه و لم
يصر إلى الاعتزال عما صنعه القوم بالرجل لولائه له و لا لاعتقاده بالجميل فيه و كيف
يكون اعتزاله لهم عما رأوه من خلعه و حصره و قتله لاعتقاد الحق له عليهم و ثبوت
إمامته بحكم الله فى ذلك كما ظنه أولياء الرجل و هو ع يعلم و يعلن أنه مظلوم بدفعه
عن الأمر بعد النبى ص و تقدم من لا يستحق عليه و التصغير من شأنه و الحط بذلك له
عن قدره و إغراء السفهاء بذلك فى جحد فضله و إنكار فرضه و تظلمه من القوم جميعا
فى مقام بعد مقام على التلويح و التصريح و التحقيق و التعريض
كقوله ع

الجميل ص : ١٧١

اللهم إنى أستعديك على قریش فإنهم ظلمونى و منعونى حقى
أى إرثى فى مقام مشهور.
و قوله ع فى مقام آخر اللهم اجز قریشا عنى الجوازى فقد ظلمونى حقى و صغروا
شأنى و منعونى إرثى
و قوله ع فى مقام آخر لم أزل مظلوما منذ قبض رسول الله ص
و قوله ع اللهم اجز عمر لقد ظلم الحجر و المدر
و قوله ع فى مقام آخر و الذى فلق الحبة و برأ النسمة لعهد النبى ص إلى أنه ستغدر
بك الأمة من بعدى
و قوله ع فى مقام آخر لما قبض الله نبيه ص لم نكن نرى أن أحدا يعدل بهذا الأمر عنا
أهل البيت حتى قوى من قوى عليه فابتزنا حقنا منه

و قوله ع فى مقام آخر فلما مضى نبينا ص تقلدها أبو بكر و أنه و الله ليعلم أنى أولى بها منه قميصى هذا و قبض قميصه بيده

و قوله ع فى خطبته المشهورة أما و الله لقد تقمصها ابن أبى قحافة و إنه ليعلم أن محلى منها محل القطب من الرحى ينحدر عنى السيل و لا يرقى إلى الطير فصبرت و فى العين قذى و فى الحلق

الجميل ص : ١٧٢

شجا أرى تراثى نهبا حتى إذا حضر أجله جعلها فى صاحبه عمر فىا عجبنا بينا هو يستقيها فى حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته فى كلامه المشهور حتى انتهى إلى الشورى فذكر عمر و قال فجعلها شورى فى ستة زعم أنى أحدهم فىا لله و للشورى متى اختلج الريب فى مع الأولين حتى صرت أقرن بهذه النظائر ثم مد فى كلامه حتى انتهى إلى بيعة عثمان فذكر عبد الرحمن فى اختياره لعثمان عليه فقال و نهض واحد لضغنه و مال آخر لصهره

و كان عبد الرحمن صهر عثمان على أخته فى الكلام الثابت فى الخطبة إلى آخرها. و قوله ع فى أول خطبة خطبها بعد قتل عثمان و بيعة الناس له قد مضت أمور كنتم فيها غير محمودى رأى أما أنى لو أشاء أقول لقلت و لكن عفا الله عما سلف سبق الرجال و قام الثالث كالغراب همته بطنه و فرجه يا ويله لو قص جناحه و قطع رأسه لكان خيرا له حتى انتهى إلى قوله و قد أهلك الله فرعون و هامان و قارون يتصل بهذا الكلام إلى آخر الخطبة.

و قوله عند بيعة عبد الرحمن لعثمان يوم الشورى و الله ما أملت منه إلا ما أمل صاحبك من صاحبه دق الله بينكما عطر منشم

ثم انصرف. و أمثال هذا الكلام كثير إن قصدنا إلى إثباته لطال به الكتاب و فى ثبوت النص على أمير المؤمنين ع بالإمامة فى القرآن و الأخبار المتواترة عن النبى ص أوضح دليل على أنه ع لم يكن راضيا

الجميل ص : ١٧٣

بتقدم أحد عليه فى مقام النبوة و لا مصوبا لهم فى ادعاء الإمامة فكيف و قد تضافرت الأخبار بما ذكرناه و بما كشف به عن عقيدته فيه و رأيه فى القوم على ما بيناه و لو لم يكن عليه نص فى الإمامة و لا ورد فيه مقال فى إنكار ما صنعه القوم فى التقدم عليه فى الأمر لكان الدليل القاهر من فضله ع و ثبوته عن جماعتهم بذلك كافيا فى كراهة أمرهم و إنكاره عليهم و لو انسد الطريق فى ذلك أجمع و اشتبه الأمر فيه لم يعترض ريب فى إنكاره لأحداث عثمان بن عفان التى أجمع على إنكارها المهاجرون و الأنصار و التابعون بإحسان و ما تظاهرت به الأخبار من مواليه ع الإنكار عليه فى مقام بعد مقام

الجميل ص : ١٧٥

ما نقموه على عثمان

تعطيل عثمان الحد عن عبيد الله بن عمر بن الخطاب

أ لا ترى إلى ما جاءت به الأخبار من إنكاره ع إدراء الحد عن عبيد الله بن عمر بن الخطاب و قد استحق القود بقتله الهرمزان و من قتله معه من أهل العهد بغير حق فى مقتضى شريعة الإسلام و لما طالبه بالقود منه تعلل عثمان تارة بأن أباه قتل و لا يرى قتله اليوم لما تحزن المسلمون بذلك و تتواتر عليهم الهموم و الغموم و لما يخاف من الاضطراب به و الفساد فرد عليه أمير المؤمنين ع هذا رأى و أعلمه أن حدود الله لا تسقط و لا يجوز تضييعها بمثل هذا الاعتلال فعدل عثمان إلى التعلل بالرأى فى إسقاط الحد عن ابن عمر خلافا على رأى أمير المؤمنين ع فيه و مضادة لما ادعاه عليه و أشار به عليه فى حكم الله

الجميل ص : ١٧٦

و قال الهرمزان رجل غريب لا ولى له و أنا ولى من لا ولى له و قد رأيت العفو عن قاتله فقال له أمير المؤمنين ع ليس للإمام أن يعفو عن حد يتعلق بالمخلوقين إلا أن يعفو الأولياء عنه و ليس لك أن تعفو عن ابن عمر و لكن إن أردت أن تدرأ الحد عنه فأد الديّة

إلى المسلمين الذين هم أولياء الهرمزان و اقسامها مع ما فى بيت المال على مستحقه
فلما رأى أمير المؤمنين ع دفاع عثمان عن الحد الواجب فى حكم الله و تعلله فى ذلك
قال له أما أنت فمطالب بدم الهرمزان يوم يعرض الله الخلق للحساب و أما أنا فإننى
أقسم بالله لئن وقعت عيني على عبيد الله بن عمر لآخذن حق الله منه و إن رغم أنف من
رغم فاستدعى عثمان عبيد الله ليلا و أمره بالهرب من أمير المؤمنين ع فخرج من
المدينة ليلا و قد أصحابه عثمان كتابا أقطعه فيه الكوفة فهى تسمى كوفة ابن عمر
فلم يزل بها حتى ولى أمير المؤمنين ع فكان عبيد الله فى جملة المباينين له و اجتهد
فى حربه مع جند الشام فقتله الله ببغيه و لقاء أعماله و كفى المسلمين شره
الجمال ص : ١٧٧

فصل تظلم أهل الكوفة من الوليد بن عقبة إلى عثمان
و لما ورد أهل الكوفة يتظلمون من الوليد بن عقبة بن أبى معيط و شهدوا عليه بشرب
الخمير و سكره و صلاته فيها بالناس الفجر و هو سكران و أنه قاء بالخمير فى المحراب
و نام فى موضعه حتى حمل منه و جعل بموضع القرآن شعرا مشهورا فاغتاظ عثمان من
الشهود و تغير عليهم و أمر بضربهم فصاروا إلى أمير المؤمنين ع يشكون إليه أمرهم
و ما حل بهم من عثمان فقام على ع حتى دخل عليه فلما رآه عثمان قال ما لك يا ابن أبى
طالب أ حدث أمر قال نعم حدث أمر عظيم قال عثمان و ما ذاك قال عطلت الحدود و
ضربت الشهود فقال عثمان فما ترى قال أرى أن تعزل أخاك عن الكوفة و تستدعيه و
تقيم عليه الحد قال أنظر فى هذا

الجمال ص : ١٧٨

فصل فى اعتراض أبى ذر على عثمان
و لما كان من إنكار أبى ذر رحمه الله أحداث عثمان ما كان و دخل عليه بعض الأيام و
عنده قوم يمدحونه بالأباطيل فأخذ بيده كفا من التراب فضرب به وجوههم فقال له
عثمان ويلك ما هذا تضرب وجوه المسلمين بالتراب قال إنى لم أفعل إلا ما أمر به

رسول الله ص

اعلم أنى سمعت رسول الله ص يقول إذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب
و قد رأيت هؤلاء يتقربون بالأباطيل إليك و يمدحونك بما ليس فيك فقال له عثمان
كذبت فيينا هو يكذبه و يغلظ له فى القول و أبو ذر يخاصمه إذ دخل أمير المؤمنين ع
فقال له عثمان يا على أ ما ترى هذا الكذاب كيف يكذب على رسول الله ص فقال له على
أنزله يا عثمان فيما قال منزلة مؤمن آل فرعون قال الله عز اسمه إِنَّ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ
كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ فغضب عثمان و قال اسكت بفيك
التراب فجثا على ركبتيه ثم قال له بل بفيك التراب سيكون

الجميل ص : ١٧٩

فصل فى غضب عثمان من إقامة الحد على الوليد

و لما حضر الوليد لإقامة الحد عليه أخذ عثمان السوط فألقاه إلى من حضره من
الصحابه و قال و هو مغضب من شاء منكم فليقم الحد على أخى فأحجم القوم عن ذلك
فنهض أمير المؤمنين ع و بيده السوط إلى الوليد فلما رآه الوليد يقصد نحوه ليضربه
نهض من موضعه لينصرف فبادر إليه ع فقبضه فشتمه الوليد فسبه أمير المؤمنين ع بما
كان أهله و تعتعه حتى أثبت إقامة الحد عليه فاستشاط عثمان من ذلك و قال له ليس
لك أن تتعتعه يا على و لا لك أن تسبه فقال له ع بل لى أن أقهره على الصبر على الحد
و ما سبيته إلا لما سبنى بباطل فقلت فيه حقا ثم ضربه بالسوط و كان له رأسان أربعين
جلده فى الحساب بثمانين فحقدها عليه عثمان

الجميل ص : ١٨٠

فصل إرجاع عثمان طريد رسول الله ص إلى المدينة

و لما رد عثمان طريد رسول الله ص الحكم بن أبى العاص و كان قد نفاه عن المدينة
إلى الطائف و ذلك أنه كان يؤذى النبى ص حتى بلغ من أذاه أنه كان يتسلق على حائط
بيته ليراه مع أزواجه فبصر به ص و هو متطلع عليه فلما وقعت عيناه فى عينيه كلع فى

وجه النبي ص ثم نزل و كان النبي ص إذا مشى مشى خلفه الحكم ثم تخلع فى مشيته يحكيه ص و كانت من رسول الله ص التفاته إليه فقال له كن كما أنت فلا يقدر على المشى بعدها إلا مختلعا و كان يقف نصب عينيه فإذا تكلم رسول الله ص بشيء من الوحي أو شرع لأمره من الدين شيئا أو وعظهم و أذرهم أو وعدهم أو رغبهم أو علمهم شيئا من الحكم لوى الحكم شدقيه فى وجهه يحكيه و يعيب به فلما طال

الجميل ص : ١٨١

ذلك منه على رسول الله ص و قد كان يدارى قومه من قبل بالصبر عليه نفاه إلى الطائف و أباح دمه متى وجد بالمدينة و مضى رسول الله ص و الحكم مطرود فلما ولى أبو بكر جاءه عثمان فسأله فى رده فامتنع عليه و قال له قد مضى رسول الله ص و لم يأذن له فى الرد فإنى لا أردته فلما مات أبو بكر و ولى عمر الأمر جاءه عثمان ليسأله فى رده فقال قد كنت سألت رسول الله ص فى ذلك فلم يجبك و سألت أبا بكر فلم يجبك و لست أنا أجيبك إلى ما سألت فأمسك يا عثمان فإنى لا أخالف صاحبي فلما ولى عثمان الأمر استدعاه من الطائف إلى المدينة و آواه و حباه و أعطاه و أقطعه المربد بمدينة الرسول ص فعظم ذلك على المسلمين و قالوا آوى طريد رسول الله ص و حباه و أعطاه و صاروا إلى أمير المؤمنين ع فسألوه أن يكلمه فى إخراجهم عن المدينة و رده إلى حيث نفاه رسول الله ص فجاءه أمير المؤمنين ع فقال قد علمت يا عثمان أن رسول الله ص قد نفى هذا الرجل عن المدينة و مات و لم يرد و أن صاحبيك سلكا سبيله فى تبعيده و ابتغاء سنته فى ذلك فقد عظم على المسلمين ما صنعت فى رده و إيوائه فأخرجه عن المدينة و اسلك فى ذلك سنة رسول الله ص فقال يا على قد علمت مكان هذا الرجل منى و أنه عمى و قد كان النبي ص أخرجه ليلا عنه لبلاغه ما لم يصح عليه و قد مضى النبي ص لسبيله و رأى أبو بكر و عمر ما رأياه و أنا أرى أن أصل رحمى و أقضى حق عمى

الجميل ص : ١٨٢

و ليس هو شر أهل الأرض و فى الناس من هو شر منه فقال ع و الله لئن أبقيته يا عثمان

ليقولن الناس فيك شرا من هذا و شرا من هذا

الجميل ص : ١٨٣

فصل فى استئثار عثمان ببيت المال

و لما كان من عثمان من تفريق ما فى بيت المال على أوليائه و أقربائه و إخراج خمس مال إفريقية إلى مروان بن الحكم و تسويغه إياه و حبائه زيد بن ثابت بمائة ألف درهم من بيت المال و إقطاعه من أقطع من أرض المسلمين و إجازته الشعراء بكثير من مال المسلمين أعظم المسلمون ذلك و فزعوا إلى أمير المؤمنين ع فدخل عليه و وعظه و ذكر له ما عليه المسلمون من إنكاره بما عمله فسكت عثمان و لم يجبه بحرف فلما طال على أمير المؤمنين ع سكوته قال له بما ذا أرجع إلى المسلمين عنك أ لك عذر فيما فعلت قال انصرف يا ابن أبى طالب فساخرج إلى المسجد و تسمع منى جواب ما سألت عنه. ثم خرج عثمان بعد وقت حتى صعد المنبر و اجتمع المسلمون لسماع كلامه فقال معاشر المسلمين قد بلغنى خوضكم فى برى أهل بيتى و صلتى لهم و حباى لمن حبوت من أهل بيتى و أوليائى و ذوى قرابتى إن رسول الله ص كان من بنى هاشم فحبا أهله و وصلهم و جعل لهم الخمس نصيبا و وفره عليهم

الجميل ص : ١٨٤

و نحلهم صفو الأموال و أغناهم عن السؤال و أن أبا بكر حبا أهله و خصهم بما شاء من المال و أن عمر حبا بنى عدى و أصفاهم و خصهم بالإكرام و الإعظام و أعطاهم ما شاء من المال و أن بنى أمية و عبد شمس أهلى و خاصتى و أنا أخصهم بما شئت من المال أما و الله لو قدرت على مفاتيح الجنة لسلمتها إلى بنى أمية على رغم أنف من رغم. فقام عمار بن ياسر فأخذ بطرف أنفه و قال و الله إن أنفى أول أنف يرغم بذلك و تفرق المسلمون على سخط من مقالته و جاء خزان بيت المال فألقوا المفاتيح بين يديه و قالوا لا حاجة لنا فيها و أنت تصنع فى أموال الله ما تصنع

الجميل ص : ١٨٥

فصل فى غضب عثمان على عمار و ضربه إياه

و لما كتب المسلمون كتابا يذكرون فيه ما ينكرون من أحداثه التمسوا من يوصله إليه ليوقف عليه فيرجع عن ذلك أو يعرفون رأيهم فيه فوقع اختيارهم على عمار بن ياسر فضمن لهم عرض الكتاب عليه و أخذه ثم استأذن حاجبه فى إيصاله إليه فأذن له فدخل عليه و قد لبس ثيابه و هو يلبس خفيه فقال له مرحبا بك يا عمار فيم جئت قال جئتك بهذا الكتاب فأخذه من يده فلما قرأه تغير و استشاط غضبا ثم قال له يا ماص بظر أمه أنت تجترى على فتلقانى بما أكره و وثب إليه فدفعه حتى انصرع على الأرض و داس بطنه و عورته حتى أحدث و أغمى عليه فلم يصل الظهر و العصر و المغرب و العشاء الآخرة و عرف المسلمون ذلك فانكروه و قال فيه أمير المؤمنين ع ما هو مشهور روى ذلك محمد بن إسحاق عن الزهرى و أبو حذيفة القرشى عن رجاله و غيرهما من أصحاب السير.

الجميل ص : ١٨٦

و قد كان من أمير المؤمنين ع فى مقامات آخر تنديد عليه و وعظ مشهور و كان بينه و بين عثمان هنات و مهاجرات و مباينات فى أوقات متفرقات. من ذلك ما رواه أبو حذيفة القرشى قال حدثنى إسحاق بن محمد قال حدثنى الحسن بن عبد الله عن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن عبد الله بن عباس قال كان بين عثمان بن عفان و بين على بن أبى طالب ع كلام على عهد عمر بن الخطاب فقال له عثمان فيما يقول فما ذنبى و الله لا تحبكم قريش أبدا بعد سبعين رجلا قتلتموهم منهم يوم بدر كأنهم شنوف الذهب

الجميل ص : ١٨٧

نصيحة أمير المؤمنين ع لعثمان

و روى المدائنى عن على بن صالح قال ذكر ابن دأب قال لما عاب الناس على عثمان ما عابوا كلموا عليا فيه فدخل عليه و قال إن الناس ورائى قد كلمونى فيك و الله ما أدرى ما أقول لك ما أعرف شيئا تنكره و لا أدلك على شيء تجهله إنك لتعلم ما نعلم ما

سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه و لا خلونا بأمر فنعلمك و قد رأيت كما رأينا و سمعت
كما سمعنا و صحبت رسول الله ص كما صحبتنا و ما ابن أبي قحافة و لا ابن الخطاب
بأولى بشيء من عمل الخير منك و أنت أقرب إلى رسول الله ص و قد نلت من صهره ما
لم ينالا فالله الله في نفسك فإنك و الله ما تبصر من عمى و لا تعلم من جهل و إن
الطريق لواضحة بينة و إن أعلام الدين لقائمة تعلم يا عثمان أن أفضل عباد الله عند
الله إمام عادل هدى و هدى به أحيا سنة معلومة و أمات بدعة مجهولة و إن السنن لنيرة
لها أعلام و إن البدع لظاهرة لها أعلام و إن شر الناس عند الله إمام جائر ضل و ضل به
و أمات سنة معلومة و أحيا بدعة متروكة و إنى سمعت رسول الله ص

الجميل ص : ١٨٨

يقول يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر و ليس معه نصير و لا عاذر فيلقى في جهنم
فيدور فيها كما تدور الرحى ثم يرتطم في غمرة جهنم و إنى أحذرك أن تكون إمام هذه
الأمة الذى يقتل فإنه كان يقال يقتل فى هذه الأمة إمام فيفتح عليها القتل و القتال إلى
يوم القيامة و يلتبس عليها أمرها و تنشب الفتن فيها فلا يبصرون الحق لعلو الباطل
يموجون فيها موجا و يمرجون فيها مرجا فلا تكن لمروان سيقه يسوقك حيث شاء بعد
جلال السن و تقضى العمر

فقال له عثمان كلم الناس فى أن يؤجلونى حتى أخرج إليهم من مظالمهم فقال ع ما
كان فى المدينة فلا أجل فيه و ما غاب فأجله وصول أمرى إليهم فقال له عثمان و الله
قد علمت ما تقول أما و الله لو كنت بمكانى ما عنفتك و لا ثلبتكم و لا عبت عليكم و لا
جئت منكرا و لا عملت سوء أن وصلت رحما أو سددت خلة.

الجميل ص : ١٨٩

ثم خرج عثمان فجلس على المنبر مغضبا فقال أما بعد فإن لكل شيء آفة و لكل نعمة
عاهة و إن آفة هذه الأمة و عاهة هذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ما تحبون و
يسرون ما تكرهون يقولون لكم و تقولون طعام أمثال النعام يتبعون أول ناعق أحب

مواردها إليها البعيد لا يشربون إلا نغصا و لا يردون إلا عكرا لا يقوم لهم رائد و الله
لقد عبتكم على بما أقررتكم لابن الخطاب بمثله و لكنه وطئكم برجله و ضربكم بيده و
قمعكم بلسانه فدنتم له ما أحببتم أو كرهتم و أوطأتكم كتفى و كففت يدي و لسانى
عنكم فاجترأتم على أم و الله لأننا أعز نفرا و أقرب ناصرا و أكثر عددا و أقمن من قال
هلم أتى إلى و لقد أعددت لكم أقرانكم و أفضلت عليكم فضلا و كشرت لكم عن نابى و
أخرجتم منى خلقا لم أكن أحسنه و منطلقا

الجميل ص : ١٩٠

لم أكن به أنطق فكفوا عنى ألسنتكم و طعنكم و عيبكم على ولاتكم فما الذى تفقدون
من حقكم و الله ما قصرت فى بلوغ شىء ممن كان قبلى و ما وجدتكم تختلفون عليه فما
بالكم فما لى لا أصنع فى الفضل ما أريد فلم كنت إذن إماما. فقام مروان بن الحكم
فقال إن شئتم حكما بيننا و بينكم السيف فنحن و أنتم كما قال الشاعر
زرعنا لهم أحسابنا فنمت لهم مغارسهم إذ ينبتون على الدمن
فقال عثمان لمروان اسكت أسكتك الله دعنى و أصحابى ثم نزل عثمان.

الجميل ص : ١٩١

فلما كان بعد أيام عاد إليه أمير المؤمنين ع فوعظه فقال له لست ألومك يا على و إنى
لأعلم شأنك لى دعنى و أصحابى فقال له على ع قد أدبت إليك ما أوجب الله على و خرج
من عنده فلم يكن بأسرع من عثمان أن خرج إلى المسجد فرقى المنبر فحمد الله و
أثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فو الله ما عاب على من عاب منكم إلا و أنا أعرفه و
لكنى منتنى نفسى و كذبتنى نصيحتى و ضل عنى رشدى

و قد سمعت رسول الله ص يقول من زل فليتب و من أخطأ فليتب
و لا تتماذوا بالهلكة إن من تمادى فى الجور بعد عن الطريق فأنا أول من اتعظ أستغفر
الله إذا زللت فليأتنى أشرافكم فيردونى فو الله لئن ردنى إلى الحق عبد لأكونن له
كالمرقوق إن ملك صبر و إن عتق شكر و ما عن الله مذهب إلا إليه لا يعجزن عنكم

خياركم أن يدنوا إلى لئن أبت يميني لتتابعني شمالي فقام إليه المقداد بن عمرو فقال
يا عثمان لا يرحل رحلك من ليس معك.

الجميل ص : ١٩٢

و لما نزل عثمان وجد في منزله مروان بن الحكم و سعيد بن العاص و نفرا من بنى أمية
فلما جلس قال له مروان يا أمير المؤمنين أتكلم أم أصمت فقالت له نائلة بنت
الفرافصة امرأة عثمان بل اصمت فأنتم و الله قاتلوه و موبقوه إنه قال مقالة لا يمكن
أن ينزع عنها فأقبل عليها مروان فقال لها و ما أنت و هذا فو الله لقد مات أبوك و لا
يحسن أن يتوضأ فقالت له مهلا عن ذكر الآباء فإنك تخبر عنه و هو غائب تكذب عليه و
إن أباك لا يستطيع أن يدفع عنه أما و الله لو لا عفو ربنا عنه لأخبرتكم و لم أكذب عليه
قال مروان و أعرض عنها أتكلم أم أسكت فقال له عثمان تكلم فقال بأبي أنت و أمي
لوددت أن مقاتلك هذه و أنت ممتنع منيع و كنت أول من رضى بها و أعان عليها و لكنك
قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطبيين و بلغ السيل الزبي أعطى الخطئة الذليلة الذليل
و الله لإقامة على خطيئة يستغفر

الجميل ص : ١٩٣

منها أجمل من توبة تخوف عليها فإنك إن شئت تقربت بالتوبة و لم تقر بالخطيئة و قد
اجتمع على الباب مثل الجبال من الناس قال فاخرج إليهم و كلمهم فإنى أستحيي منهم
فخرج مروان ففتح الباب و الناس يركب بعضهم بعضا فقال ما شأنكم قد اجتمعتم أيها
الناس كأنكم جئتم لنهب شاهت الوجوه كل منكم آخذ بإذن صاحبه ألا من أريد جئتم
تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا اخرجوا عنا أما و الله لئن رمتونا ليمرن عليكم منا
أمر لا يسركم و لا تحمدوا غب رأيكم ارجعوا إلى منازلكم فإننا و الله ما نحن بمغلوبين
على المبادرة و لكن لم نرضها. فرجع الناس و خرج بعضهم إلى أمير المؤمنين فقالوا
خرج علينا مروان فقال كذا و كذا و قصوا عليه الخبر
فخرج على ع مغضبا حتى دخل على عثمان فقال أ رضيت يا عثمان من مروان و لا يرضى

منك إلا بتحرفك عن دينك و بخدعك عن عقلك مثل جمل الطعينة يقاد حيث يسار به و
الله ما مروان بذى رأى فى دينه و لا نفسه و ايم الله إنى لا أراه إلا سيوردك و لا
يصدرك و ما أنا عائد

الجميل ص : ١٩٤

بعد مقامى هذا لمعاتبتك أذهبت و الله شرفك غلبت على أمرك ثم انصرف عنه

الجميل ص : ١٩٥

و بعث عثمان فى الحال المسور بن مخرمة الزهرى بكتاب إلى معاوية بن أبى سفيان أما
بعد فإنى كتبت إليك كتابى هذا و و الله ما أحسبه يبلغك و أنا حى و قد رأيتك و رضيت
بمكانك و اطمأنتت إلى نفسك و وثقت بأمنية من مناك و لن تنتهى بك الأمنية دون
الذلة أو المنية فأحدهما خير لك من الأخرى فإذا بلغك كتابى هذا فابعث إلى جيشا
سريعا برجل معه من أهل ثقتك فى نفسك و اجعله حبيب بن مسلمة ثم مره فليجعل
اليومين يوما و الليلتين ليلة و المنزلين منزلا و إن استطعت أن تفاجئنى مفاجأة فقد
ألقيت العصا و لم يبق إلا خدوات و أعط و امنع و هات و هلم و نعم و لا و بين ذلك
موت عاجل و أمر ناهض و الدين مع أول صدمة و السلام.

الجميل ص : ١٩٦

فى أمثال ما أثبتناه من كلام أمير المؤمنين ع لعثمان و إنكاره عليه فى مقام بعد مقام و
اعتزاله أمره و أمر القوم حتى كان منه و منهم ما كان و كيف يكون أمير المؤمنين ع
مصوبا رأى عثمان مع ما وصفناه و راضيا بشيء من أفعاله على ما ذكرناه و كيف لا يكون
ساخطا مع ما بيناه و مشاركا للقوم جميعا فى تبديعه على ما قدمناه غير أنه لم
يساعدهم على حصره و لا أعانهم على خلعه و لا شركهم فى قتله لما أسلفناه من القول
فى عاقبة ذلك و علمه بها و إحاطته بجميع ما كان منها و لإقامة الحجة على قارفيه بدمه
فى بطلان تزويرهم له و إيضاحه عن بهتانهم فيه عليه و ليس ذلك بمناف لرأيه الذى
بيناه عنه و شرحناه و لنا فى أحكام قاتلى عثمان و خاذليه و حاصريه كلام سنبيه شافعا

لهذا الفصل إن شاء الله

الجميل ص : ١٩٧

فصل الآراء فى أحداث عثمان

اعلم علمك الله الخير و جعلك من أهله و وفقك لما يرضاه أنى لم أجد أحدا حقق القول فى آراء المنكرين على عثمان و ما أنكروه من الأحداث و لا صواب مذاهبهم فى ذلك و خطأها و أكثر من قال منهم قولاً فهو يسنده إلى ظن تضعف أمارته أو إلى عقد يسبق له فى ذلك و كان قوله فيه بحسبه و القوم عندى فى ذلك كانوا على مذاهب شتى و آراء متباينة و أغراض متنافية. فطائفة منهم تعلقوا عليه بأحداث لم ينكروا مثلها من غيره طمعا فيه و استعفاء لما له و قصدا إلى تقلد الأمر من بعده و نيل الرئاسة بخلعه و قتله فمن هذه الطائفة من قدمنا ذكره فى حصر عثمان و تولى ذلك بنفسه و أعوانه و تغلب على بيت المال فى حياته و جعل لأقفال أبوابه مفاتيح فى يديه فاجتهد فى سفك دمه بمنعه الماء و سعيه فى إتلافه بذلك فلما تم الأمر فى قتل الرجل تطاول منهم من تطاول للأمر فظن أنه

الجميل ص : ١٩٨

مطاع مختار متابع فبطل بانصراف الناس إلى غيره باختيارهم سواء ظنه فلما فاته ما كان أمله و رجاه بالسعى الذى سعاه و انقاد لبيعة الإمام إما طمعا أو خوفا تعقب رأى فنكت البيعة و خرج عن العهدة و فارق الإسلام و نصب له الحرب حتى آل أمره فى ذلك إلى ما آل. و طائفة منهم أرغمها عثمان بمنعه لها المراد منه و ردها عن طلباتها و أبطل رسومها فحققت عليه لذلك و سعت فى خلعه و سفك دمه و ظنت أن الأمر يصير من بعده إلى من تتمكن من قياده و يجيئها إلى ملتمسها بها منه فلما تم ما سعت فيه فات القوم الذى رجى لهم ما رجى من الأمر و رجعت عن رأيها إلى نقيضه و أظهرت الندم على ما فرط منها فيه و تحيزت إلى الفرقة الأولى و صارت معها ألبا على الإمام القائم مجتهدة فى إزالة الأمر عنه و مصيرة إلى من ترجوه معيناً لها و مطيعاً لأمرها و سامعاً لقولها

فلقيت الجميع الخيبة مما رجت و كانت عاقبة أمرها خسرا. و طائفة انتقضت عاداتها بعثمان و الإكرام لها و الإعظام ممن تقدمه فصارت بذلك كارهة لأمره و ساعية في خلعه. و طائفة كان المتقدمون يقلدونهم الأعمال فاستبدل عثمان منهم سواهم من الناس و حرمهم ما كانوا يصلون إليه من بيت المال فسعوا من ذلك في خلعه

الجميل ص : ١٩٩

و عاونوا من أجله على قتله. و طائفة استشنعت أحداثا كانت منه و اعتقدت فيه الضلال بذلك و قصدت في خلعه قصد الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فربما كان منهم غلط فيما استشنعه و ربما كان منهم مصيب فيه غير أن الغرض كان منهم فيما صنعوه قصدا لنصرة الدين و الإسلام و هذه الطائفة هي التي كانت الأصل في الإنكار عليه و بفعالها تسببت الأسباب في خلعه و قتله. و طائفة منهم كانت تعتقد الحق في أصل الإمامة و طريقها و ترى أن السالك سبيل عثمان في نبيل الأمر مشاركا فيما أنكروه منه و لم يكن الذي حملهم على معونة حاصريه و قاتليه ممن عددناه بشيء من أغراضهم على ما شرحناه و فصلناه بل كان غرضهم في ذلك بما لو تم لهم فيما صنعوه فيمن تقدم لسارعوا إليه لكن لم يتفق لهم في المتقدم و اتفق لهم في المتأخر. فأما خاذلوه فجمهورهم تنقسم أغراضهم في ذلك إلى أغراض من سميناه من خذله أو الشك في حاله و أحوال حاصريه و قاتليه فلذلك لم يجوزوا المعونة لهم عليه و لا تفردوا بالنصرة له

منهم

الجميل ص : ٢٠٠

موقف أمير المؤمنين ع من أحداث عثمان

و أما أمير المؤمنين ع فلم يكن تفرده عن نصرته و ترك النهوض بالدفاع عنه خذلانا له لرأى يستصوبه في خلعه و قتله بل كان رأيه ع تابعا في ذلك لعقيدته فيمن تقدم عليه بالأمر من كافة القوم و كان عالما بالعواقب غير شاك في المصالح يرى المودة و المهادنة و الرقود و المسالمة إلى انقضاء المدة التي يعلم صواب التدبير فيها بذلك

فامتنع ع من التحمل للدفاع عن حصره و قتله بمثل ما امتنع من دفاع المتقدمين عليه
فى الأمر و ذلك لشيئين معروفين أحدهما لعدم الأنصار له على مراده فى ذلك و الثانى
لوخيم العاقبة فى المباينة للجمهور و لما يقتضى الحرب و يوقع الفتنة و قد دفع ع
عنه بالقول فى أحوال اقتضت المصلحة عند دفاعه به و أمسك عن الإنكار لما كان
القوم عليه و رأى فى حصره و خلعه و قتله لما عرف من جميل العاقبة فى ذلك و لو لم
يكن ع مستودعا علم ذلك كما تذهب إليه الشيعة فيه لكانت مشاهدته للحال و دلائلها
تكفيه و تقنعه فيما صنع و رآه فى الأحوال و الاختلاف بين ذوى العقول فإن الشاهد
يرى ما لا يرى الغائب فعمل ع فى اختلاف الأقوال منه و الأفعال على علمه بعواقب
الأمر و شاهد الحال فلذلك التبس الأمر على الجمهور فى رأيه ع فى عثمان و قاتليه.
الجمال ص : ٢٠١

فنسبه بعض الناس إلى الرضا بما صنع القوم بعثمان. و نسبه آخرون إلى المواطاء
عليه و التآليب. و نسبه آخرون إلى الهوى فى ذلك و التقصير فيما كان يجب عليه
لعثمان. و نسبه آخرون إلى الكراهة لما أجرى القوم فى حصر الرجل فادعوا أنه كان
له مواليا و بأعماله راضيا لكن العجز عن نصرته أقعده عنها. ثم أكد الشبهة عليهم فيما
ذكرناه من اختلاف الاعتقاد فى ذلك ما قدمنا ذكره من أفعاله المختلفة مع عثمان تارة
ينكر عليه ما أنكره المسلمون و تارة يدفع عنه و ينهى عن قتله القاصدين إلى ذلك من
أهل الأمصار و تارة ينكر على من منعه الماء و يغلظ لذلك و يغضب من خلافه فيه و تارة
يجلس فى بيته و هو يرى الناس يهرعون إليه لقتله و الاجتهاد فى طلب دمه فلا يكون
منه وعظ فى ذلك و لا تخويف بالله عز و جل فى ذلك و هو فى ظاهر الحال مطاع معظم
مسموع المقال مستجاب الأمر متبع رأى هذا مع هجره عثمان أحيانا و صلحه أحيانا
و منازعته له حيناً و مسالمته له حيناً و تغليظ القول عليه أحيانا و تسهيله عليه أحيانا
و سعيه فى الصلح بينه و بين الناس زماناً و ترك ذلك إلى الكف عنه زماناً هذا مع أن
المحفوظ من قوله فيه بعد قتله مما تختلف ظواهره و تشبهه معانيه.

كقوله ع وقتا و الله ما قتلت عثمان و لا مالأت على قتله

الجميل ص : ٢٠٢

و قوله ع حينما الله قتل عثمان و أنا معه

و قوله ع وقتا آخر لو لم يدخل الجنة إلا قاتل عثمان لما دخلتها و لو لم يدخل النار

إلا قاتل عثمان لما دخلتها

و قوله ع وقتا آخر و الله ما غاضني قتل عثمان و لا سرنى و لا أحببت ذلك و لا كرهته

و قوله ع أكبت الله قتله عثمان

و قوله ع عند مطالبه القوم له بقتله عثمان من قتل عثمان فليقم فقام إليه أربعة آلاف

من الناس المتحيزين إليه فقال أ هؤلاء يقتلون بعثمان مع كون قتله عثمان خاصة

أنصاره و أعوانه و أصحابه و إظهاره الولاية لهم و التعظيم و المودة و الإكرام مع

ثقتهم بهم و ائتمانه لهم

و قوله ع مع ذلك اللهم اقتل قتله عثمان فى بر الأرض و بحرهما

الجميل ص : ٢٠٣

فى أمثال ما ذكرناه و لكن الأفعال و الأقوال التى ذكرناها منه متلائمة غير مختلفة فى

معناها إذا خص بعضها ببعض و حمل بعضها على بعض فى رأى الذى تقتضيه الأحوال و

يوجبه النظر فى العلم بالعواقب و تمام المصالح

الجميل ص : ٢٠٤

فصل رأى الجاحظ فى أمير المؤمنين ع

قد زعم الجاحظ أن أمير المؤمنين ع كان ممنوا بعد قتل عثمان بمحن عظيمة و ذلك أن

جميع من نصب له الحرب و جعل الحجة عليه فيه دعواه عليه قتل عثمان قال و ظاهر

الحال كانت توهم ذلك عليه لأنه كان مباينا له فى أحوال و أوقات و هاجرا له فى أزمان

و أيام و كان المنكرون على عثمان من أهل مصر و العراق يلجئون إليه فى السفارة

بينهم و بين عثمان و كان فيهم مسموع القول مطاعا معظما مأمونا ثم قعد عن نصرته و

تقلد الأمر من بعده و استنصر على محاربيه بقتلته فلم يشك القوم فى أنه قاتله قال و واحدة من هذه الخصال تريب فكيف بجميعها ثم قال و قد علم الناس أنه قد يكون فى هذا المصر الذى يتولاه أميرا و وزيرا و عاملا من يؤهل لمثل عمله و يصلح لمثل رتبته و يمد عنقه إلى مثل ولايته و لا يتفق له مراده

الجمل ص : ٢٠٥

من ذلك و يقصده الناظر بما يمنعه من صرفه و التدبير فى عزله فيلزم بيته و يقصر مراعاته خوفا من سعيه فى عزله و تولى مقامه فيموت حتف أنفه فلا يشك الناس أنه دس إليه من قتله أو ما قتله به و لو قتل ذلك الإنسان ذو عز تعرض لضره أو لطلب ماله لقطعوا أن أمير البلدة واطأه على ذلك و دبر الأمر فيه عليه و قد يحبس السلطان بعض الرعية لشيء يجده فى نفسه عليه فيموت فى الحبس حتف أنفه فيحلف خلق من الناس بالله أنه تقدم بخنقه و لا يشك الجمهور أنه واطأ على دمه و لو أقسم السلطان بالله أقساما أكدها على البراءة من دمه لجعلوا ذلك شبهة فيما ادعوه عليه من قتله ثم قال هذا الرجل أعنى الجاحظ إن أقوال أمير المؤمنين فى عثمان إنما اختلفت و تناقضت بزعمه لأنه كان محتاجا إلى التبرئ من دمه لكف أهل البصرة و الشام عنه بذلك و كان محتاجا إلى إضافة دم عثمان إليه لاستصلاح رعيته و ارتباطهم به لنصرته.

الجمل ص : ٢٠٦

و ليس الأمر كما ادعاه الجاحظ و لا القصة فيه كما توهمها و إنما حمل الجاحظ حال أمير المؤمنين ع فى ما زعمه على أحوال أهل الدنيا و من لا دين له و لا يقين و لا تقوى و من يصنع ما يصنع و يقول ما يقول لعمارة الدنيا و لا يبالى بعاقبة ذلك فى الآخرة بل كانت أفعال أمير المؤمنين ع و أقواله التى أثبتناها فيما تقدم على الأغراض التى أنبأنا عنها و أوضحنا عن اتفاقها و وفاقها للدين و النظر فى مصالح المسلمين و من تأمل ما ذكرناه و فكر فيه بقلب سليم وجده على ما وصفناه

الجمل ص : ٢٠٧

فصل رأى العثمانية فى قتله عثمان

و قد زعمت العثمانية أن الذى يدل على مشاركة على ع قتله عثمان فى دمه أشياء قد ثبتت فى الأخبار و تظاهرت بها الآثار. منها أنه تولى الصلاة بالناس يوم النحر و عثمان محصور و لم يستأذنه فى ذلك و تغلب عليه فيه و هذا مما جعله الشافعى حجة فى جواز صحة صلاة المتغلب بالناس يوم الجمعة و العيدين و رد به على أهل العراق فى إنكارهم ذلك و قولهم لا تصح الصلاة فى الجمعة و العيدين خلف المتغلب فحكى الربيع و المزنى جميعا عن الشافعى أنه قال فى هذه المسألة لا بأس بصلاة الجمعة و العيدين خلف الأمر و المأمور فقد صلى على ع بالناس و عثمان محصور. و قد روى أبو حذيفة القرشى عن محمد بن إسحاق و غيره أن قوما صاروا إلى عثمان و هو محصور فقالوا أ ما ترى إلى هؤلاء الذين يصلون بالقوم فى يوم الجمعة و أنت على هذه الحالة لم تأمرهم بذلك و قد كان طلحة بن عبيد الله صلى بهم يوم الجمعة فى حصاره فحكوا عن عثمان أنه قال إذا أحسنوا فاتبعوهم و إن أساءوا

الجمال ص : ٢٠٨

فاجتنبوهم الصلاة حسنة فصلوا إذا صلوا فزعمت العثمانية أن عليا كان متهما بدم عثمان لصلاته بالناس يوم النحر من غير إذنه و ادعى الشافعى أنه كان متغلبا بذلك و لم يتعلق أحد لقرف طلحة بدم عثمان لصلاته بالناس يوم الجمعة و عثمان محصور و لا نسبوه إلى التغلب بذلك و براءة من دمه و هو الذى تولى حصره حتى قتله و كانت شبهتهم فى براءة طلحة خلافه لأمير المؤمنين ع و التمويه فى حربته بالتظاهر لطلب دم عثمان و عقول هؤلاء القوم عقول ضعيفة و أحلامهم أحلام سخيصة فلذلك ينقادون من الشبهة إلى ما ذكرناه. و مما تعلق القوم به أيضا فى قرف أمير المؤمنين ع بدم عثمان بعد الذى ذكرناه و عددناه مقامه بالمدينة منذ حصر و قول أسامة بن زيد مشيرا عليه بالخروج عنها على ما رواه أبو حذيفة القرشى عن رجاله قال قال أسامة بن زيد لعلى لأنت و الله يا أبا الحسن أعز على من سمعى و بصرى فأطعنى و اخرج إلى أرضك ينبع

فإن قتل عثمان و أنت شاهد طالبك أناس من الناس بدمه و إن قتل و أنت لم تشهد لم تعدل بك الناس أحدا فقال ابن عباس لأسماء يا أبا محمد أ تطلب أثرا بعد عين أ بعد ثلاثة من قريش. و روى يوسف بن دينار عن عبد الملك بن عمير اللخمي عن ابن أبي ليلى قال سألتني عبد الملك بن مروان حين قدم الكوفة عن قتل عثمان فأخبرته فقال أين كان

الجميل ص : ٢٠٩

على يومئذ فقلت بالمقاعد يأمر فيطاع و ينهى فيطاع و لقد رأيته عند أحجار الزيت محتبيا بسيفه و المنادى ينادى آمن الله الناس كلهم إلا الشقي نعتلا فقال عبد الملك هل سمعت عليا يقول شيئا فقلت لا. و روى النخعي عن علقمة بن قيس قال أرسلت أم حبيبة بنت أبي سفيان إلى علي و هو قاعد في المسجد أن أمن لي خاصتي و من في الدار من أهلي فقال الناس كلهم آمنون إلا الشقي ابن أبي العاص. و روى أيضا خالد الحذاء عن رجل من بني شيبان قال رأيت عليا يوم قتل عثمان يخطب الناس على المنبر و عليه السلاح. فجعلت العثمانية هذه الأشياء شبهة لهم فيما قرفت به أمير المؤمنين ع من دم عثمان و احتجت أيضا في ذلك بما صنعه أمير المؤمنين ع عند قتل عثمان من أخذ نجائبه و أذراعه و أوردوا في ذلك قول الوليد بن عقبة يخاطب بني هاشم و يعاتبهم عند قتل عثمان إذ يقول

بني هاشم ردوا سلاح ابن أختكم و لا تنهبوه لا تحل مناهبه

بني هاشم كيف الهوادة بيننا و عند علي درعه و نجائبه

بني هاشم كيف التودد بيننا و بز بن أروى فيكم و حرائبه

الجميل ص : ٢١٠

بني هاشم أني و ما كان منكم كصدع الصفا لا يشعب الصدع شاعبه

هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما غدرت يوما بكسرى مراربه

فإن لم تكونوا قاتليه فإنه سواء عليه مسلموه و ضاربه

و احتجوا أيضا بقول حسان بن ثابت الأنصارى فى قتل عثمان
ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا و قرآنا
يا ليت شعرى و ليت الطير تخبرنى ما كان بين على و ابن عفانا
الجميل ص : ٢١١

لتسمعن وشيكا فى ديارهم الله أكبر يا ثارات عثماننا
و قوله أيضا
من عذرى من الزبير و من طلحة هاجا أمرا له إعصار
ثم قالوا للناس دونكم العليج فشبت وسط المدينة نار
و اصطلاها محمد بن أبى بكر جهارا و خلفه عمار
و على فى بيته يسأل الناس رويدا و عنده الأخبار
باسط الكفين يريد ذراعيه عليه سكينه و وقار
خذلته الأنصار إذ حضر الموت و كانت ثقاته الأنصار
و كذاك اليهود ضلت عن الدين بما زينت لها الأخبار
و أمثال ما ذكرناه و الجواب عن جميعه سهل قريب و المنه لله تعالى
الجميل ص : ٢١٢

فصل فى الدفاع عن أمير المؤمنين ع
فأما الجواب عما تعلقوا به من قرف أمير المؤمنين ع بدم عثمان من حيث تولى الصلاة
بالناس يوم النحر و عثمان محصور فهو مبنى على مذهبين أحدهما مذهب الشيعة
القائلين بالنص على أمير المؤمنين ع القاطعين على إمامته بلا فصل و هو أنه إذا كان
الإمام مفترض الطاعة فله أن يتولى كل ما يمكن من توليته مما تقتضيه إمامته و الإمامة
تقتضى إمامة المسلمين فى الصلاة و التقدم عليهم فى الجهاد و إقامة الحدود و
الأحكام و ليس متى تولى الإمام شيئا مما له توليته عند الإمكان دل ذلك على أنه ساع
فى دم إنسان و لا أنه يريد لقتله على حال. و الجواب على المذهب الآخر و هو القول

بالاختيار أن الإمام إذا غير و بدل و أحدث ما يفسخ به عقده فلافاضل الناس أن يتولوا أمر الصلاة و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر إلا أن يعقد لإمام من بعده على مذهب القوم الذين رأوا إقامة الإمام

الجميل ص : ٢١٣

بالاختيار ففي خلع عثمان بأحداثه قد زال فرض طاعته بذلك و كان لأفاضل الناس أن يقدموا في الصلاة من يرون إلى أن يتم الأمر في العقد لمن يستحق ذلك و لو كان هناك من يعتقد أن إمامة عثمان لم تنزل بأحداثه إلا أنه ممنوع من الصلاة بالناس لكان للأفاضل أن يتولوا الصلاة نيابة عنه في تلك الحال فعلى كلا المذهبين اللذين

ذكرناهما لا يجب بصلاة أمير المؤمنين ع يوم النحر بالناس و عثمان محصور أن يقضى عليه بأنه كان مريدا لقتله فضلا أن يكون مشاركا فيه. و قد روى الخصم عن عثمان أنه لما أذن بصلاة طلحة في الناس و استؤذن بالصلاة معه قال لهم إذا أحسنوا فاتبعوهم و إذا أساءوا فاجتنبوهم فحكم لصلاتهم بالحسن و إن كان محصورا لم يأذن فيها لهم و لم يولهم ذلك إلا أنه أباحه و وصف المصلين بأنهم في ذلك محسنون فأين تعلق المخالف على أمير المؤمنين ع في قتل عثمان بصلاته بالناس و هو محصور لو لا أنه تعنت بذلك و عدل عن طريق الإنصاف

الجميل ص : ٢١٤

الجواب عن قعود أمير المؤمنين ع

و أما تعلقهم بقعود أمير المؤمنين ع في المدينة حتى قتل عثمان و تركه الخروج منها و مباعدة القوم فيما صنعوه و ما أشار إليه أسامة من الخروج و تحذيره في قعوده بمطالبة القوم له بدم عثمان فليس أيضا مما تثبت به الحجة على ما ادعوه من قبل أنه لا يمتنع أن يكون مقامه بالمدينة في تلك الحال لتدبير الدفاع عنه و لو كان خرج عنها لتعجل من قتل القوم له ما تأخر و لم يكن أيضا يؤمن من أن يتعدى القتل إلى غيره و تحدث فتنة لا يتلافى صلاحها فجلس ع لذلك و لم يجلس لمعونة على قتل عثمان بل

لو خرج من المدينة فى حال حصر القوم للرجل لكانت التهمة إليه فى قتله أسرع مع ما ذكرناه من المحذور

الجواب عن تعلق الخصم بكلام ابن عباس

و أما تعلقهم بجواب ابن عباس لأسامة و قوله أ بعد ثلاثة من قریش تطلب أثرا بعد عين فليس أيضا فيه دليل على إثارة ابن عباس للأمير المؤمنين ع قتل الرجل و لا فيه حجة على أنهما شركا فى ذلك من تولاه و إنما يدل على إثارة ابن عباس أن يكون الأمر فيهم بعد عثمان و لسنا ننكر أن يكون أمير المؤمنين ع كان مؤثرا للتمكين من

الجمال ص : ٢١٥

الأمر بعد عثمان ليقم بذلك حدود الله و ينفذ به أحكامه و ينظر فى مصالح المسلمين و من أثر ذلك من أهله فهو محمود و هذا يستمر على مذهب الشيعة الإمامية و الزيدية و الجارودية القائلين بالنص عليه و على مذهب أصحاب الاختيار معا. فأما أصحاب النص فيقولون إنه كان الإمام المفترض الطاعة على الأنام و كان يجب عليه بذلك أن يجتهد بالتوصل إلى ما للأئمة إقامته و تولى ما لهم توليته و أن لا يفرط فى ذلك و لا يهمله و إذا كان مقامه لما ذكرناه كان محمودا و لم يجز صرف الغرض فيه إلى ما ادعاه الخصوم من خلافه مع أنه لم ينكر أن يكون مقامه بالمدينة لدفاع ما كان يحذر من إقامة من لا يستحق الأمر بعد قتل عثمان فأقام لدفاعهم عن ذلك لوجوده بينهم و علمه برأى الناس فى تقديمه على غيره و لو كان نائيا عن المدينة لغلب على الأمر من يعسر على الأمة صرفه عنه ممن لا يؤمن على الدين و هذا مستمر على أصول أصحاب الاختيار كما استمر على أصول أصحاب النص و ليس فيه دليل على ما تعلق به القوم من قرفه بقتل عثمان حسبما بيناه و شرحناه

الجمال ص : ٢١٦

الجواب عن قبض النجائب و الأدرع

و أما قبض أمير المؤمنين ع عند قتل عثمان النجائب و الأدرع التى قبضها مما كان

منسوبا إلى عثمان و التعلق بشعر الوليد بن عقبة على ما أثبتناه عنه فيما سلف و
سطرناه فليس أيضا بحجة لقارف أمير المؤمنين ع بقتل عثمان و ذلك أنه لو لم يقبض
ذلك أمير المؤمنين ع لتسرع إلى قبضه و نهبه و تملكه من ليس له ذلك بحق من
الرعية و احتاط بقبضه و إحرازه لأربابه و قد كان هو الإمام باتفاق الجمهور بعد عثمان
و للإمام أن يحتاط لأموال المسلمين و تركات من قضى منهم ليصل إلى مستحقه دون
غيرهم و ليس إذا التمس الوليد بن عقبة ما لا يستحق فمنع منه كان ذلك لغلول المانع
له بما التمسه و لا لتغلبه عليه و لا قول الوليد أيضا مسموع و لا شهادته مقبولة مع
نزول القرآن بتفسيره قال الله تعالى اسمه يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ جَاءَكُمُ فَاسِقٌ بَنِيًّا
فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ و قد روى أهل
التفسير أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة حين أنفذه النبي ص إلى قوم يقبض
منهم الصدقات فعاد مدعيا عليهم أنهم منعه من ذلك و خرجوا لحربه فأعد رسول الله
جماعة لحربهم فورد واردهم بتكذيب الوليد و أنهم على الإسلام
الجميل ص : ٢١٧

و الطاعة فأنزل الله سبحانه فيه ما أثبتناه.

و جاء في الحديث المشهور أن الوليد قال لأمر المؤمنين ع في محاوره جرت بينه و
بينه أنا أبسط منك لسانا و أحد سنانا فقال له ع اسكت يا فاسق فأنزل الله تعالى في
هذه القصة أَمْ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ
و بعد فلو كانت الأذراع و النجائب التي قبضها أمير المؤمنين ع بعد قتل عثمان ملكا له
لكان أولاد عثمان و أزواجه أحق بها من الوليد و كان ارتباط أمير المؤمنين ع ليوصلها
إلى ورثته أولى من تسليمها إلى الوليد و أمثاله من بنى أمية الذين ليس لهم من تركه
عثمان نصيب على حال فكيف و قد ذكر الناس في هذه الأذراع و النجائب أنها من الفء
الذي يستحقه المسلمون فغلب عليها عثمان و اصطفاها لنفسه فلما بايع الناس أمير
المؤمنين ع انتزعها من موضعها ليجعلها في مستحقها فما في ذلك من تهمة بقتله لو لا

العمى و الخذلان

الجواب عن شعر حسان

و أما شعر حسان بن ثابت و ما تضمنه من التحريض على أمير المؤمنين ع

الجميل ص : ٢١٨

حيث يقول

يا ليت شعرى و ليت الطير تخبرنى ما كان بين على و ابن عفانا

لتسمعن وشيكا فى ديارهم الله أكبر يا ثارات عثمانا

فهو لعمرى قرف بدم عثمان فلم يكن حجة فتصغى إلى قوله و لا كان عدلا فتقبل

شهادته و قد نص القرآن على رد شهادته فقال الله عز و جل وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ

ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَ لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَ

أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. و لا خلاف أن حسان كان ممن قذف عائشة و جلده النبى ص على

قذفه و إذا كان القرآن حاضرا على المسلمين قبول شهادة الفاسقين فوجب رد شهادة

حسان و أن لا تقبل منه على حال مع أنه لا خلاف بين أهل العراق ممن تفقه أن القاذف

مردود الشهادة و إن تاب فعلى قول هذه الفرقة شهادة حسان مردودة على كل حال. و أما

من ذهب إلى أن القاذف تقبل شهادته عند التوبة فبينهم فى ذلك اختلاف فمنهم من

يقول إنه يشترط فى توبته أن يقف فى الموضع الذى قذف فيه فيكذب نفسه و يظهر

التوبة من جرمه و لم يدع أحد أن حسان كذب نفسه ظاهرا و رجع عن

الجميل ص : ٢١٩

قذفه مختارا فلا توبة له على قول هذا الفريق. و أما الفريق الآخر فإنهم قبلوا شهادة

القاذف بعد توبته و لم يشترطوا فى توبته ما ذكرناه فليس معهم دليل على أنه تاب و

الظاهر منه القذف الذى يستحق به التفسير و رد الشهادة فى دين الإسلام فلا تعلق فى

قول حسان فى قرفه أمير المؤمنين ع بدم عثمان على حال على أن حسان مذموم مردود

القول باتفاق أهل الإسلام و على كل مذهب لأهل القبلة و رأى و ذلك أنه قال فى يوم

الغدير بمحضر من النبي ص في أمير المؤمنين ع ما قال و شهد له بالإمامة و النص فيها عليه من الله تعالى فردته المعتزلة بذلك و أنكرته الحشوية و دفعته الخوارج و أكذبه جميع من سميناه و لم ينج فيه إلا على مذهب الشيعة الإمامية و الجارودية دون من سواههما من فرق الأمة على ما ذكرناه

الجميل ص : ٢٢٠

شعر حسان في يوم الغدير

و قوله الذي قدمنا ذكره و أشرنا إليه على الإجمال هو ما نثبته الآن من قوله

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم و أسمع بالنبي مناديا

و قال فمن مولاكم و وليكم فقالوا و لم يبدوا هناك التعاميا

إلهك مولانا و أنت ولينا و لم تجدن منا لك اليوم عاصيا

فقال له قم يا على فإنني رضيتك من بعدى إماما و هاديا

فمن كنت مولاه فهذا وليه فكونوا له أنصار صدق مواليا

هناك دعا اللهم وال وليه و كن للذي عادى عليا معاديا

و هذا القول مقبول عند الشيعة لأنه قاله بمحضر من رسول الله ص و مشهده فلم ينكره

عليه فصارت الحجة في صوابه شهادة رسول الله ص بحقه و الناصبة بأجمعها ترده عليه

و تكذبه فيه ثم تقبل قوله في القذوف الباطلة و حال الفتنة الظاهرة فلا شاهد لهم على

ما ادعاه ثم هو في وصفه لعثمان بأنه ظلم فيما صنع به و أنه كان بريئا عند الله تعالى و

من أهل التقى و الإيمان مردود الشهادة عند جميع حاصري عثمان و قاتليه من

المهاجرين و الأنصار و التابعين بإحسان و عند كافة

الجميل ص : ٢٢١

الشيعة و الخوارج و الطوائف البترية و المعتزلة حين قال

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا و قرآنا

إذ كان حسان مكذبا في قوله على مذاهب من ذكرناه من أهل القبلة و مردود الشهادة بما

سلف له من قذف المحصنات لم يعتمد فى الحجة بقوله المفترى به إلا من شمله
الخدلان. ثم هو فى قول له آخر مكذب عند الشيعة بأجمعها و جمهور المعتزلة و
المرجئة و الحشوية القائلين بأن أمير المؤمنين ع كان أفضل الناس بعد النبى ص و
عند الجبائى و ابنه و رهطهما و من شركهما فى الوقف و ترك القطع فى التفضيل لأحد
من الخلفاء الأربعة على غيرها و ذلك فى مرثيته لأبى بكر التى فيها يقول
إذا تذكرت شجوا من أخى ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها و أعدلها بعد النبى و أوفأها بما حملا
الثانى التالى المحمود مشهده و أول الناس منهم صدق الرسلا
الجميل ص : ٢٢٢

و هذا يكشف لك عن سقوط من تعلق فى شىء من الدين بقول حسان من إبطال من جعل
قوله حجة على حال و يبين أنه كان فى ما يقول نظما و نثرا على مذهب الشعراء الذين
لا يتقون السيئات و لا يتورعون عن الخطيئات و لا يبالون بارتكاب الزلات و يقدمون
على الأباطيل فى القول و ارتكاب الموبقات ممن وصفه الله تعالى فى كتابه فقال وَ
الشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا
يَفْعَلُونَ. و قد كان حسان ممن يشكر نعمة عثمان عليه و إحسانه إليه و لم يكن ممن
يرجع إلى تقوى فيحجزه من الباطل فيما ادعاه و إن أمرا يعتمد على قول حسان و
أمثاله فى القدح على أمير المؤمنين ع و يصوب استنفار الناس عليه و إغراءهم به
لخفيف الميزان عند الله تعالى بين الخسران و بالله المستعان
الجميل ص : ٢٢٥

حرب الجمل

باب الخبر عن ابتداء أصحاب فتنة البصرة فى تدبيرها و الاجتماع منهم فى العمل
عليها و ما جاءت به الأخبار المتظافرة فى ذلك
قد أسلفنا القول فى أسباب هذه الفتنة و الدواعى إليها و الأغراض التى كانت فيها و

ذكرنا من براهين الحق على ما أصلناه من المذهب الصحيح فى ذلك و إبطال شبهات الضالين فيه و نحن نبدأ بشرح القصه فى ابتداء الأمر من أصحاب الفتنة و ما عملوا عليه فيها و تجدد من رأيهم فى تدبيرها بحسب ما جاءت به الأخبار المستفيضة بين العلماء بالسير و الحوادث المشهورة إن شاء الله تعالى

الجمال ص : ٢٢٦

فصل فى اجتماع الناكثين و المنافقين بمكة

لما تم أمر البيعة لأمير المؤمنين على بن أبى طالب ع و اتفق على طاعته كافة بنى هاشم و وجوه المهاجرين و الأنصار و التابعين بإحسان و أيس طلحة و الزبير مما كانا يرجوانه بقتل عثمان من بيعة الناس لأحدهما بالإمامة و تحققت عائشة بنت أبى بكر تمام الأمر لأمير المؤمنين ع و اجتماع الناس عليه و عدولهم عن طلحة و الزبير و علمت أنه لا مقام لهما بالمدينة بعد خيبتهما مما أملاه من الأمر و عرف عمال عثمان أن أمير المؤمنين ع لا يقرهم على ولاياتهم و أنهم إن ثبتوا فى أماكنهم أو صاروا إليه طالبهم بالخروج مما فى أيديهم من أموال الله تعالى و حذروا من عقابه على خوضهم فى خيانة المسلمين و تكبرهم على المؤمنين و استخفافهم بحقوق المتقين و اجتباؤهم الفجرة الفاسقين عمل من كل فريق منهم على التحرز منه و احتال فى الكيد له و اجتهد فى تفريق الناس عنه فساد القوم من كل مكان إلى مكة استعاذه بها و سكنوا إليها لمكان عائشة بها و طمعوا فى تمام كيدهم لأمير المؤمنين ع للتحيز إليها و التمويه على الناس بها و كانت عائشة تعلم أن كثيرا من

الجمال ص : ٢٢٧

الناس يميل لها لمكانها من رسول الله ص و أنها من أمهات المسلمين و ابنة أبى بكر المعظم عند الجمهور و أن كل عدو لعلى بن أبى طالب ع يلتجئ إليها متى أظهرت المباينة له و دعت إلى حربه و فساد أمره. فلما تواترت الأخبار عليها و هى بمكة فى تحيزها عن عثمان لقتل المسلمين له قبل أن تعرف ما كان من أمر المسلمين بعده عمل

على التوجه إلى المدينة راجيه بتمام الأمر بعد عثمان لطلحة أو الزبير زوج أختها فلما صارت ببعض الطريق لقيت الناعى بعثمان فاستبشرت بنعيه له و ما كان من أمر الناس فى اجتماعهم على قتله ثم استخبرت عن الحال بعده فأخبرت أن البيعة تمت لأمير المؤمنين بعده و أن المهاجرين و الأنصار و التابعين لهم بإحسان و كافة أهل الإيمان اجتمعوا على تقديمه و الرضا به فساءها ذلك و أحزنها و أظهرت الندم على ما كان منها فى التأليب على عثمان و الكراهة لتمام الأمر لعلى بن أبى طالب ع فأسرعت راجعة إلى مكة فابتدأت بالحجر فتسترت فيه و نادى مناديهما باجتماع الناس إليها فلما اجتمعوا تكلمت من وراء الستر تدعوا إلى نصره عثمان و تنعاه إلى الناس و تبكيه و تشهد أنه قتل مظلوما. و جاءها عبد الله بن عامر الحضرمى عامل عثمان على مكة فقال قرت عينك قتل عثمان و بلغت ما أردت من أمره فقالت سيحان الله أنا طلبت قتله إنما كنت عاتبة عليه من شىء أرضانى فيه قتل عثمان و الله من عثمان خير منه و أرضى عند الله و عند المسلمين و الله ما زال قاتله تعنى أمير المؤمنين ع مؤخرا منذ بعث محمد ص و بعد أن توفى يعدل الناس عنه

الجميل ص : ٢٢٨

إلى الخيرة من أصحاب النبى ص و لا يروونه أهلا للأمر و لكنه رجل يحب الإمرة و الله لا نجتمع عليه و لا على أحد من ولده إلى يوم القيامة ثم قالت معاشر المسلمين إن عثمان قتل مظلوما و لقد قتله من إصبع عثمان خير منه و جعلت تحرض الناس على خلاف أمير المؤمنين ع و تحثهم على نقض عهده. و لحق إلى مكة جماعة من منافقى قريش و صار إليها عمال عثمان الذين هربوا من أمير المؤمنين ع و لحق بها عبد الله بن عمر بن الخطاب و عبيد الله أخوه و مروان بن الحكم بن أبى العاص و أولاد عثمان و عبيده و خاصته من بنى أمية و انحازوا إليها و جعلوها الملجأ لهم فى ما دبروه من كيد أمير المؤمنين ع و جعل يأتونها كل من تحيز عن أمير المؤمنين ع حسدا له و مقتا و شتانا له أو خوفا من استيفاء الحقوق عليه أو لإثارة فتنة أو إدغال فى الملة و هى على ملتها و

سنتها تنعى إليهم عثمان و تبرأ من قاتله و تشهد له بالعدل و الإحسان و تخبر أنه قتل
مظلوما و تحت الناس على فراق أمير المؤمنين ع و الاجتماع على خلعه

الجميل ص : ٢٢٩

دعوة طلحة و الزبير عائشة إلى إثارة الفتنة

و لما عرف طلحة و الزبير من حالها و حال القوم عملا على اللحاق بها و التعاضد على
شقاق أمير المؤمنين ع فاستأذناه فى العمرة على ما قدمناه و ذكرنا الخبر فى معناه و
شرحناه و سارا إلى مكة خالعين الطاعة و مفارقين الجماعة فلما وردا إليها فيمن تبعهما
من أولادهما و خاصتهما و خالصتهما طافا بالبيت طواف العمرة و سعيها بين الصفا و
المروة و بعثا إلى عائشة عبد الله بن الزبير و قالوا له امض إلى خالتك فأهد إليها
السلام منا و قل لها إن طلحة و الزبير يقرءانك السلام و يقولان لك إن أمير
المؤمنين عثمان قتل مظلوما و إن على بن أبى طالب ابتز الناس أمرهم و غلبهم عليه
بالسفهاء الذين تولوا قتل عثمان و نحن نخاف انتشار الأمر به فإن رأيت أن تسيرى
معنا لعل الله يرتق بك فتق هذه الأمة و يشعب بك صدعهم و يلم بك شعثهم و يصلح
بك أمورهم فأتاها عبد الله فبلغها ما أرسله به فأظهرت الامتناع من إجابتهما إلى
الخروج عن مكة و قالت يا بنى لم آمر بالخروج لكنى رجعت إلى مكة لأعلم الناس ما
فعل بعثمان إمامهم و أنه أعطاهم التوبة فقتلوه تقيا نقيا بريئا و يرون فى ذلك رأيهم و
يشيرون إلى من ابتزهم أمرهم و غصبهم من غير مشورة من المسلمين و لا مؤامرة
بتكبر و تجبر و يظن أن الناس يرون له حقا كما كانوا يرونه لغيره هيهات

الجميل ص : ٢٣٠

هيهات يظن ابن أبى طالب يكون فى هذا الأمر كابن أبى قحافة لا و الله و من فى الناس
مثل ابن أبى قحافة تخضع إليه الرقاب و يلقي إليه المقاد و ليها و الله ابن أبى قحافة
فخرج منها كما دخل ثم وليها أخو بنى عدى فسلک طريقه ثم مضيا فوليا ابن عفان
فركبها رجل له سابقة و مصاهرة برسول الله ص و أفعال مع النبى ص مذكورة لا يعمل

أحد من الصحابة مثل ما عمله في ذات الله و كان محبا لقومه فمال بعض الميل
فاستتبناه فتاب ثم قتل فيحق للمسلمين أن يطلبوا بدمه. فقال لها عبد الله فإذا كان
هذا قولك في علي يا أمه و رأيك في قاتلي عثمان فما الذي يقعدك عن المساعدة علي
جهاد علي بن أبي طالب و قد حضرک من المسلمين من فيه غنى و كفاية فيما تريدین
فقلت يا بنی أفکر فيما قلت و تعود إلى فرجع عبد الله إلى طلحة و الزبير بالخبر فقالا
له قد أجابت أمنا و الحمد لله إلى ما نريد ثم قالاه باكرها في الغد فذكرها أمر
المسلمين و أعلمها إنا قاصدان إليها لنجدد بها عهدا و نحكم معها عقدا فباكرها عبد
الله و أعاد عليها بعض ما أسلفه من القول إليها فأجابت إلى الخروج و نادى مناديا إن
أم المؤمنين تريد أن تخرج تطلب بدم عثمان فمن كان يريد أن يخرج فليتها للخروج
معه و صار إليها طلحة فلما بصرت به قالت له يا أبا محمد قتلت عثمان و بايعت عليا
فقال لها يا أمه ما مثلى إلا كما قال الأول
ندمت ندامة الكسعي لما رأت عيناه ما صنعت يداه

الجمال ص : ٢٣١

و جاءها الزبير فسلم عليها فقالت له يا أبا عبد الله شرکت في دم عثمان ثم بايعت عليا
و أنت و الله أحق منه بالأمر فقال لها الزبير أما ما صنعت مع عثمان فقد ندمت منه و
هربت إلى ربي من ذنبي في ذلك و لن أترك الطلب بدم عثمان و الله ما بايعت عليا إلا
مكرها التفت به السفهاء من أهل مصر و العراق و سلوا سيوفهم و أخافوا الناس حتى
بايعوه. و صار إلى مكة عبد الله بن أبي ربيعة و كان عامل عثمان على صنعاء فدخلها و
قد انكسر فخذ و كان سبب ذلك ما رواه الواقدي عن رجاله أنه لما اتصل بابن أبي
ربيعة حصر الناس لعثمان أقبل سريعا لنصرته فلقيه صفوان بن أمية و هو على فرس
يجري و عبد الله بن أبي ربيعة على بغلة فدنا منها الفرس فحادت فطرح ابن أبي
ربيعة و كسرت فخذ و عرف أن الناس قد قتلوا عثمان فصار إلى مكة بعد الظهر فوجد
عائشة يومئذ بها تدعو إلى الخروج للطلب بدم عثمان فأمر بسرير فوضع له سرير في

المسجد ثم حمل و وضع عليه و قال للناس من خرج للطلب بدم عثمان فعلى جهازه
فجهز ناسا كثيرا فحملهم و لم يستطع الخروج معهم لما كان برجله
الجمال ص : ٢٣٢

تحريض المعارضين الناس على الخروج
و روى عبد الله بن السائب قال رأيت عبد الله بن أبي ربيعة على سرير في المسجد
يحرض الناس على الخروج في طلب دم عثمان و يحمل من جاءه و كان يعلى بن منية
التميمي حليف بنى نوفل عاملا لعثمان على الجند فوافى الحج ذلك العام فلما بلغه
قول ابن أبي ربيعة خرج من داره و قال أيها الناس من خرج بطلب دم عثمان فعلى جهازه
و كان قد صحب ابن أبي ربيعة مال كثير فأنفقه في جهاز الناس إلى البصرة. و روى
الواقدي قال حدثني سالم بن عبد الله عن أبيه عن جده قال سمعت يعلى بن منية يقول
و هو مشتمل بصنعانية هذه عشرة آلاف دينار و هى عين مالى أقوى بها من طلب بدم
عثمان فجعل يعطى الناس و اشترى أربعمائة بغير فأناخها بالبطحاء و حمل عليها
الرجال.

و لما اتصل بأمر المؤمنين ع خبر ابن أبي ربيعة و ابن منية و ما بذلاه من
الجمال ص : ٢٣٣

المال فى شقاقه و الفساد عليه قال و الله إن ظفرت بآبن منية و آبن أبى ربيعة لأجعلن
أموالهما فى مال الله عز و جل ثم قال بلغنى أن آبن منية بذل عشرة آلاف دينار فى
حربى من أين له عشرة آلاف دينار سرقها من اليمن ثم جاء بها لئن وجدته لآخذنه بما
أقر به

فلما كان يوم الجمال و انكشف الناس هرب يعلى بن منية. و لما رأت عائشة اجتماع
من اجتمع إليها بمكة على مخالفة أمير المؤمنين ع و المباينة له و الطاعة لها فى حربه
تأهبت للخروج و كانت فى كل يوم تقيم مناديبها ينادى بالتأهب للمسير و كان المنادى
ينادى و يقول من كان يريد المسير فليسر فإن أم المؤمنين سائرة إلى البصرة تطلب

بدم عثمان بن عفان المظلوم. و روى الواقدي عن أفلح بن سعيد عن يزيد بن زياد عن عبد الله بن أبي رافع عن أم سلمة زوجة النبي ص قالت كنت مقيمة بمكة تلك السنة حتى دخل المحرم فلم أدر إلا برسول طلحة و الزبير قد جاءني عنهما يقول إن طلحة و الزبير ابنيك يقولان إن أم المؤمنين عائشة تريد أن تخرج للطلب بدم عثمان فلو خرجت معنا رجونا أن يصلح الله بكما فتق هذه الأمة فأرسلت إليهما و الله ما بهذا أمرت و لا عائشة لقد أمرنا الله أن نقر في بيوتنا فكيف نخرج للقتال و الحرب مع أن أولياء عثمان غيرنا و الله ما يجوز لنا عفو و لا صلح و لا قصاص و ما ذاك إلا إلى ولد عثمان و أخرى تقاتل على بن أبي طالب ع ذا البلاء و العناء أولى الناس

الجميل ص : ٢٣٤

بهذا الأمر و الله ما أنصفتما رسول الله ص في نسائه حيث تخرجوهن إلى العراق و تتركون نساءكم في بيوتكم ثم أرسلت إلى عائشة فنهتها أشد النهي عن طلحة و الزبير في الخروج لقتال على بن أبي طالب ع و ذكرتها أمورا تعرفها و قالت لها أنشدك الله هل تعلمين أن رسول الله ص قال لك اتقي الله و احذري أن تنبحك كلاب الحوآب

فقلت نعم و ردعتها بعض الردع ثم رجعت إلى رأيها في المسير

الجميل ص : ٢٣٥

فصل في مؤامرة الناكثين

فلما تحقق عزم القوم على المسير إلى البصرة و ظهر تأهبهم لذلك اجتمع طلحة و الزبير و عائشة في خواص من قومهم و بطانتهم و قالوا نحب أن نسرع النهضة إلى البصرة فإن بها شيعة عثمان و أنصاره و عامله عبد الله بن عامر بن كريز و هو قريبه و نسيبه و قد عمل على استمداد الجنود من فارس و بلاد المشرق لمعونته على الطلب بدم عثمان و قد كاتبنا معاوية بن أبي سفيان أن ينفذ لنا الجنود من الشام فإن أبطأنا على الخروج خفنا أن يدهمنا ابن أبي طالب بمكة أو في بعض الطريق فيمن يرى رأيه

فى عداوة عثمان خوفا من أن يفرق كلمتنا و إذا أسرعنا المسير إلى البصرة و أخرجنا عامله منها و قتلنا شيعته بها و اتسعنا بالأموال منها كنا على الثقة من الظفر بابت أبى طالب فإن أقام بالمدينة سيرنا إليه الجنود حتى نحصره فيخلع نفسه أو نقتله كما قتل عثمان و إن سار فهو كال و نحن حامون و هو على ظاهر البصرة و نحن بها متحصنون فلا يطول الزمان حتى نفل جموعه بهلاك نفسه و إراحة المسلمين من فتنته

الجمال ص : ٢٣٦

تحذير أم سلمة عائشة

و بلغ أم سلمة اجتماع القوم و ما خاضوا فيه فبكت حتى اخضل خمارها ثم دعت بثيابها فلبستها و تخفرت و مشت إلى عائشة لتعظها و تصدها عن رأيها فى مظاهرة أمير المؤمنين ع بالخلاف و تقعد بها عن الخروج مع القوم فلما دخلت عليها قالت إنك سدة رسول الله ص بين أمتة و حجابك مضروب على حرمة و قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه و مكنك خفرتك فلا تضحىها الله الله من وراء هذه الآية قد علم رسول الله ص مكانك فلو أراد أن يعهد إليك لفعل بل نهاك عن الفرطة فى البلاد إن عمود الدين لا يقام بالنساء إن مال و لا يرأب بهن إن صدع حماديات النساء غض الأطراف و خف الأعطاف و قصر الوهازة و ضم الذبول ما كنت قائلة لو أن رسول الله ص عارضك ببعض الفلوات ناصة قلوفا من منهل إلى آخر قد هتكت صداقته و تركت حرمة و عهده إن بعين الله مهواك و على رسول الله ص تردين و الله لو سرت مسيرك هذا ثم قيل لى ادخلى الفردوس لاستحييت أن ألقى محمدا ص

الجمال ص : ٢٣٧

هاتكة حجابا قد ستره على اجعلى حصنك بيتك و قاعة البيت قبرك حتى تلقينه و أنت على ذلك أطوع ما تكونين لله لزمته و أنصر ما تكونين للدين ما جلست عنه. فقالت لها عائشة ما أعرنى بوعظك و أقبلنى لنصحك و لنعم المسير مسير فزعت إليه و أنا بين سائرة أو متأخرة فإن أقعد فعن غير حرج و إن أسر فإلى ما لا بد من الازدياد منه. فلما

رأت أم سلمة أن عائشة لا تغلغ عن الخروج عادت إلى مكانها و بعثت إلى رهط من المهاجرين و الأنصار فقالت لهم لقد قتل عثمان بحضرتكم و كانا هذان الرجلان تعنى طلحة و الزبير يسعيان عليه كما رأيتم فلما قضى الله أمره بايعا عليا و قد خرجا الآن زعما أن يطلببا بدم عثمان و يريدان أن يخرججا حبيسة رسول الله ص و قد عهد إلى جميع نسائه عهدا واحدا أن يقرن فى بيوتهن فإن كان مع عائشة عهد سوى ذلك تظهره و تخرجه إلينا نعرفه لا و الله ما بايعتم أيها القوم و غيركم عليا مخافة له و لا بايعتموه إلا على علم منكم بأنه خير هذه الأمة و أحقهم بهذا الأمر قديما و حديثا و الله ما أستطيع أزعم أن رسول الله ص خلف

الجمال ص : ٢٣٨

يوم قبض خيرا منه و لا أحق بهذا الأمر منه فاتقوا الله عباد الله فإننا نأمركم بتقوى الله و الاعتصام بحبله و الله ولىنا و وليكم. قال فتقاعد كثير عن طلحة و الزبير عند سماع هذا الخبر و القول من أم سلمة ثم أنفذت أم سلمة إلى عائشة فقالت لها قد وعظتك فلم تتعظى و قد كنت أعرف رأيك فى عثمان و أنه لو طلب منك شربة من ماء لمنعتيه ثم أنت اليوم تقولين إنه قتل مظلوما و تريدان أن تثيرى لقتال أولى الناس بهذا الأمر قديما و حديثا فاتقى الله حق تقاته و لا تتعرضى لسخطه فأرسلت إليها أما ما كنت تعرفنيه من رأى فى عثمان فقد كان و لا أجد مخرجا منه إلا الطلب بدمه و أما على فإنى أمره برد هذا الأمر شورى بين الناس فإن فعل و إلا ضربت وجهه بالسيف حتى يقضى الله ما هو قاض فأنفذت إليها أم سلمة أما أنا فغير واعظة لك من بعد و لا مكلمة لك جهدى و طاقتى و الله إنى لخائفة عليك البوار ثم النار و الله ليخيبن ظنك و لينصرن الله ابن أبى طالب على من بغى عليه و ستعرفين عاقبة ما أقول و السلام

الجمال ص : ٢٣٩

فصل استشارة أمير المؤمنين ع أصحابه فى جهاد الناكثين

و لما اجتمع القوم على ما ذكرناه من شقاق أمير المؤمنين ع و التأهب للمسير إلى

البصرة و اتصل الخبر إليه و جاءه كتاب بخبر القوم دعا ابن عباس و محمد بن أبى بكر و عمار بن ياسر و سهل بن حنيف و أخبرهم بالكتاب و بما عليه القوم من المسير فقال محمد بن أبى بكر ما يريدون يا أمير المؤمنين فتبسم ع و قال يطلبون بدم عثمان فقال محمد و الله ما قتل عثمان غيرهم

ثم قال أمير المؤمنين ع أشيروا على بما أسمع منكم القول فيه فقال عمار بن ياسر رأى المسير إلى الكوفة فإن أهلها لنا شيعة و قد انطلق هؤلاء القوم إلى البصرة و قال ابن عباس رأى عندى يا أمير المؤمنين أن تقدم رجلا إلى الكوفة فيبايعون لك و تكتب إلى الأشعرى أن يبايع لك ثم بعده المسير حتى نلحق بالكوفة و تعاجل القوم قبل أن يدخلوا البصرة و تكتب إلى أم سلمة فتخرج معك فإنها

الجميل ص : ٢٤٠

لك قوة

فقال أمير المؤمنين ع بل أسير بنفسى و من معى فى اتباع الطريق وراء القوم فإن أدركتهم فى الطريق أخذتهم و إن فاتونى كتبت إلى الكوفة و استمددت الجنود من الأمصار و سرت إليهم و أما أم سلمة فإنى لا أرى إخراجها من بيتها كما رأى الرجلان إخراج عائشة

فبينما هم فى ذلك إذ دخل عليهم أسامة بن زيد بن حارثة و قال لأمر المؤمنين ع فداك أبى و أمى لا تسر سيرا واحدا و انطلق إلى ينبع و خلف على المدينة رجلا و أقم بما لك فإن العرب لهم جولة ثم يصيرون إليك فقال له ابن عباس إن هذا القول منك يا أسامة إن كان على غير غل فى صدرك فقد أخطأت وجه رأى فيه ليس هذا برأى بصير يكون و الله كهيفة الضبع فى مغارتها فقال أسامة فما رأى قال ما أشرت به أو ما رآه أمير المؤمنين لنفسه.

ثم نادى أمير المؤمنين ع فى الناس تجهزوا للمسير فإن طلحة و الزبير قد نكثا البيعة

و نقضا العهد و أخرجا عائشةً من بيتها يريدان البصرة لإثارة الفتنة و سفك دماء أهل
القبلة ثم رفع يديه إلى السماء فقال اللهم إن هذين الرجلين قد بغيا على و نكثا عهدي
و نقضا عقدي و شقاني بغير حق منهما كان في ذلك اللهم خذهما بظلمهما لي و أظفرني
بهما و انصرني عليهما

ثم خرج في سبعمائة رجل من المهاجرين و الأنصار و استخلف على المدينة تمام بن
العباس و بعث قثم بن العباس إلى مكة و لما رأى أمير المؤمنين ع التوجه إلى المسير
طالباً للقوم ركب جملاً أحمر و قاد كميته و سار
و هو يقول

الجميل ص : ٢٤١

سيروا أبابيل و حثوا السيرا كي نلحق التيمي و الزبيرا
إذ جلبا الشر و عافا الخير يا رب أدخلهم غدا سعيرا
. و سار مجدا في السير حتى بلغ الربدة فوجد القوم قد فاتوا فنزل بها قليلاً ثم توجه
نحو البصرة و المهاجرون و الأنصار عن يمينه و شماله محدقون به مع من سمع
بمسيرهم فأتبعهم حتى نزل بذي قار فأقام بها

الجميل ص : ٢٤٢

كتاب أمير المؤمنين ع إلى أبي موسى الأشعري
ثم دعا هاشم بن عتبة المرقال و كتب معه كتاباً إلى أبي موسى الأشعري و كان بالكوفة
من قبل عثمان و أمره أن يوصل الكتاب إليه ليستنفر الناس منها إلى الجهاد معه و كان
مضمون الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم من علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس أما بعد فإنني
أرسلت إليك هاشم بن عتبة لتشخص معه من قبلك من المسلمين ليتوجهوا إلى قوم
نكثوا بيعتي و قتلوا شيعتي و أحدثوا في هذه الأمة الحدث العظيم فأشخص بالناس إلى
معه حين يقدم الكتاب عليك و لا تحبسه فإنني لم أقرك في المصر الذي أنت فيه إلا أن

تكون من أعوانى و أنصارى على هذا الأمر و السلام

فقدم هاشم بالكتاب على أبى موسى الأشعرى فلما وقف عليه دعا السائب بن مالك الأشعرى فاقرأه الكتاب و قال له ما ترى فقال السائب اتبع ما كتب به إليك فأبى أبو موسى ذلك و كسر الكتاب و محاه و بعث إلى هاشم بن عتبة يخوفه و يتوعده بالسجن فقال السائب بن مالك فأتيت هاشما فأخبرته بأمر أبى موسى. فكتب هاشم إلى على بن أبى طالب ع أما بعد يا أمير المؤمنين فإنى

الجميل ص : ٢٤٣

قدمت بكتابك على امرئ عاق شاق بعيد الرحم ظاهر الغل و الشقاق و قد بعثت إليك بهذا الكتاب مع المحل بن خليفة أخى طيء و هو من شيعتك و أنصارك و عنده علم ما قبلنا فاسأله عما بدا لك و اكتب إلى برأيك أتبعه و السلام. فلما قدم الكتاب إلى على ع و قرأه دعا الحسن ابنه و عمار بن ياسر و قيس بن سعد فبعثهم إلى أبى موسى و كتب معهم

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس أما بعد يا ابن الحائك و الله إنى كنت لأرى أن بعدك من هذا الأمر الذى لم يجعلك الله له أهلا و لا جعل لك فيه نصيبا سيمنعك من رد امرى و قد بعثت إليك الحسن و عمارا و قيسا فأخل لهم المصر و أهله و اعتزل عملنا مذهبنا مدحورا فإن فعلت و إلا فإنى أمرتهم أن ينادوك على سواء إن الله لا يحب الخائنين فإن ظهروا عليك قطعوك إربا إربا و السلام على من شكر النعمة و رضى بالبيعة و عمل لله رجاء العاقبة

الجميل ص : ٢٤٤

كتاب أمير المؤمنين ع إلى أهل الكوفة

فلما قدم الحسن ع و عمار و قيس الكوفة مستنفرين أهلها و كان معهم كتاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم من على بن أبى طالب إلى أهل الكوفة أما بعد فإنى أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون أمره كالعيان لكم إن الناس طعنوا عليه فكنت رجلا من المهاجرين

أكثر استعباده و أقل عتابه و كان طلحة و الزبير أهون سيرهما فيه الوجيف و قد كان من عائشة فيه فلتة غضب فأتيح له قوم فقتلوه و بايعنى الناس غير مستكرهين و لا مجبرين بل طائعين مخيرين و كان طلحة و الزبير أول من بايعنى على ما بايعا عليه من كان قبلى ثم استأذنانى فى العمرة و لم يكونا يريدان العمرة فنكثا العهد و أذنا بالحرب و أخرجنا عائشة من بيتها يتخذانها فتنة فسارا إلى البصرة اختيارا لأهلها و اخترت المسير إليكم و لعمري ما إياى تجيبون إنما تجيبون الله و رسوله و الله ما قاتلتهم و فى نفسى منهم شك و قد بعثت إليكم ولدى الحسن و عمارا و قيسا مستنفرين بكم فكونوا عند ظنى بكم

الجمال ص : ٢٤٥

خطبة الحسن ع

و لما نزل الحسن ع و عمار و قيس الكوفة و معهم كتاب أمير المؤمنين ع قام فيهم الحسن ع فقال أيها الناس قد كان من أمير المؤمنين ع ما يكفيكم جملته و قد أتيناكم مستنفرين لكم لأنكم جبهة الأنصار و سنام العرب و قد نقض طلحة و الزبير بيعتهما و خرجا بعائشة و هى من النساء و ضعف رأيهن كما قال الله عز و جل الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ و ايم الله لئن لم تنصروه لينصرنه الله عز و جل بمن يتبعه من المهاجرين و الأنصار و سائر الناس فانصروا ربكم ينصركم

الجمال ص : ٢٤٦

خطبة عمار

ثم قام عمار بن ياسر فقال يا أهل الكوفة إن كانت غابت عنكم أبداننا فقد انتهت إليكم أمورنا و أخبرنا إن قاتلى عثمان لا يعتذرون إلى الناس من قتله و قد جعلوا كتاب الله بينهم و بين محاجيهم فيه و قد كان طلحة و الزبير أول من طعنا عليه و أول من أمر بقتله و سعى فى دمه فلما قتل بايعا أمير المؤمنين ع طوعا و اختيارا ثم نكثا على غير حدث كان منه و هذا ابن رسول الله قد عرفتم أنه أنفذه يستنفركم و قد

اصطفاكم على المهاجرين و الأنصار

خطبة قيس بن سعد

ثم قام قيس بن سعد فقال أيها الناس إن هذا الأمر لو استقبلنا فيه الشورى لكان أمير المؤمنين ع أحق الناس به لمكانه من رسول الله ص و كان قتال من أبى ذلك حلالا فكيف فى الحجة على طلحة و الزبير و قد بايعاه طوعا ثم خلعا حسدا و بغيا و قد جاءكم على فى المهاجرين و الأنصار ثم أنشأ يقول

رضينا بقسم الله إذ كان قسمنا عليا و أبناء الرسول محمد
و قلنا لهم أهلا و سهلا و مرحبا بمد يدينا من هدى و تودد

الجميل ص : ٢٤٧

فما للزبير الناقض العهد حرمة و لا لأخيه طلحة اليوم من يد
أتاكم سليل المصطفى و وصيه و أنتم بحمد الله عارضة الندى
فمن قائم يرجى بخيل إلى الوغى و ضم العوالى و الصفيح المهند
يسود من أدناه غير مدافع و إن كان ما تقضيه غير مسود
فإن يأت ما نهوى فذاك نريده و إن تخط ما نهوى فغير تعمد

خطبة أبى موسى الأشعرى

فلما فرغ القوم من كلامهم قام أبو موسى الأشعرى فقال أيها الناس أطيعونى تكونوا
جراثيم العرب يأوى إليكم المظلوم و يأمن فيكم الخائف إنا أصحاب
محمد ص أعلم بما سمعنا الفتنة إذا أقبلت شبهت و إذا أدبرت بينت و إن هذه الفتنة
نافذة كداء البطن تجرى بها الشمال و الجنوب و الصبا

الجميل ص : ٢٤٨

و الدبور و تنكب أحيانا فلا يدرى من أين تأتى شيموا سيوفكم و قصرُوا رماحكم و
قطعوا أوتاركم و الزموا البيوت خلوا قريشا إذا أبوا إلا الخروج من دار الهجرة و
فراق أهل العلم بالإمرة ترتق فتقها و تشعب صدعها فإن فعلت فلنفسها و إن أبت فعليها

جنت سمنها يريق في أديمها استنصحنوني و لا تستغشوني يسلم لكم دينكم و دنياكم و
يشقى بهذه الفتنة من جناها

خطبة زيد بن صوحان

فقام زيد بن صوحان رحمه الله و كانت يده قطعت يوم جلولاء و رفع يده ثم قال يا أبا
موسى تريد أن ترد الفرات عن أدراجه إنه لا يرجع من حيث بدأ فإن قدرت على ذلك
فستقدر على ما تريد دع ويلك ما لست مدركة الم أ حسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا
آمنا و هم لا يُفتنون ثم قال أيها الناس سيروا إلى أمير المؤمنين

الجميل ص : ٢٤٩

و أطيعوا ابن سيد المرسلين و انفروا إليه أجمعين تصيبوا الحق و تظفروا بالرشد قد
و الله نصحتكم فاتبعوا رأيي ترشدوا

احتجاج عبد خير على أبي موسى الأشعري

ثم قام عبد خير و قال لأبي موسى خبرني يا أبا موسى هل كان هذان الرجلان بايعا على
بن أبي طالب فيما بلغك و عرفت قال نعم قال فهل جاء على بحدث يحل عقدة بيعته
حتى ترد بيعته كما ردت بيعة عثمان قال أبو موسى لا أعلم قال له عبد خير لا علمت و لا
دريت نحن تاركوك حتى تدري حينئذ خبرني يا أبا موسى هل أحد خارج من هذه الفتنة
التي تزعم أنها عمياء تحذر الناس منها أ ما تعلم أنها أربع فرق على بظهر الكوفة و
طلحة و الزبير بالبصرة و معاوية بالشام و فرقة أخرى بالحجاز لا يجبي بها بر و لا
يقام بها حد و لا يقاتل بها عدو فأين القرآن من هذه الفتن فقال أبو موسى الفرقة
القاعدة عن القتال خير الناس فقال له عبد خير غلب على علمك يا أبا موسى فقام رجل
من بجيلة فقال

و حاجك عبد خير يا ابن قيس فأنت اليوم كالشاء الربيض

الجميل ص : ٢٥٠

فلا حقا أصبت و لا ضلالا فعدت هناك تهوى بالحضيض

أبا موسى نظرت برأى سوء تتول به إلى قلب مريض
و تهت فليس تفرق بين خمس و لا ست و لا سود و بيض
و تذكر فتنة شملت و فيها سقطت و أنت ترجف بالحريض

الجميل ص : ٢٥١

إرسال الأشر إلى الكوفة

قال و بلغ أمير المؤمنين ع ما كان من أمر أبى موسى فى تخذيل الناس عن نصرته فقام
إليه مالك الأشر رحمه الله تعالى فقال يا أمير المؤمنين إنك قد بعثت إلى الكوفة
رجلا من العنت فما أراه حكم شيئا و هؤلاء أخلف من بعثت أن يستتب لك الناس على ما
تحب و لست أدري ما يكون فإن رأيت جعلت فداك أن تبعثنى فى أثرهم فإن أهل
الكوفة أحسن لى طاعة فإن قدمت عليهم رجوت أن لا يخالفنى منهم أحد فقال أمير
المؤمنين ع الحق بهم على اسم الله عز و جل فأقبل الأشر حتى دخل الكوفة و قد
اجتمع الناس بالمسجد الأعظم فأخذ لا يمر بقبيلة فيها جماعة فى مجلس أو مسجد إلا
دعاهم و قال اتبعونى إلى القصر فانتهى إلى القصر فى جماعة من الناس فاقتحم و أبو
موسى قائم فى المسجد الأعظم يخطب الناس و يشبطهم عن نصره أمير المؤمنين ع و
هو يقول أيها الناس

الجميل ص : ٢٥٢

هذه فتنة عمياء صماء تطأ فى خطامها النائم فيها خير من القاعد و القاعد فيها خير من
القائم و القائم فيها خير من الماشى و الماشى خير من الساعى و الساعى خير من
الراكب إنها فتنة نافذة كداء البطن أتنكم من قبل مأمنكم تدع الحليم فيها خيرا من
أكابر البشر فإذا أدبرت أسفرت. و عمار يخاطبه

و الحسن ع يقول اعتزل عملنا لا أم لك صاغرا و تنح عن منبرنا

و أبو موسى يقول لعمار هذه يدى بما

سمعت من رسول الله ص يقول ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم

فقال له عمار إنما قال رسول الله ص ستكون فتنة أنت فيها يا أبا موسى قاعدا خير منك قائما و لم يقل ذلك لغيرك ثم قال له عمار أرني يدك يا أبا موسى فأبرزها إليه فقبض عليها عمار و قال غلب الله من غالبه و لعن من جاحده ثم قال عمار أيها الناس إن أبا موسى أوتي علما ثم انتفض عنه كما ينتفض الديك إذا خرج من
الجميل ص : ٢٥٣

الماء. ذهاب الأشر إلى القصر. فبينما هم كذلك إذ دخل المسجد غلمان أبي موسى ينادون يا أبا موسى هذا الأشر اخرج من المسجد و دخل عليه أصحاب الأشر فقالوا له اخرج ويلك أخرج الله نفسك فو الله إنك لمن المنافقين فخرج أبو موسى و أنفذ إلى الأشر أن أجلنى هذه العشيء قال قد أجلتك و لا تبيتن فى القصر هذه الليلة و اعتزل ناحية عنه و دخل الناس ينتهبون متاع أبي موسى فأتبعهم الأشر بمن أخرجهم من القصر و قال لهم إنى أخرته فكف الناس عنه
خطبة أخرى للحسن ع

ثم صعد الحسن ع المنبر فحمد الله و أثنى عليه و ذكر جده صلى عليه ثم قال أيها الناس إن عليا أمير المؤمنين باب هدى فمن دخله اهتدى و من خالفه تردى
الجميل ص : ٢٥٤

خطبة أخرى لعمار
ثم نزل فصعد عمار فحمد الله و أثنى عليه و صلى على رسوله ص ثم قال أيها الناس إنا لما خشينا على هذا الدين أن تتهدم جوانبه و يتعزى أديمه نظرنا لأنفسنا و لدينا فاخترنا عليا ع خليفة و رضينا به إماما فنعم الخليفة و نعم المؤدب مؤدب لا يؤدب و فقيه لا يعلم و صاحب بأس لا ينكر و ذو سابقة فى الإسلام ليست لأحد من الناس غيره و قد خالفه قوم من أصحابه حاسدون له باغون عليه و قد توجهوا إلى البصرة اخرجوا إليهم رحمكم الله فإنكم لو شاهدتموهم و حاججتموهم تبين لكم أنهم ظالمون
خطبة الأشر

ثم خرج الأشر رحمة الله فصعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثم قال أيها الناس
أصغوا إلى بأسماعكم و افهموا قولي بقلوبكم إن الله عز و جل قد أنعم عليكم
بالإسلام نعمة لا تقدرُونَ قدرها و لا تؤدون شكرها كنتم أعداء يأكل قوياتكم ضعيفكم و
ينتهب كثيركم قليلكم و تنتهك حرمان الله بينكم و السبيل

الجمال ص : ٢٥٥

مخوف و الشرع عنكم كثير و الأرحام عنكم مقطوعة و كل أهل دين لكم قاهرون
فمن الله عليكم بمحمد ص فجمع شمل هذه الفرقة و ألف بينكم بعد العداوة و كثركم
بعد أن كنتم قليلين ثم قبضه الله عز و جل إليه فحوى بعده رجلا ثم ولى علينا بعدهما
رجل نبذ كتاب الله وراء ظهره و عمل فى أحكام الله بهوى نفسه فسألناه أن يعتزل لنا
نفسه فلم يفعل و أقام على أحداثه فاخترنا هلاكه على هلاك ديننا و دنيانا و لا يبعد
الله إلا القوم الظالمين و قد جاءكم الله بأعظم الناس مكانا فى الدين و أعظمهم حرمة
و أصوبهم فى الإسلام سهما ابن عم رسول الله ص و أفقه الناس فى الدين و أقرئهم
لكتاب الله و أشجعهم عند اللقاء يوم البأس و قد استنفركم فما تنتظرون أ سعيذا أم
الوليد الذى شرب الخمر و صلى بكم على سكر و هو سكران منها و استباح ما حرمة
الله فيكم أى هذين تريدون قبح الله من له هذا الرأى ألا فانفروا مع الحسن ابن بنت
نبيكم و لا يتخلف رجل له قوة فو الله ما يدرى رجل منكم ما يضره مما ينفعه ألا و إني
لكم ناصح شفيق عليكم إن كنتم تعقلون أو تبصرون أصبحوا إن شاء الله غدا عادين
مستعدين و هذا وجهى إلى ما هنالك بالوفاء

خطبة حبر بن عدى

ثم قام حبر بن عدى الكندى رحمه الله فقال أيها الناس هذا الحسن بن

الجمال ص : ٢٥٦

على بن أبى طالب و هو من عرفتم أحد أبويه النبى الأسمى ص و الآخر الإمام الرضى
المأمون الوصى و هو أحد الذين ليس لهما فى الإسلام شبيه سيدى شباب أهل الجنة و

سيدي سادات العرب أكملهم صلاحا و أفضلهم علما و عملا و هو رسول أبيه إليكم
يدعوكم إلى الحق و يسألكم النصر السعيد و الله من ودهم و نصرهم و الشقى من
تخلف عنهم بنفسه عن مواساتهم فانفروا معه رحمكم الله خفافا و ثقالا و احتسبوا فى
ذلك الأجر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين فأجاب الناس كلهم بالسمع و الطاعة
الجميل ص : ٢٥٧

إرسال محمد بن الحنفية و محمد بن أبى بكر إلى الكوفة
و قد ذكر الواقدي أن أمير المؤمنين ع كان أنفذ إلى أهل الكوفة رسلا و كتب إليهم
كتابا عند خروجه من المدينة و قبل نزوله بذي قار و قال فى حديث آخر رواه إنه أنفذ
إلى القوم من الربذة حين فاته رد طلحة و الزبير من الطريق. ثم اتفق الواقدي و أبو
مخنف و غيرهما من أصحاب السير على ما قدمنا ذكره من إنفاذ الرسل و كتب الكتب من
ذى قار إلى أهل الكوفة ليستنفرهم للجهاد معه و الاستعانة بهم على أعدائه الناكثين
لعهده الخارجين عليه لحربه فكان مما رواه الواقدي أن قال حدثني عبد الله بن
الحارث بن الفضيل عن أبيه قال لما عزم أمير المؤمنين ع على المسير من المدينة لرد
طلحة و الزبير بعث محمد بن الحنفية و محمد بن أبى بكر إلى الكوفة و كان عليها أبو
موسى الأشعري فلما قدما عليه أساء القول عليهما و أغلظ و قال و الله إن بيعه عثمان
لفى رقبة صاحبكم و فى رقبتى ما خرجنا منها ثم قام على المنبر فقال أيها الناس إنا
أصحاب رسول الله ص و نحن أعلم منكم بهذه الفتنة فاحذروها إن عائشة كتبت إلى أن
اكفى من قبلك و هذا على قادم إليكم يريد أن يسفك بكم دماء المسلمين فكسروا
نبلكم و قطعوا أوتاركم و اضربوا الحجارة بسيوفكم.

الجميل ص : ٢٥٨

فقال محمد بن الحنفية رضى الله عنه لمحمد بن أبى بكر يا أخى ما عند هذا خير فارجع
بنا إلى أمير المؤمنين نخبره الخبر فلما رجعا إليه أخبراه بالحال و قد كان كتب معهما
كتابا إلى أبى موسى الأشعري أن يبايع من قبله على السمع و الطاعة

و قال له فى كتابه ارفع عن الناس سوطك و أخرجهم حجزتك و اجلس بالعراقيين فإن
خففت فأقبل و إن ثقلت فاقعد
فلما قرأ الكتاب قال أثقل ثم أثقل

الجمال ص : ٢٥٩

كتاب أمير المؤمنين ع إلى أهل الكوفة

و لما بلغ أمير المؤمنين ع ما قال و صنع غضب غضبا شديدا و بعث الحسن ع و عمار
بن ياسر و كتب معهم كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله على بن أبى طالب
أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة من المؤمنين و المسلمين أما بعد فإن دار الهجرة
تقلعت بأهلها فانقلعوا عنها فجاشت جيش الرجل و كانت فاعلة يوما ما فعلت و قد
ركبت المرأة الجمال و نبحتها كلاب الحوآب و قامت الفتنة الباغية يقودها رجال
يطلبون بدم هم سفكوه و عرض هم شتموه و حرمة هم انتهكوها و أباحوا ما أباحوا
يعتذرون إلى الناس دون الله يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ اعملوا رحمكم الله أن الجهاد مفترض على العباد و قد
جاءكم فى داركم من يحثكم عليه و يعرض عليكم رشدكم و الله يعلم أنى لم أجد بدا
من الدخول فى هذا الأمر و لو علمت أن أحدا أولى به منى ما قدمت عليه و قد بايعنى
طلحة و الزبير طائعين غير مكرهين ثم خرجا يطلبان بدم عثمان و هما اللذان فعلا
بعثمان ما فعلا و عجبت لهما كيف أطاعا

الجمال ص : ٢٦٠

أبا بكر و عمر فى البيعة و أبيا ذلك على و هما يعلمان أنى لست بدون أحد منهما مع
أنى قد عرضت عليهما قبل أن يبايعانى أن أحبا بايعت أحدهما فقالا لا تنفس ذلك عليك
بل نبايعك و نقدمك علينا بحق فبايعا ثم نكنا و السلام على أهل السلام

الجمال ص : ٢٦١

إرسال الحسن ع و عمار و ابن عباس إلى الكوفة

و لما سارع من المدينة انتهى إلى فيد و كان قد عدل إلى جبال طيء حتى سار معه عدى بن حاتم فى ستمائة من قومه

فقال ع لابن عباس ما رأى عندك فى أهل الكوفة و أبى موسى الأشعرى فقال له ابن عباس أنفذ عمارا فإنه رجل له سابقة فى الإسلام و قد شهد بدرا فإنه إن تكلم هناك صرف الناس إليك و أنا أخرج معه و ابعث معنا الحسن ابنك ففعل ذلك فخرجوا حتى قدموا على أبى موسى فلما وصلوا الكوفة قال ابن عباس للحسن و لعمار إن أبا موسى رجل عات فإذا رفقنا به أدركنا منه حاجتنا فقلالا له افعل ما شئت. فقال ابن عباس لأبى موسى يا أبا موسى إن أمير المؤمنين أرسلنا إليك لما يعرف من سرعتك إلى طاعة الله عز و جل و رسوله ص و مصيرك إلى ما محبتنا أهل البيت و قد علمت فضله و سابقته فى الإسلام و هو يقول لك أن تباع له الناس و تقر على عملك و يرضى عنك فانخدع أبو موسى و صعد المنبر فبايع لعلى ساعة من النهار ثم نزل

الجميل ص : ٢٦٢

خطبة عمار

فلما نزل صعد عمار المنبر فقال الحمد لله حمدا كثيرا فإنه أهله على نعمه التى لا نحصيها و لا نقدر قدرها و لا نشكر شكرها و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله أرسله بالهدى و النور الواضح و السلطان القاهر الأمين الناصح و الحكيم الراجح رسول رب العالمين و قائد المؤمنين و خاتم النبيين جاء بالصدق و صدق المرسلين و جاهد فى الله حتى أتاه اليقين ثم إن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ع حفظه الله و نصره نصرا عزيزا و أبرم له أمرا رشيدا بعثنى إليكم و ابنه يأمركم بالنفير إليه فانفروا إليه و اتقوا و أطيعوا الله تعالى و الله لو علمت أن على وجه الأرض بشرا أعلم بكتاب الله و سنة نبيه منه ما استنفرتكم إليه و لا بايعته على الموت يا معشر أهل الكوفة الله الله فى الجهاد فو الله لئن صارت الأمور إلى غير على لتصيرن إلى البلاء العظيم و الله يعلم أنى قد نصحت لكم و أمرتكم بما أخذت

يَبْقِيَنِي وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ

الجمال ص : ٢٦٣

خطبة أخرى لعمار

ثم نزل فصبر هنيئاً ثم عاد إلى المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثم قال أيها الناس هذا ابن عم نبيكم ص قد بعثني إليكم يستصرخكم ألا إن طلحة و الزبير قد سارا نحو البصرة و أخرجا عائشةً معهما للفتنة ألا و إن الله قد ابتلاكُم بحق أمكم و حق ربكم و حق ربكم أولى و أعظم عليكم من حق أمكم و لكن الله ابتلاكُم لينظر كيف تعملون فاتقوا الله و اسمعوا و أطيعوا و انفروا إلى خليفتكم و صهر نبيكم فإن أصحاب رسول الله ص قد بايعوه بالمدينة و هي دار الهجرة و دار الإسلام أسأل الله أن يوفقكم ثم نزل

خطبة الحسن ع

فصعد الحسن بن علي ع المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثم ذكر جده فصلى عليه و ذكر فضل أبيه و سابقته و قرابته برسول الله ص و أنه أولى بالأمر من غيره ثم قال

الجمال ص : ٢٦٤

معاشر الناس إن طلحة و الزبير قد بايعا عليا طائعين غير مكرهين ثم نفرا و نكتا بيعتهما له فطوبى لمن خف في مجاهدة من جاهده فإن الجهاد معه كالجهاد مع النبي ص ثم نزل

الجمال ص : ٢٦٥

خدعة ابن عباس لأبي موسى الأشعري

و كان أمير المؤمنين ع قد كتب مع ابن عباس كتابا إلى أبي موسى الأشعري أغلظ فيه فقال ابن عباس فقلت في نفسي أقدم على رجل و هو أمير بمثل هذا الكتاب إذن لا ينظر في كتابي و نظرت أن أشق كتاب أمير المؤمنين ع فشققته و كتبت من عندي كتابا عنه

لأبى موسى أما بعد فقد عرفت مودتك إيانا أهل البيت و انقطاعك إلينا و إنما نرغب
إليك لما نعلم من حسن رأيك فينا فإذا أتاك كتابي هذا فبايع لنا الناس و السلام. فلما
قرأ أبو موسى الكتاب قال لى أنا الأمير أم أنت قلت بل أنت الأمير فدعا الناس إلى
بيعة على ع فلما بايع قمت فصعدت المنبر فرام إنزالى منه فقلت أنت تنزلنى عن المنبر
و أخذت بقائم السيف فقلت اثبت مكانك و الله لئن نزلت إليك خذمتك به فلم يبرح
فبايعت الناس لعلى و خلعت فى الحال أبا موسى و استعملت مكانه قرظة بن كعب
الأنصارى و لم أبرح من الكوفة حتى سيرت لأمير المؤمنين فى البر و البحر من أهلها
سبعة آلاف رجل و لحقته بذى قار و قد سار معه من جبال طيء و غيرها ألفا رجل و لما
صار أهل الكوفة إلى ذى قار و لقوا أمير المؤمنين ع بها رحبوا به و قالوا الحمد لله
الذى خصنا بمودتك و أكرمنا بنصرتك فجزاهم ع خيرا

الجمل ص : ٢٦٦

خطبة أمير المؤمنين ع بذى قار

ثم قام و خطبهم فحمد الله و أثنى عليه و صلى على النبى ص ثم قال يا أهل الكوفة
إنكم من أكرم المسلمين و أعدلهم سنة و أفضلهم فى الإسلام سهما و أجودهم فى
العرب مركبا و نصابا حذبكم بيوتات العرب و فرسانهم و مواليهم أنتم أشد العرب ودا
للنبى ص و إنما اخترتكم ثقة بكم لما بذلتم لى أنفسكم عند نقض طلحة و الزبير بيعتى
و عهدى و خلافهما طاعتى و إقبالهما بعائشة لمخالفتى و مبارزتى و إخراجهما لها من
بيتها حتى أقدماهما البصرة و قد بلغنى أن أهل البصرة فرقتان فرقة الخير و الفضل و
الدين قد اعتزلوا و كرهوا ما فعل طلحة و الزبير. ثم سكت ع

فأجابه أهل الكوفة نحن أنصارك و أعوانك على عدوك و لو دعوتنا إلى أضعافهم من
الناس احتسبنا فى ذلك الخير و الأجر و رجوناه فرد عليهم خير

الجمل ص : ٢٦٧

خطبة أخرى لأمير المؤمنين ع بذى قار

و لما أراد المسير إلى ذى قار تكلم فحمد الله و أثنى عليه فأبلغ ثم قال إن الله عز و
جل بعث محمدا ص للناس كافة و رحمة للعالمين فصدع بما أمر به و بلغ رسالات ربه
فلم الله به الصدع و رتق به الفتق و آمن به السبل و حقن به الدماء و ألف به بين ذوى
الأحقاد و العداوة الواغرة فى الصدور و الضغائن الكامنة فى القلوب فقبضه الله عز و
جل إليه حميدا و قد أدى الرسالة و نصح للأمة فلما مضى ص لسبيله دفعنا عن حقنا من
دفعنا و ولوا من ولوا سوانا ثم وليها عثمان بن عفان فنال منكم و نلت منى حتى إذا كان
من أمره ما كان أتيتمونى فقلتم بايعنا فقلت لكم لا أفعل فقلتم بلى فقلت لا فقبضت
يدى فبسطتموها و تداكتم على كتدك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى لقد
خفت أنكم قاتلى أو بعضكم قاتل بعض فبايعتمونى و أنا غير مسرور بذلك و لا جذل و
قد علم الله سبحانه أنى كنت كارها للحكومة بين أمة محمد ص و لقد سمعته يقول ما
من وال يلى شيئا من أمر أمتى إلا أتى به يوم القيامة مغلوله يداه إلى عنقه على

الجميل ص : ٢٦٨

رءوس الخلائق ثم ينشر كتابه فإن كان عادلا نجا و إن كان جائرا هوى ثم اجتمع على
ملؤكم و بايعنى طلحة و الزبير و أنا أعرف الغدر فى وجهيهما و النكت فى عينييهما ثم
استأذنانى فى العمرة فأعلمتهما أن ليس العمرة يريدان فسارا إلى مكة و استخفا
عائشة و خدعاها و شخص معها أبناء الطلقاء فقدموا البصرة و قتلوا بها المسلمين و
فعلوا المنكر و يا عجباً لاستقامتهما لأبى بكر و عمر و بغيهما على و هما يعلمان أنى
لست دون أحدهما و لو شئت أن أقول لقلت و لقد كان معاوية كتب إليهما من الشام
كتابا يخدعهما فيه فكتماه عنى و خرجا يوهمان الطغام أنهما يطلبان بدم عثمان و الله
ما أنكرا على منكرا و لا جعلاً بينى و بينهما نصفا و إن دم عثمان لمعصوب بهما و
مطلوب منهما يا خيبة الداعى إلى م دعا و بما ذا أجيب و الله إنهما لفى ضلالة صماء و
جهالة عمياء و إن الشيطان قد ذمر لهما حزبه و استجلب منهما خيله و رجله ليعيد
الجور إلى أوطانه و يرد الباطل إلى نصابه ثم رفع يديه فقال اللهم إن طلحة و الزبير

قطعاني و ظلماني و نكتا بيعتي فاحلل ما عقدا و انكث ما أبرما و لا تغفر لهما أبدا و
أرهما المساءة فيما عملا و أملا

الجميل ص : ٢٦٩

كلام الأشتر

فقام الأشتر رحمه الله فقال خفض عليك يا أمير المؤمنين فو الله ما أمر طلحة و الزبير
علينا بمخيل و لقد دخلا في هذا الأمر اختيارا ثم فارقانا على غير جور عملناه و لا حدث
في الإسلام أحدثناه ثم أقبلا يثيران الفتنة علينا تائهيين جائرين ليس معهما حجة ترى و
لا أثر يعرف قد لبسا العار و توجهنا نحو الديار فإن زعما أن عثمان قتل مظلوما فليستقد
آل عثمان منهما فأشهد أنهما قتلاه و أشهد الله يا أمير المؤمنين لئن لم يدخلنا فيما
خرجنا منه و لم يرجعنا إلى طاعتك و ما كانا عليه لنلحقنهما بآبن عفان

كلام أبي الهيثم بن التيهان

و قام أبو الهيثم بن التيهان رحمه الله فقال يا أمير المؤمنين صبحهم الله بما يكرهون
فإن أقبلوا قبلنا منهم و إن أدبروا جاهدناهم فلعمري ما قوم قتلوا النفس التي حرم الله
و أخذوا الأموال و أخافوا أهل الإيمان بأهل أن يكف عنهم

الجميل ص : ٢٧٠

كلام عدى بن حاتم

فأقبل أمير المؤمنين ع على عدى بن حاتم فقال له يا عدى أنت شاهد لنا و حاضر معنا و
ما نحن فيه

فقال عدى شهدتك أو غبت عنك فأنا عند ما أحببت هذه خيولنا معدة و رماحنا محددة و
سيوفنا مجردة فإن رأيت أن نتقدم تقدمنا و إن رأيت أن نحجم أحجمنا نحن طوع
لأمرك فأمر بما شئت نسارع إلى امتثال أمرك
حديث أبي زينب الأزدي مع أمير المؤمنين ع
و قام أبو زينب الأزدي فقال و الله إن كنا على الحق إنك لأهدانا سبيلا و أعظما في

الخير نصيبا و إن كنا على الضلال و العياذ بالله أن نكون عليه فإنك أعظمتنا وزرا و
أثقلنا ظهرا و قد أردنا المسير إلى هؤلاء القوم و قطعنا منهم الولاية و أظهرنا منهم
البراءة و ظاهرناهم بالعداوة نريد بذلك ما يعلمه الله عز و جل و إنا ننشذك الله الذى
علمك ما لم تكن تعلم ألسنا على الحق و عدونا على الضلال.
فقال ع أشهد لئن خرجت لدينك ناصرا صحيح النية و قد قطعت منهم الولاية و أظهرت
منهم البراءة كما قلت إنك لفى رضوان الله فأبشر يا أبا زينب فإنك و الله على الحق
فلا تشك فإنك إنما تقاتل الأحزاب
فأنشأ أبو زينب يقول

الجميل ص : ٢٧١

سيروا إلى الأحزاب أعداء النبى فإن خير الناس أتباع على
هذا أوان طاب سل المشرفى و قودنا الخيل و هز السمهرى

الجميل ص : ٢٧٢

رجوع ابن عباس من الكوفة إلى ذى قار
و لما استقر أمر أهل الكوفة على الشخوص لأمير المؤمنين ع و خف بعضهم لذلك بادر
ابن عباس و من معه من الرسل فيمن اتبعهم من أهل الكوفة إلى ذى قار للحاق بأمر
المؤمنين ع و أخبره بما عليه القوم من الجد و الاجتهاد فى طاعته و أنهم لاحقون به
غير متأخرين عنه و إنما تقدمهم ليستعدوا للسفر و للحرب و قد كان استخلف قرظة بن
كعب بالكوفة على ما قدمناه و ليحث الناس على اللحاق به. فورد على أمير المؤمنين ع
كتاب قد كتب إليه من البصرة بما صنعه القوم بعامله عثمان بن حنيف و ما استحلوه من
الدماء و نهب الأموال و قتل من قتلوه من شيعته و أنصاره و ما أثاروه من الفتنة بها
فوجده ابن عباس و قد أحزنه ذلك و غمه و أزعجه و أقلقته فأخبره بطاعة أهل الكوفة و
وعدهم له بالنصر فسر عند ذلك و أقام ينتظر أهل الكوفة و المدد الذى ينتصر به على
عدوه

الجميل ص : ٢٧٣

فصل عثمان بن حنيف و الناكثون

و كان من حديث القوم فيما صنعوه بعثمان بن حنيف رضى الله عنه و من ذكرناه معه على ما جاءت به الأخبار و اتفقت عليه نقلة السير و الآثار ما روى الواقدي و أبو مخنف عن أصحابهما و المدائني و ابن دأب عن مشايخهما بالأسانيد التي اختصرنا القول بإسقاطها و اعتمدنا فيها على ثبوتها في مصنفات القوم و كتبهم فقالوا إن عائشة و طلحة و الزبير لما ساروا من مكة إلى البصرة أغذوا السير مع من اتبعهم من بنى أمية و عمال عثمان و غيرهم من قريش حتى صاروا إلى البصرة فنزلوا حفر أبي موسى فبلغ عثمان بن حنيف رحمه الله و هو عامل البصرة يومئذ و خليفة أمير المؤمنين ع و كان عنده حكيم بن جبلة فقال له حكيم ما الذي بلغك فقال

الجميل ص : ٢٧٤

خبرت أن القوم قد نزلوا حفر أبي موسى فقال له حكيم ائذن لي أن أسير إليهم فإني رجل في طاعة أمير المؤمنين ع فقال له عثمان توقف عن ذلك حتى أرسلهم فقال له حكيم إنا لله هلك و الله يا عثمان فأعرض عنه و أرسل إلى عمران بن حصين و أبي الأسود الدؤلي فذكر لهما قدوم القوم البصرة و حلولهم حفر أبي موسى و سألهما المسير إليهم و خطابهم على ما قصدوا به و كفهم عن الفتنة فخرجا حتى دخلا على عائشة فقالا لها يا أم المؤمنين ما حملك على المسير فقالت غضبت لكما من سوط عثمان و عصاه و لا أغضب أن يقتل فقالا لها و ما أنت من سوط عثمان و عصاه وإنما أنت حبيسة رسول الله ص نذكرك الله أن تهراق الدماء بسببك فقالت و هل من أحد يقاتلني فقال لها أبو الأسود نعم و الله قتالا أهونه شديد ثم خرجا من عندها فدخلا على الزبير فقالا يا أبا عبد الله ننشدك الله أن تهراق الدماء بسببك فقال لهما ارجعا من حيث جئتما لا تفسدا علينا فأيسا منه و خرجا حتى دخلا على طلحة فقالا له ننشدك الله أن تهراق الدماء بسببك فقال لهما طلحة أ يحسب على بن أبي طالب أنه إذا غلب على

أمر المدينة أن الأمر له و أنه لا أمر إلا أمره و الله ليعلمن فانصرفا من حيث جئتما فانصرفا من عنده إلى عثمان بن حنيف فأخبراه الخبر. و روى ابن أبي سبرة عن عيسى بن أبي عيسى عن الشعبي أن أبا الأسود الدؤلى و عمران لما دخلا على عائشة قالوا لها ما الذى أقدمك هذا البلد و أنت حبيسة

الجميل ص : ٢٧٥

رسول الله ص و قد أمرك الله أن تقرى فى بيتك فقالت غضبت لكم من السوط و العصا و لا أغضب لعثمان من السيف فقالا لها نشدك الله أن تهراق الدماء بسببك و أن تحملى الناس بعضهم على بعض فقالت لهما إنما جئت لأصلح بين الناس و قالت لعمران بن الحصين هل أنت مبلغ عثمان بن حنيف رسالة فقال لا أبلغه عنك إلا خيرا فقال لها أبو الأسود أنا أبلغه عنك فهاتى قالت قل له يا طليق ابن أبى عامر بلغنى أنك تريد لقائى لتقاتلنى فقال لها أبو الأسود نعم و الله ليقاتلنك فقالت و أنت أيضا أيها الدؤلى يبلغنى عنك ما يبلغنى قم فانصرف عنى فخرجا من عندها إلى طلحة فقالا له يا أبا محمد أ لم يجتمع الناس إلى بيعة ابن عم رسول الله الذى فضله الله تعالى كذا و كذا و جعلنا يعدان مناقب أمير المؤمنين ع و فضائله و حقوقه فوقع طلحة بعلى ع و سبه و نال منه و قال إنه ليس أحد مثله أم و الله ليعلمن غب ذلك فخرجا من عنده و هما يقولان غضب هذا الدنىء ثم دخلا على الزبير فكلماه مثل كلامهما لصاحبه فوقع أيضا فى على ع و سبه و قال لقوم كانوا بمحضر منه صبحوهم قبل أن يمسوكم فخرجا من عنده حتى صارا إلى عثمان بن حنيف فأخبراه الخبر فأذن عثمان للناس بالحرب

الجميل ص : ٢٧٦

فصل كتاب عائشة إلى حفصة و فرح حفصة به

و لما بلغ عائشة نزول أمير المؤمنين ع بذى قار كتبت إلى حفصة بنت عمر أما بعد فإننا نزلنا البصرة و نزل على بذى قار و الله دق عنقه كدق البيضة على الصفا إنه بذى قار بمنزلة الأشقر إن تقدم نحر و إن تأخر عقر فلما وصل الكتاب إلى حفصة استبشرت

بذلك و دعت صبيان بنى تيم و عدى و أعطت جواريتها دفوفاً و أمرتهن أن يضربن بالدفوف و يقلن ما الخبر ما الخبر على كالأشقر إن تقدم نحر و إن تأخر عقر فبلغ أم سلمة رضى الله عنها اجتماع النسوة على ما اجتمعن عليه من سب أمير المؤمنين ع و المسرة بالكتاب الوارد عليهن من عائشة فبكت و قالت أعطوني ثيابى حتى أخرج إليهن و أقع بهن فقالت أم كلثوم بنت أمير المؤمنين ع أنا أنوب عنك فإننى أعرف منك فلبست ثيابها و تنكرت و تخفرت و استصحبت جواريتها متخفرات و جاءت حتى دخلت عليهن كأنها من

الجمال ص : ٢٧٧

النظارة فلما رأت ما هن فيه من العبث و السفه كشفت نقابها و أبرزت لهن وجهها ثم قالت لحفصة إن تظاهرت أنت و أختك على أمير المؤمنين ع فقد تظاهرتما على أخيه رسول الله ص من قبل فأنزل الله عز و جل فيكما ما أنزل و الله من وراء حربكما فانكسرت حفصة و أظهرت خجلاً و قالت إنهن فعلمن هذا بجهل و فرقتهن فى الحال فانصرفن من المكان

الجمال ص : ٢٧٨

خطبة عائشة بالمربد

و لما بلغ عائشة رأى ابن حنيف فى القتال ركبت الجمال و أحاط بها القوم و سارت حتى وقفت بالمربد و اجتمع إليها الناس حتى امتلأ المربد بهم فقالت و هى على الجمال صه صه فسكت الناس و أصغوا إليها فحمدت الله و قالت أما بعد فإن عثمان بن عفان قد كان غير و بدل فلم يزل يغسله بالتوبة حتى صار كالذهب المصفى فعدوا عليه و قتلوه فى داره و قتلوا أناساً معه فى داره ظلماً و عدواناً ثم آثروا علياً فبايعوه من غير ملأ من الناس و لا شورى و لا اختيار فابتز و الله أمرهم و كان المبايع له يقول خذها إليك و احذرن أبا حسن إنا غضبنا

الجمال ص : ٢٧٩

لكم على عثمان من السوط فكيف لا نغضب لعثمان من السيف ألا إن الأمر لا يصح حتى يرد الأمر إلى ما صنع عمر من الشورى فلا يدخل فيه أحد سفك دم عثمان. فقال بعض الناس صدقت و قال بعض الناس كذبت و اضطربوا بالنعال و تركتهم و سارت حتى أتت الدباغين و قد تميز الناس بعضهم مع طلحة و الزبير و عائشة و بعضهم متمسك ببيعة أمير المؤمنين و الرضا به فسارت من موضعها و من معها و اتبعها على رأيها طلحة و الزبير و مروان بن الحكم و عبد الله بن الزبير حتى أتوا دار الإمارة فسألوا عثمان بن حنيف الخروج عنها فأبى عليهم ذلك و اجتمع إليه أنصاره و زمرة من أهل البصرة فاقتتلوا قتالا شديدا حتى زالت الشمس و أصيب يومئذ من عبد القيس خاصة خمسمائة شيخ مخضوب من أصحاب عثمان بن حنيف و شيعة أمير المؤمنين سوى من أصيب من سائر الناس و بلغ الحرب بينهم بالتزاحف إلى مقبرة بنى مازن ثم خرجوا على مسنأة البصرة حتى انتهوا إلى الزابوقة و هى ساحة دار الرزق فاقتتلوا قتالا شديدا كثر فيه القتلى و الجرحى من الفريقين ثم إنهم تداعوا إلى الصلح و دخل بينهم الناس لما

الجميل ص : ٢٨٠

رأوا من عظيم ما ابتلوا به فتصالحوا على أن لعثمان بن حنيف دار الإمارة و المسجد و بيت المال و طلحة و الزبير و عائشة ما شاءوا من البصرة و لا يحاجون حتى يقدم أمير المؤمنين ع فإن أحبوا عند ذلك الدخول فى طاعته و إن أحبوا أن يقاتلوا و كتبوا بذلك كتابا بينهم و أوثقوا فيه العهود و أكدوها و أشهدوا الناس على ذلك و وضع السلاح و أمن عثمان بن حنيف على نفسه و تفرق الناس عنه

الجميل ص : ٢٨١

قتل الناكثين حراس بيت المال

و طلب طلحة و الزبير غدرته حتى كانت ليلة مظلمة ذات رياح فخرج طلحة و الزبير و أصحابهما حتى أتوا دار الإمارة و عثمان بن حنيف غافل عنهم و على الباب السبابجة يحرسون بيوت الأموال و كانوا قوما من الزط قد استبصروا و أكل السجود جباحهم و

أئتمنهم عثمان على بيت المال و دار الإمارة فأكب عليهم القوم و أخذوهم من أربع جوانبهم و وضعوا فيهم السيف فقتلوا منهم أربعين رجلا صبرا يتولى منهم ذلك الزبير خاصة ثم هجموا على عثمان فأوثقوه رباطا و عمدوا إلى لحيته و كان شيخا كث اللحية فتنفوها حتى لم يبق منها شيء و لا شعرة واحدة و قال طلحة عذبوا الفاسق و انتفوا شعر حاجبيه و أشفار عينيه و أوثقوه بالحديد فلما أصبحوا اجتمع الناس إليهم و أذن مؤذن المسجد لصلاة الغداة فرام طلحة أن يتقدم للصلاة بهم فدفعه الزبير و أراد أن يصلى بهم فمنعه طلحة فما زالا يتدافعان حتى كادت الشمس أن تطلع فنادى أهل البصرة الله الله يا أصحاب

الجميل ص : ٢٨٢

رسول الله في الصلاة نخاف فوتها فقالت عائشة مروا أن يصلى بالناس غيرهما فقال لهم يعلى بن منية يصلى عبد الله بن الزبير يوما و محمد بن طلحة يوما حتى يتفق الناس على أمير يرضونه فتقدم ابن الزبير و صلى بهم ذلك اليوم

الجميل ص : ٢٨٣

نهضة حكيم بن جبلة العبدى

و بلغ حكيم بن جبلة العبدى ما صنع القوم بعثمان بن حنيف و قتلهم السبابة الصالحين خزان بيت مال المسلمين فنادى فى قومه يا قوم انفروا إلى هؤلاء الضالين الظالمين الذين سفكوا الدم الحرام و قتلوا العباد الصالحين و استحلوا ما حرم الله تعالى فأجابه سبعمائة رجل من عبد القيس فأتوا المسجد و اجتمع الناس إلى حكيم بن جبلة فقال لهم أ ما ترون ما صنعوا بأخى عثمان بن حنيف ما صنعوا لست بأخيه إن لم أنصره ثم رفع يديه إلى السماء و قال اللهم إن طلحة و الزبير لم يريدوا بما عملا القربة منك و ما أرادوا إلا الدنيا اللهم اقتلهم بمن قتلا و لا تعطهما ما أملا ثم ركب فرسه و أخذ بيده الرمح و اتبعه أصحابه و أقبل طلحة و الزبير و من معهما و هم كثرة من الناس قد انضم إليهم الجمهور فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت بينهم القتلى و

الجرحي و برز إلى حكيم بن جبلة رجل من القوم فضربه بالسيف فقطع رجله فتناولها حكيم بيده و رماه بها فصرعه ثم صار إلى حكيم أخوه المعروف بالأشرف فقال من أصابك فأشار إلى الذي ضربه فأدركه الأشرف

الجميل ص : ٢٨٤

فخبطه بالسيف حتى قتله و تكاثر الناس عليه و على أخيه حتى قتلوهما و تفرق الناس و رجع طلحة و الزبير فنزلا دار الإمارة و غلبا على بيت المال فتقدمت عائشة بحمل مال منه لتفرقه في أنصارها و دخله طلحة و الزبير في طائفة من أنصارهما و احتملا منه شيئا كثيرا فلما خرجا نصبا على أبوابه الأقفال و وكلا به من قبلهما قوما فأمرت عائشة بختمه فبرز لذلك طلحة ليختمه فمنعه الزبير و أراد أن يختمه الزبير دونه فتدافعا فبلغ عائشة ذلك فقالت يخطمانه و يخطم عنى ابن أختى عبد الله بن الزبير فخطم يومئذ بثلاثة ختوم. ثم قال طلحة و الزبير لعائشة ما تأمرين في عثمان فإنه لما به فقالت اقتلوه قتله الله و كانت عندها امرأة من أهل البصرة فقالت لها يا أمه أين يذهب بك أ تأمرين بقتل عثمان بن حنيف و أخوه سهل خليفة على المدينة و مكانه من الأوس و الخزرج ما قد علمت و الله لئن فعلت ذلك لتكونن له صولة بالمدينة يقتل فيها ذراري قريش فناب إلى عائشة رأيها و قالت لا تقتلوه و لكن احبسوه و ضيقوا عليه حتى أرى رأيي فحبس أياما ثم بدا لهم في حبسه و خافوا من أخيه أن يحبس مشايخهم بالمدينة و يوقع بهم فتركوا حبسه

الجميل ص : ٢٨٥

مجيء عثمان بن حنيف إلى أمير المؤمنين ع فخرج ابن حنيف حتى أتى أمير المؤمنين ع و هو بذى قار فلما نظر إليه أمير المؤمنين ع و قد نكل به القوم بكى و قال يا عثمان بعثتك شيخا ألحى فردوك أمرد إلى اللهم إنك تعلم أنهم اجترءوا عليك و استحلوا حرما لك اللهم اقتلهم بمن قتلوا من شيعتي و عجل لهم النعمة بما صنعوا بخليفتي

أمير المؤمنين ع فى بيت المال

و لما خرج عثمان بن حنيف من البصرة و عاد طلحة و الزبير إلى بيت المال فتأملا ما فيه فلما رأوا ما حواه من الذهب و الفضة قالوا هذه الغنائم التى وعدنا الله بها و أخبرنا أنه يعجلها لنا قال أبو الأسود فقد سمعت هذا منهما و رأيت عليا ع بعد ذلك و قد دخل بيت مال البصرة فلما رأى ما فيه قال يا صفراء الجمل ص : ٢٨٦

و يا بيضاء غرى غيرى المال يعسوب الظلمة و أنا يعسوب المؤمنين فلا و الله ما التفت إلى ما فيه و لا فكر فيما رآه منه و ما وجدته عنده إلا كالتراب هوانا فعجبت من القوم و منه ع فقلت أولئك ممن يريد الدنيا و هذا ممن يريد الآخرة و قويت بصيرتى فيه

الجمل ص : ٢٨٧

اعتراض ابن الزبير على أبيه

و لما استقر الأمر عند القوم بعد خروج عثمان بن حنيف و علم طلحة و الزبير و عائشة أن أمير المؤمنين ع بذى قار ينتظر الجموع و أنه لا يصبر على ما فعلوه بصاحبه و المسلمين أمرت عائشة الزبير أن يستنفر الناس إليه فخطبهم الزبير و أمرهم بالجد و الاجتهاد و قال لهم إن عدوكم قد أظلكم و الله لئن ظفر بكم لا ترك لكم عينا تطرف فانهضوا إليه حتى نكبس عليه قبل أن تلحقه أنصاره و قال لهم امضوا فخذوا أعطيتكم فلما رجع إلى منزله قال له ابنه عبد الله أمرت الناس أن يأخذوا أعطيتهم ليتفرقوا بالمال قبل أن يأتى على بن أبى طالب فتضعف بئس الراى الذى رأيت فقال له الزبير اسكت ويلك ما كان غير الذى قلت فقال له طلحة صدق عبد الله و ما ينبغى أن يسلم هذا المال حتى يقرب منا على فنضعه فى مواضعه فيمن يدفعه عنا فغضب الزبير و قال و الله لو لم يبق إلا درهم واحد لأعطيته فلامته عائشة على ذلك و وافق رأيها رأى الرجلين فقال الزبير لتدعونى أو لألحقن بمعاوية فقد بايع بالشام الناس فأمسكوا عنه

الجميل ص : ٢٨٨

تردد الزبير في حرب أمير المؤمنين ع

و روى داود بن أبي هند عن أبي عمرة مولى الزبير أن الزبير قال يومئذ أ لا ألف فارس أ لا خمسمائة فارس ينهضون معي الساعة لأسير بهم إلى على بن أبي طالب فيما أن أبيته بياتا أو أصحابه صباحا لعلى أقتله قبل أن يأتيه مدده فلم يخف معه أحد فاغتاظ لذلك و قال هذه و الله الفتنة التي كنا نحدث بها فقال له مولاه أبو عمرة رحمك الله يا أبا عبد الله تسميها فتنة ثم ترى القتال فيها فقال ويحك إنا نبصر و لكن لا نصبر ثم قال بعد ذلك بيوم أو يومين و الله ما كان أمر قط إلا علمت أين أضع قدمي فيه إلا هذا الأمر فإنني لم أدر أنا فيه مقبل أو مدبر فقال له ابنه عبد الله و الله ما بك هذا و إنا لنتعamy فما يحملك على هذا القول إلا أنك أحسست برايات على بن أبي طالب قد أظلت و علمت أن الموت الناقع تحتها فقال له اعزب ويحك فإنك لا علم لك بالأمر.

الجميل ص : ٢٨٩

و روى الحارث بن الفضل عن أبي عبد الله الأغر أن الزبير بن العوام قال لابنه يومئذ ويلك لا تدعنا على حال أنت و الله قطعت بيننا و فرقت ألفتنا بما بليت به من هذا المسير و ما كنت مباليا من ولى هذا الأمر و قام به و الله لا يقوم أحد من الناس إلا من قام مقام عمر بن الخطاب فيهم فمن ذا يقوم مقام عمر بن الخطاب فإن سرنا بسيرة عثمان قتلنا فما أصنع بهذا المسير و ضرب الناس بعضهم ببعض فقال له عبد الله ابنه أ فتدع عليا يستولى على الأمر و أنت تعلم أنه كان أحسن أهل الشورى عند عمر بن الخطاب و لقد أشار عمر و هو مطعون يقول لأهل الشورى ويلكم أطعموا عليا فيها لا يفتق في الإسلام فتقا عظيما و منوه حتى تجمعوا على رجل سواه. و لما صار عثمان بن حنيف إلى ذى قار أقام بها مع أمير المؤمنين ع و هو مريض يعالج حتى ورد على أمير المؤمنين ع أهل الكوفة

الجميل ص : ٢٩٠

فصل مفاوضات كليب مع أمير المؤمنين ع

و روى الواقدي عن شيبان بن عبد الرحمن عن عاصم بن كليب عن أبيه قال لما قتل عثمان ما لبثنا إلا قليلا حتى قدم طلحة و الزبير البصرة ثم ما لبثنا بعد ذلك إلا يسيرا حتى أقبل على بن أبي طالب ع فنزل بذي قار فقال شيخان من الحى اذهب بنا إلى هذا الرجل فننظر ما يدعو إليه فلما أتينا ذا قار قدمنا على أذكى العرب فوالله لدخل على نسب قومي فجعلت أقول هو أعلم به منى و أطوع فيهم فقال من سيد بنى راسب فقلت فلان قال فمن سيد بنى قدامة قلت فلان لرجل آخر فقال أنت مبلغهما كتابين منى قلت نعم قال أ فلا تبايعوني فبايعه الشيخان اللذان كانا معى و توقفت عن بيعته فجعل رجال عنده قد أكل السجود وجوههم يقولون بايع بايع فقال ع دعوا الرجل فقلت إنما بعثنى قومي رائدا و سأنهى إليهم ما رأيتم فإن بايعوا بايعت و إن اعتزلوا اعتزلت فقال لى أ رأيتم لو أن قومك بعثوك رائدا

الجميل ص : ٢٩١

فرأيت روضة و غديرا فقلت يا قومي النجعة النجعة فأبوا ما كنت بمستنجح بنفسك فأخذت بإصبع من أصابعه و قلت أبايعك على أن أطيعك ما أطعت الله فإذا عصيته فلا طاعة لك علينا فقال نعم و طول بها صوته فضربت على يده ثم التفت إلى محمد بن حاطب و كان فى ناحية القوم فقال إذا انطلقت إلى قومك فأبلغهم كتبى و قولى فتحول إليه محمد حتى جلس بين يديه و قال إن قومي إذا أتيتهم يقولون ما يقول صاحبك فى عثمان فسب عثمان الذين حوله فرأيت عليا قد كره ذلك حتى رشح جبينه و قال أيها القوم كفوا ما إياكم يسأل قال فلم أبرح عن العسكر حتى قدم على على ع أهل الكوفة فجعلوا يقولون نرى إخواننا من أهل البصرة يقاتلوننا و جعلوا يضحكون و يعجبون و يقولون و الله لو التقينا لتعاطينا الحق كأنهم يرون أنهم لا يقتتلون و خرجت بكتابى على ع فأتيت أحد الرجلين فقبل الكتاب و أجابه و دلت على الآخر و كان متواريا فلو أنهم قالوا له كليب ما أذن لى فدخلت عليه و دفعت الكتاب إليه و قلت هذا كتاب على و

أخبرته الخبر و قلت إنى أخبرت عليا أنك سيد قومك فأبى أن يقبل الكتاب و لم يجبه
إلى ما سأله و قال لا حاجة لى اليوم فى

الجميل ص : ٢٩٢

السؤدد فو الله إنى لبالبصرة ما رجعت إلى على حتى نزل العسكر و رأيت القوم الذين
مع على ع فطلع القوم

الجميل ص : ٢٩٣

إخبار أمير المؤمنين ع بعدد من يأتيه من الكوفة

و روى نصر عن عمر بن سعد عن الأجلح عن زيد بن على قال لما أبطأ على على ع خبر
أهل البصرة و نحن فى قلة

فقال عبد الله بن عباس رضى الله عنه فأخبرت عليا بذلك فقال لى اسكت يا ابن عباس
فو الله لتأتينا فى هذين اليومين من الكوفة ستة آلاف و ستمائة رجل و ليغلبن أهل
البصرة و ليقتلن طلحة و الزبير

قال فو الله إنى لأتشوف الأخبار و أستقبلها حتى إذا أنا براكب فاستقبلته و استخبرته
فأخبرنى بالعدة التى سمعتها من على ع لم تنقص رجلا واحدا و روى إسماعيل بن عبد
الملك عن يحيى بن شبيل عن أبى جعفر محمد بن على ع قال سار على ع من ذى قار إلى
البصرة حتى نزل بالخريبة فى

الجميل ص : ٢٩٤

اثنى عشر ألف رجل على اليمينه عمار بن ياسر فى ألف رجل و على الميسرة مالك
الأشتر فى ألف رجل و معه فى نفسه عشرة آلاف رجل و خرج إليه من البصرة ألفا رجل
خرجت إليه ربيعة كلها إلا مالك بن مسمع منها و جاءته عبد القيس بأجمعها سوى رجل
واحد تخلف عنها و جاءته بنو بكر رأسهم شقيق بن ثور السدوسى و رأس عبد القيس
عمرو بن جرموز العبدى و أتاه المهلب بن أبى صفرة فيمن تبعه من الأزد

الجميل ص : ٢٩٥

موقف الأحنف

و بعث إليه الأحنف بن قيس رسولا يقول له إننى مقيم على طاعتك فى قومى فإن شئت أتيتك فى مائتين من أهل بيتى فعلت فإن شئت حبست عنك أربعة آلاف سيف من بنى سعد فبعث إليه أمير المؤمنين ع بل احبس و كف فجمع الأحنف قومه فقال يا بنى سعد كفوا عن هذه الفتنة و اعدوا فى بيوتكم فإن ظهر أهل البصرة فهم إخوانكم لم يهيجوكم و إن ظهر على ع سلمتم فكفوا و تركوا القتال و أقبل هلال بن وكيع الحنظلى إلى الأحنف بن قيس حين بلغه ذلك فقال ما يقول سيدنا فى هذا الأمر فقال الأحنف إنما أكون سيدكم غدا إذا قتلت و بقيت أنا فقال هلال بل أنت سيدنا اليوم و شيخنا فقال الأحنف أنا شيخكم المعصى و أنت الشاب المطاع اقعد فى بيتك و لا تخرج مع طلحة و الزبير فأبى أن يرضى ثم دعا تميما كلهم فتابعوه إلا نفر منهم فبلغ طلحة و الزبير ما فعله الأحنف و قاله فبعثا إليه يستميلانه و يرومان أن يدخل فى طاعتهما فقال اختاروا منى إحدى ثلاث خصال أما أن أقيم فى بيتى و أكف بنفسى و لا أكون معكما و لا عليكما و أما أن ألحق بعلى بن أبى طالب و أما أن آتى إلى الأهواز فأقيم بها

الجميل ص : ٢٩٦

فقالا ننظر فى ذلك ثم استشارا من حضرهما فقالوا لهما أما على فعدوكم و لا حظ فى أن يكون معه الأحنف و أما الأهواز فإنه إن أتاهما يلحق به كل من لا يريد القتال معكما و لكن فليكن قريبا منكما فإن تحرك و طأتماه على صماخه فأمره بالعودة فأتى وادى السباع و أقام به. و لما جاء رسول الأحنف و قد قدم على على ع بما بذل له من كف قومه عنه

قال رجل يا أمير المؤمنين من هذا قال هذا أدهى العرب و خيرهم لقومه فقال على ع كذلك هو و إننى لأمثل بينه و بين المغيرة بن شعبه لزم الطائف فأقام بها ينتظر على من تستقيم الأمة فقال الرجل إننى لأحسب أن الأحنف لأسرع إلى ما تحب من المغيرة فقال

ع أجل ما يبالي المغيرة أى لواء رفع لواء ضلالة أو لواء هدى

الجميل ص : ٢٩٧

و روى الواقدي قال حدثني معمر بن راشد عن عمرو بن عبيد عن الحسن البصري قال
أقبل أبو بكره يريد أن يدخل مع طلحة و الزبير فى أمرهما فلما رأى عائشة تدبره
برأيها رجع عنهما فقبل له ما لك لم تدخل معهما فقال رأيت امرأة تدبر أمورهم
و قد سمعت رسول الله ص يقول و قد ذكر ملكة سبأ لا أفلح قوم تدبرهم امرأة
فكرهت الدخول معهم. و روى عبد الله بن عطاء عن عبد الرحمن بن أبى بكره قال اعتزل
أبى أن يدخل مع عائشة و قال إني سمعت رسول الله ص يقول لا يفلح قوم تلى أمرهم
امرأة

الجميل ص : ٢٩٩

فصل كتاب عائشة إلى أهل المدينة

و روى الواقدي عن رجاله قال لما أفرج القوم عن عثمان بن حنيف لما خافوه من أخيه
سهل بن حنيف كتبت عائشة إلى أهل المدينة بسم الله الرحمن الرحيم من أم
المؤمنين عائشة زوجة النبي ص و ابنة الصديق إلى أهل المدينة أما بعد فإن الله أظهر
الحق و نصر طالبيه و قد قال الله عز اسمه بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ
فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ فاتقوا الله عباد الله و اسمعوا و أطيعوا و اعتصموا بحبل الله جميعا و
عروة الحق و لا تجعلوا على أنفسكم سييلا فإن الله قد جمع كلمة أهل البصرة و أمروا
عليهم الزبير بن العوام فهو أمير الجنود و الكافة يجتمعون على السمع و الطاعة له
فإذا اجتمعت كلمة المؤمنين على أمرائهم عن ملأ منهم

الجميل ص : ٣٠٠

و تشاور فإننا ندخل فى صالح ما دخلوا فيه فإذا جاءكم كتابى هذا فاسمعوا و أطيعوا و
أعينوا على ما سمعتم عليه من أمر الله و كتب عبيد الله بن كعب لخمس ليال من شهر
ربيع الأول سنة ست و ثلاثين

الجميل ص : ٣٠١

كتاب عائشة إلى أهل اليمامة

و كتبت إلى أهل اليمامة و أهل تلك النواحي أما بعد فإنى أذكركم الله الذى أنعم عليكم و ألزمكم بالإسلام فإن الله يقول ما أصاب من مُصِيبَةٍ فى الأَرْضِ وَ لا فى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فى كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ فاعتصموا عباد الله بحبله و كونوا مع كتابه فإن أمكم ناصحة لكم فيما تدعوكم إليه من الغضب له و الجهاد لمن قتل خليفة حرمه و ابتز المسلمين أمرهم و قد أظهر الله عليه و إن ابن حنيف الضال المضل كان بالبصرة يدعو المسلمين إلى سبيل النار و إنا أقبلنا إليها ندعو المسلمين إلى كتاب الله و أن يضعوا بينهم القرآن فيكون ذلك رضى لهم و أجمع لأمرهم و كان ذلك لله عز و جل على المسلمين فيه الطاعة فإما أن ندرك به حاجتنا أو نبليغ عذرا فلما دنونا إلى البصرة و سمع بنا ابن حنيف جمع لنا الجموع و أمرهم أن يلقونا بالسلاح فيقاتلونا و يطردونا و شهدوا علينا بالكفر و قالوا فينا المنكر فأكذبهم المسلمون و أنكروا عليهم و قالوا لعثمان بن حنيف ويحك إنما تابعنا زوج النبى ص و أم المؤمنين و أصحاب رسول الله ص و أئمة المسلمين فتماذى فى غيه و أقام على أمره فلما رأى المسلمون أنه قد عصاهم و رد عليهم أمرهم غضبوا لله عز و جل و لأم المؤمنين و لم نشعر به حتى أظلنا فى ثلاثة آلاف

الجميل ص : ٣٠٢

من جهلة العرب و سفهائهم و صفهم دون المسجد بالسلاح فالتمسنا أن يبايعوا على الحق و لا يحولوا بيننا و بين المسجد فرد علينا ذلك كله حتى إذا كان يوم الجمعة و تفرق الناس بعد الصلاة عنه دخل طلحة و الزبير و معهما المسلمون و فتحوه عنوة و قدموا عبد الله بن الزبير للصلاة بالناس و إنا نخاف من عثمان و أصحابه أن يأتونا بغتة ليصيبوا منا غره فلما رأى المسلمون أنهم لا يبرحون تحرزوا لأنفسهم و لم يخرج و من معه حتى هجموا علينا و بلغوا سدة بيتى و معهم هاد يدلهم على ليسفكوا دمي

فوجدوا نفرا على باب بيتى فردوهم عنى و كان حولى نفر من القرشيين و الأزديين
يدفعونهم عنى فقتل منهم من قتل و انهزموا فلم نعترض لبقيتهم و خلىنا ابن حنيف منا
عليه و قد توجه إلى صاحبه و عرفناكم ذلك عباد الله لتكونوا على ما كنتم عليه من
النية فى نصره دين الله و الغضب للخليفة المظلوم. و روى الواقدي عن عبد السلام
بن حفص قال حدثنى المنهال بن عمرو بن سلامة البصرى قال لما بدا لطلحة و الزبير
فى حبس عثمان بن حنيف و أشفقا من

الجميل ص : ٣٠٣

أخيه سهل بن حنيف على مخلفيهم فى المدينة أطلقوه فتوجه إلى أمير المؤمنين ع و
هو بذى قار

الجميل ص : ٣٠٤

خطبة طلحة

فلما عرفا خروجه إليه قام طلحة فى الناس خطيبا فنعى إليهم عثمان بن عفان و ذكر
قاتليه و أكثر الذم عليهم و الشتم و عزا قتله إلى على بن أبى طالب ع و أنصاره و ذكر
أن عليا أكره الناس على البيعة له فقال فيما قال يا معشر المسلمين إن الله قد جاءكم
بأم المؤمنين و قد عرفتم بحقها و مكانها من النبى ص و مكان أبيها من الإسلام و ها هى
تشهد لنا إنا لم نكذبكم فيما خبرناكم به و لا غررناكم فيما دعوناكم إليه من قتال على
بن أبى طالب و أصحابه الصادين عن الحق و لسنا نطلب خلافة و لا ملكا و إنا نحذركم
أن تغلبوا على أمركم و تقصروا دون الحق و قد رجونا أن يكون عندكم عون لنا على
طاعة الله و إصلاح الأمة فإن أحق من عناه أمر المسلمين و مصلحتهم أنتم يا أهل
البصرة لتمكنكم بالدين و إن عليا لو عمل الجد فى نصره أمكم لاعتزل هذا الأمر حتى
تختار الأمة لأنفسها من ترصاه. فقال أهل البصرة مرحبا و أهلا و سهلا بأم المؤمنين و
الحمد لله على إكرامنا بها و أنتم عندنا رضا و ثقة و أنفسنا مبذولة لكم و نحن نموت
على طاعتكم و رضاكم ثم

الجميل ص : ٣٠٥

انصرفوا فصاروا إلى عائشة فسلموا عليها و قالوا قد علمنا أن أمانا لم تخرج إلينا إلا لثقتها بنا و أنها تريد الإصلاح و حقن الدماء و إطفاء الفتنة و الألفة بين المسلمين و إنا ننتظر أمرها فى ذلك فإن أبى عليها أحد فيه قاتلناه حتى يفىء إلى الحق
اعتراض عبد الله بن حكيم التميمى على طلحة

و بلغ كلام طلحة مع أهل البصرة إلى عبد الله بن حكيم التميمى فصار إليه و قال له يا طلحة هذه كتبك وصلت إلينا بعيب عثمان بن عفان و خبرك عندنا بالتأليب عليه حتى قتل و بيعتكم عليا فى جماعة الناس و بنكتكم بيعته من غير حدث كان منه فما كلام بلغنا عنك و فيم جئت بعد الذى عرفناه من رأيك فى عثمان فقال له طلحة أما عيبى لعثمان و تأليبى عليه فقد كان و لم نجد لنا من الخلاص منه سبيلا إلا التوبة فيما اقترفناه من الجرم به و إلا الطلب بدمه و أما يبعثى له فإنى أكرهت على ذلك و خشيت منه أن يؤلب على إن امتنعت من بيعته و يغرى بى فيمن أغراه بعثمان حتى قتله فقال له عبد الله بن حكيم هذه معاذير يعلم الله باطن الأمر فيها و هو المستعان على ما نخاف من عاقبة أمرها

الجميل ص : ٣٠٦

خطبة أخرى لطلحة

و روى عبد الله بن عبيدة قال لما كان من كلام عبد الله بن حكيم لطلحة ما كان قام طلحة فحمد الله و أثنى عليه ثم قال أيها الناس إن رسول الله ص توفى و هو عنا راض و كنا مع أبى بكر حتى توفاه الله فمات و هو عنا راض ثم كان عمر بن الخطاب فسمعنا و أطعنا حتى قبض و هو عنا راض فأمرنا بالتشاور فى أمر الخلافة من بعده و اختار ستة نفر و رضيههم للأمر فاستقام أمرنا على رجل من الستة وليناه و اجتمع رأينا عليه و هو عثمان و كان أهلا لذلك فبايعناه و سمعنا له و أطعناه فأحدث بعد ذلك أحداثا لم تكن على عهد أبى بكر و عمر فكرهها الناس منه و لم يكن لنا بد مما صنعناه ثم أخذ هذا

الرجل الأمر دوننا من غير مشورتنا و تغلب عليه و نحن و هو فيه شرع سواء فأتى بنا إليه و نحن أكره الناس إليه و اللج على أعناقنا فبايعناه كرها و الذى نطلب أيها الناس الآن منه أن يدفع إلى ورثة عثمان قاتليه فإنه قتل مظلوما و يخلع هذا الأمر و يعتزله ليتشاور المسلمون فيمن يكون لهم إماما كسنة عمر بن الخطاب فى الشورى فإذا استقام رأينا و رأى أهل الإسلام على رجل بايعناه

الجملة ص : ٣٠٧

اعتراض الناس على طلحة

فلما فرغ من كلامه قام عظيم من عظماء عبد القيس فحمد الله و أثنى عليه ثم قال أيها الناس إنه قد كان وأل هذا الأمر و قوامه المهاجرين و الأنصار بالمدينة و لم يكن لأحد من أهل الأمصار أن ينقضوا ما أبرموا و لا يبرموا ما نقضوا فكانوا إذا رأوا رأيا كتبوا به إلى الأمصار فسمعوا لهم و أطاعوا و إن عائشة و طلحة و الزبير كانوا أشد الناس على عثمان حتى قتل و بايع الناس عليا و بايعه فى جملتهم طلحة و الزبير فجاءنا نبأهما لبيعتهما له فبايعناه فلا و الله ما نخلع خليفتنا و لا ننقض بيعتنا فصاح عليه طلحة و الزبير و أمرا بقرض لحيته فنتفوها حتى لم يبق منها شيء. و قام رجل من بنى جشم فقال أيها الناس أنا فلان بن فلان فاعرفونى و إنما انتسب لهم ليعلموا أن له عشيرة تمنعه فلا يعجل عليه من لا يوافق كلامه ثم قال أيها الناس إن هؤلاء القوم إن كانوا جاءوكم يطلبون بدم عثمان فو الله ما نحن قتلنا عثمان و إن كانوا جاءوكم خائفين فو الله ما جاءوا إلا من حيث يأمن الناس و الطير فلا تغتروا بهم و اسمعوا قولى و أطيعوا أمرى و ردوا هؤلاء القوم إلى مكانهم الذى منه أقبلوا و أقيموا على بيعتكم لإمامكم و أطيعوا لأمرهم فصاح عليه الناس من جوانب المسجد و قذفوه بالحصى. ثم قام رجل آخر من متقدمى عبد القيس فقال أيها الناس أنصتوا أتكلم لكم فقال له عبد الله بن الزبير ويلك ما لك و للكلام فقال ما لى و له أنا

الجملة ص : ٣٠٨

و الله للكلام و به و فيه ثم حمد الله و أثنى عليه و ذكر النبي صلى عليه و قال يا
معاشر المهاجرين كنتم أول الناس إسلاما بعث الله محمدا نبيه بينكم فدعاكم
فأسلمتم و أسلمنا لإسلامكم فكنتم فيه القادة و نحن لكم تبع ثم توفى رسول الله ص
فبايعتم رجلا منكم لم تستأذنونا في ذلك فسلمنا لكم ثم إن ذلك الرجل توفى و
استخلف عمر بن الخطاب فو الله ما استشارنا في ذلك فلما رضيتم رضينا و سلمنا ثم
إن عمر جعلها شورى في ستة نفر فاخترتم منهم واحدا فسلمنا لكم و اتبعناكم ثم إن
الرجل أحدث أحداثا أنكرتموها فحصرتموه و خلعتموه و قتلتموه و ما استشرتونا في
ذلك ثم بايعتم على بن أبي طالب و ما استشرتونا في بيعته فرضينا و سلمنا و كنا لكم
تبعاً فو الله ما ندري بما ذا نقمتكم عليه هل استأثر بمال أو حكم بغير ما أنزل الله أو
أحدث حدثا منكرا فحدثونا به نكن معكم فو الله ما نراكم إلا قد ضللتم بخلافكم له
فقال له ابن الزبير ما أنت و ذاك و أراد أهل البصرة أن يشبوا عليه فمنعتهم عشيرته

الجميل ص : ٣٠٩

فصل خطبة عائشة

و روى محمد بن عمر الواقدي عن موسى بن طلحة قال لقد شهدت عائشة يوم الجمل و
قد سألتها الناس عن عثمان فما رأيت أفصح منها لسانا و لا أربط منها جنانا فاستجلست
الناس بيديها ثم حمدت الله و أثنت عليه و قالت أيها الناس إنا نقمنا على عثمان خلاصا
ثلاثا إمارة بالغنى و ضربه بالسوط و رفعه موضع الغمامة المحمأة حتى إذا عتبنا منهم
ماصوه موص الماء بالصابون ثم عدوا

الجميل ص : ٣١٠

عليه فاستحلوا منه الحرمات الثلاث حرمة الشهر الحرام و حرمة البلد الحرام و حرمة
الخلافة و الله لعثمان كان أتقاهم للرب و أوصلهم للرحم و أحصنهم للفرج أقول قولي
هذا و أستغفر الله لي و لكم. و روى إسرائيل بن يونس عن أبي إسحاق الهمداني قال
جاء جليد بن زهير الجشمي و عبد الله بن عامر التميمي فدخلوا على عائشة فسلموا عليها

فقال من هذان الرجلان فقيل لها هذا جليد بن زهير صاحب خراسان و هذا عبد الله بن عامر التميمي فقالت هما معنا أم علينا فقالا لا معك و لا عليك حتى يستبين لنا الأمر فقالت كفى بالاعتزال نصره. و روى عمر بن صباح قال اجتمع نفر من وجوه البصرة إلى طلحة و الزبير فقالوا لهما فإن ولاء عثمان غيركما فدعوا ولاته يطلبون بدمه و الله ما نراكما أنصفتما رسول الله ص في حبيسته عرضتماها للرياح و الشمس و القتال و قد أمرها الله أن تقر في بيتها و تركتما نساءكما في الأكنان و البيوت هلا جئتما بنساءكما معكما فقال لهما طلحة اعزبوا عنا قبحكم الله. اعتراض عمران بن حصين على عائشة. و جاء عمران بن حصين إلى عائشة فقال لها قد كان لك يا عائشة في إخوتك

الجميل ص : ٣١١

عبرة و في أمثالك من أمهات المؤمنين أسوء أ ما سمعت الله عز و جل يقول وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ فَلَوْ اتَّبَعْتَ أَمْرَ اللَّهِ كَانَ خَيْرًا لَكَ فَقَالَتْ لَهُ يَا عِمْرَانُ قَدْ كَانَ مَا كَانَ فَهَلْ عِنْدَكَ عَوْنٌ لَنَا وَ إِلَّا فَاحْبِسْ عَنَّا لِسَانَكَ قَالَ أَعْتَزْلُكَ وَ أَعْتَزِلْ عَلَيَا قَالَتْ رَضِيتْ بِذَلِكَ مِنْكَ

الجميل ص : ٣١٣

فصل في نصيحة أمير المؤمنين ع لأصحاب الجمل

و لما سار أمير المؤمنين ع من ذي قار قدم صعصة بن صوحان رضى الله عنه بكتاب إلى طلحة و الزبير و عائشة يعظم عليهم حرمة الإسلام و يخوفهم فيما صنعوه و يذكر لهم قبيح ما ارتكبوه من قتل من قتلوا من المسلمين و ما صنعوا بصاحب رسول الله ص عثمان بن حنيف و قتلهم المسلمين صبرا و يعظمهم و يدعوهم إلى الطاعة قال صعصة فقدمت عليهم فبدأت بطلحة فأعطيته الكتاب و أدبت إليه الرسالة فقال الآن حين عضت ابن أبي طالب الحرب يرفق لنا ثم جئت إلى الزبير فوجدته أليين من طلحة ثم جئت إلى عائشة فوجدتها أسرع الناس إلى الشر فقالت نعم قد خرجت للطلب بدم عثمان و الله لأفعلن و أفعلن فعدت إلى أمير المؤمنين ع فلقيته قبل أن يدخل البصرة

الجميل ص : ٣١٤

فقال ما وراؤك يا صعصعة قلت يا أمير المؤمنين رأيت قوما ما يريدون إلا قتالك فقال
الله المستعان. ابن عباس و طلحة.

ثم دعا عبد الله بن عباس فقال انطلق إليهم فناشدهم و ذكرهم العهد الذى لى فى
رقابهم

قال ابن عباس فجئت فبدأت بطلحة فذكرته العهد فقال لى يا ابن عباس و الله لقد
بايعت و اللج على رقبتي فقلت له أنا رأيتك بايعت طائعا أ و لم يقل لك على قبل
بيعتك له إن أحببت أن أبايعك بايعتك فقلت لا بل نحن نبايعك فقال طلحة إنما قال
لى ذلك و قد بايعه قوم فلم أستطع خلافهم و الله يا ابن عباس إن القوم الذين معه
يغرونه و لئن لقيناه يسلمونه أ ما عملت يا ابن عباس أنى جئت إليه و الزبير و لنا من
الصحبة ما لنا مع رسول الله ص و القدم فى الإسلام و قد أحاط به ألفان قياما على
رأسه بالسيوف فقال لنا بهزل إن أحببنا بايعت لكما فلو قلنا نعم أ فتراه كان يفعل و
قد بايع الناس له فيخلع نفسه و يبايعنا لا و الله ما كان يفعل و خشينا أن يغرى بنا من
لا يرى لنا حرمة فبايعناه كارهين و قد جئنا نطلب بدم عثمان فقل لابن عمك إن كان
يريد حقن الدماء و إصلاح أمر الأمة فليمكننا من قتلة عثمان فهم معه و يخلع نفسه و
يرد الأمر ليكون شورى بين المسلمين فيولوا من شاءوا فإنما على رجل كأحدنا و إن
أبى أعطيناه السيف فما له عندنا غير هذا.

الجميل ص : ٣١٥

قال ابن عباس يا أبا محمد لست تنصف أ لم تعلم أنك حصرت عثمان حتى مكث عشرة
أيام يشرب من ماء بئره و تمنعه من شرب الماء الفرات حتى كلمك على أن تخلى
الماء له و أنت تأبى ذلك و لما رأى أهل مصر فعلك و أنت صاحب رسول الله ص دخلوا
عليه بسلاحهم فقتلوه ثم بايع الناس رجلا له من السابقة و الفضل و القرابة برسول
الله ص و البلاء العظيم ما لا يدفع و جئت أنت و صاحبك طائعين غير مكرهين حتى
بايعتما ثم نكتنما فعجب و الله لإقرارك لأبى بكر و عمر و عثمان بالبيعة و وثوبك على

على بن أبى طالب فو الله ما على ع دون أحد منهم و أما قولك يمكننى من قتله عثمان
فما يخفى عليك من قتل عثمان و أما قولك إن أبى على فالسيف فو الله إنك لتعلم أن
عليا لا يخوف فقال طلحة إياها عنا الآن من جدالك

الجميل ص : ٣١٦

ابن عباس و عائشة.

قال فخرجت فرجعت إلى على و قد دخل البيوت بالبصرة فقال ما وراءك فأخبرته الخبر
فقال اللهم افتح بيننا و بين قومنا بالحق و أنت خير الفاتحين ثم قال ارجع إلى عائشة
و اذكر لها خروجها من بيت رسول الله ص و خوفها من الخلاف على الله عز و جل و
نبذها عهد النبى ص و قل لها إن هذه الأمور لا تصلحها النساء و إنك لم تؤمرى بذلك
فلم ترضى بالخروج عن أمر الله فى تبرجك و بيتك الذى أمرك النبى ص بالمقام فيه
حتى سرت إلى البصرة فقتلت المسلمين و عمدت إلى عمالي فأخرجتهم و فتحت بيت
المال و أمرت بالتنكيل بالمسلمين و أبحت دماء الصالحين فارعى و راقبى الله عز و
جل فقد تعلمين أنك كنت أشد الناس على عثمان فما هذا مما مضى

قال ابن عباس فلما جئتها و أديت الرسالة إليها و قرأت كتاب على ع عليها قالت يا ابن
عباس ابن عمك يرى أنه قد تملك البلاد لا و الله ما بيده منها شىء إلا و بيدنا أكثر منه
فقلت يا أماه إن أمير المؤمنين ع له فضل و سابقة فى الإسلام و عظم عناء قالت ألا
تذكر طلحة و عناه يوم أحد قال فقلت لها و الله ما نعلم أحدا أعظم عناء من على ع
قالت أنت

الجميل ص : ٣١٧

تقول هذا و مع على أشياء كثيرة قلت الله الله فى دماء المسلمين فقالت و أى دماء
تكون للمسلمين إلا أن يكون على يقتل نفسه و من معه قال ابن عباس فتبسمت فقالت
مما تضحك يا ابن عباس فقلت و الله معه قوم على بصيرة من أمرهم يبذلون مهجهم
دونه قالت حسبنا الله و نعم الوكيل. ابن عباس و الزبير. قال و قد كان أمير المؤمنين

ع أوصاني أن ألقى الزبير و إن قدرت أن أكلمه و ابنه ليس بحاضر فجئت مرة أو مرتين كل ذلك أجده عنده ثم جئت مرة أخرى فلم أجده عنده فدخلت عليه و أمر الزبير مولاه سرجس أن يجلس على الباب و يحبس عنا الناس فجعلت أكلمه فقال غضبتم إن خولفتم و الله لتعلمن عاقبة ابن عمك فعلمت أن الرجل مغضب فجعلت ألاينه فيلين مرة و يشتد أخرى فلما سمع سرجس ذلك أنفذ إلى عبد الله بن الزبير و كان عند طلحة فدعاه فأقبل سريعا حتى دخل علينا. فقال يا ابن عباس دع بنيات الطريق بيننا و بينكم عهد خليفة و دم خليفة و انفراد واحد و اجتماع ثلاثة و أم مبرورة و مشاورة العامة فأمسكت ساعة لا أكلمه ثم قلت لو أردت أن أقول لقلت فقال ابن الزبير و لم تؤخر ذلك و قد حم الأمر و بلغ السيل الزبي قال ابن عباس فقلت أما قولك عهد خليفة فإن عمر جعل المشورة إلى ستة نفر فجعل الستة نفر أمرهم إلى

الجمال ص : ٣١٨

رجل منهم يختار لهم منهم و يخرج نفسه منها فعرض الأمر على علي و عثمان فحلف عثمان و أبي علي أن يحلف فبايع عثمان فهذا عهد خليفة و أما دم خليفة قدمه عند أبيك لا يخرج أبوك من خصلتين أما قتل أو خذل و أما انفراد واحد و اجتماع ثلاثة فإن الناس لما قتلوا عثمان فزعوا إلى علي فبايعوه طوعا و تركوا أباك و صاحبه و لم يرضوا بواحد منهما و أما قولك إن معكم أما مبرورة فإن هذه الأم أنتم أخرجتموها من بيتها و قد أمرها الله أن تقر فيه فأبيت أن تدعها و قد علمت أنت و أبوك أن النبي ص حذرهما من الخروج

و قال يا حميراء إياك أن تنبحك كلاب الحوآب

و كان منها ما قد رأيت و أما دعواك مشاورة العامة فكيف يشاور فيمن قد أجمع عليه و أنت تعلم أن أباك و طلحة بايعاه طائعين غير كارهين. فقال ابن الزبير الباطل و الله ما تقول يا ابن عباس و لقد سئل عبد الرحمن بن عوف عن أصحاب الشورى فكان صاحبكم أحسنهم عنده و ما أدخله عمر في الشورى إلا و هو يعرفه و لكن خاف فتقه في الإسلام و

أما قتل الخليفة فصاحبك كتب إلى الآفاق حتى قدموا عليه ثم قتلوه و هو فى داره
بلسانه و يده و أنا معه فى الدار أقاتل دونه حتى جرحت بضعة عشر جرحا و أما قولك
إن عليا بايعه الناس طائعين فو الله ما بايعوه إلا كارهين و السيف على رقابهم غصبتهم
أمرهم. فقال الزبير دع عنك ما ترى يا ابن عباس جئتنا لتوفينا فقال له ابن عباس أنتم
طلبتم هذا و الله ما عددناك قط إلا من بنى هاشم فى برك لأخوالك و محبتك لهم حتى
أدرك ابنك هذا فقطع الأرحام فقال الزبير دع عنك هذا

الجمال ص : ٣١٩

فصل فى تأمير الأمراء و تكتيب الكتائب

و لما عاد رسل أمير المؤمنين ع من طلحة و الزبير و عائشة بإصرارهم على خلافه و
إقامتهم على نكث بيعته و المباينة له و العمل على حربته و استحلال دماء شيعته و
أنهم لا يتعظون بوعظ و لا ينتهون عن الفساد بوعيد كتب الكتائب و رتب العساكر. و
استعمل على مقدمته عبد الله بن العباس. و على ساقتة هند المرادى ثم الجملى و هو
الذى قال فيه عمر بن الخطاب سيد أهل الكوفة اسمه اسم امرأة. و استعمل على كافة
الخيلى عمار بن ياسر. و على جميع الرجالة محمد بن أبى بكر. و فرق الرئاسات من بعده
فجعل على خيل مذحج خاصة هند الجملى. و على رجالتها شريح بن هانى الحارثى. و
على خيل همدان سعيد بن قيس. و على رجالتها زياد بن كعب بن مرة.

الجمال ص : ٣٢٠

و على خيل كندة حجر بن عدى. و على خيل بجيلة و رجالتها رفاعه بن شداد. و على خيل
قضاعه و رجالتها عدى بن حاتم. و على خيل خزاعة و أفناء اليمن عبد الله بن زيد. و
على رجالتها عمرو بن الحمق الخزاعى. و على خيل الأزد جندب بن زهير. و على رجالتها
أبا زينب الذى شهد على الوليد بن عقبة بشرب الخمر و كان سبب صرفه عن الكوفة و
إقامة الحد عليه. و على خيل بكر بن وائل عبد الله بن هاشم السدوسى. و على رجالتها
حسان بن محدوج الدهلى. و على خيل عبد القيس من أهل الكوفة زيد بن صوحان

العبدى. و على رجالتها الحارث بن مرة العبدى. و على خيل بكر بن وائل من أهل
البصرة سفيان بن ثور السدوسى. و على رجالتها الحضين بن المنذر
و هو الذى قال فيه أمير المؤمنين ع يوم صفين
لمن راية حمراء يخفق ظلها إذا قيل قدمها حضين تقدما
. و على الهازم خاصة حريث بن جابر الحنفى. و على الدهليين خالد بن المعمر
السدوسى.

الجمال ص : ٣٢١

و على خيل عبد القيس من أهل البصرة المنذر بن الجارود العبدى. و على خيل أسد
قبيصة بن جابر الأسدى. و على رجالتها العكبر بن جدير الأسدى و هو الذى قتل محمد
بن طلحة يوم الجمل. و على خيول أهل الكوفة من بنى تميم عمير بن عطار. و على
رجالتها معقل بن قيس و هو الذى سبى بنى ناجية. و على خيل قيس عيلان من أهل
الكوفة عبد الله بن الطفيل البكائى. و على رجالتها فروة بن نوفل الأشجعى صاحب
النخيلة. و على خيل قريش و كنانة هاشم بن عتبة بن أبى وقاص المرقال. و على
رجالتها هاشم بن هشام. و على من صار إليه من تميم البصرة جارية بن قدامة السعدى.
و على رجالتها أعين بن ضبيعة. فأحاط العسكر يومئذ من الفرسان المعروفين و الرجالة
المشهورين على ستة عشر ألف رجل

الجمال ص : ٣٢٢

تعبئة طلحة و الزبير للحرب

و لما بلغ طلحة و الزبير أن أمير المؤمنين ع كتب الكتائب و رتب العساكر و تيقنوا
منه الجد و أيقنوا منه القصد و الحرب عملا على الاستعداد لها و كان أهل البصرة قد
اختلفوا عليهما و قعد عنهما الأحنف فى بنى سعد و كانا يظنان أنه معهم فأخلف ظنهم و
تأخر عنهما الأزد لقعود كعب بن سور القاضى عنهما و كان سيد الأزد و أهل اليمن
بالبصرة فأنفذ إليه رسولهما يسألانه النصر لهما و القتال معهما فأبى عليهما و قال

أنا أعتزل الفريقين فقالا إن قعد عنا كعب خذلنا الأزد بأسرها و لا غنى لنا عنه فصارا إليه
و استأذنا عليه فلم يأذن لهما و حجبهما فصارا إلى عائشة فخيرها خبره و سألاها أن
تسير إليه فأبت و راسلته تدعوه إلى الحضور عندها فاستعفاها من ذلك. فقال طلحة و
الزبير يا أم إن قعد كعب قعدت عنا الأزد كلها و هي حى البصرة فاركبى إليه فإنك إن
فعلت لم يخالفك و انتقاد لرأيك فركبت بغلا و أحاط بها نفر من أهل البصرة و صارت
إلى كعب بن سور فاستأذنت عليه فأذن و رحب بها فقالت يا بنى أرسلت إليك لتنصر الله
عز و جل فما الذى أخرك عنى فقال يا أماه لا حاجة لى فى خوض هذه الفتنة فقالت يا بنى
اخرج معى و خذ بخطام جملى فإنى أرجو أن يقربك إلى الجنة و استعبرت باكية فرق
لها كعب بن سور

الجميل ص : ٣٢٣

و أجابها و علق المصحف فى عنقه و خرج معها فلما خرج و المصحف فى عنقه قال غلام
من بنى وهب و قد كان عرف امتناعه و تأييه من خوض هذه الفتنة
يا كعب رأيك هذا الجميل أمثل من رأيك الخاطل
أتاك الزبير يريد الأمور و طلحة بالنفل الشاكل
ليستدرجاك بما زخرفا و أمك تهوى إلى نازل
و قد كانت الأم معصومة فأضحت فرائس للآكل
تخط بها الأرض من حولها ترد الجواب على السائل
فألقيتها بين حى السباع و عرضتها للشجى الثاكل
بحرب على و أصحابه فقد أزم الدهر بالكاهل
فأبديت للقوم ما فى الضمير و قلت لهم قوله الخاذل
فأخطاهما منك ما أملاه و قد أخلفا أمل الآمل
و ما لك فى مضر نسبة و ما لك فى الحى من وائل
فلا تجزعن على هالك من القوم حاف و لا ناعل

و لما نهض كعب بن سور مع عائشة في الأزد اجتمع رأى طلحة و الزبير على

الجميل ص : ٣٢٤

تكتب الكتائب و استقر الأمر منهما على أن الزبير أمير العسكر خاصة و مدبره. و طلحة في القلب. و اللواء مع عبد الله بن حكيم بن حزام بن خويلد. و كعب بن سور مع الأزد. و على خيل الميمنة مروان بن الحكم. و على رجالتها عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد. و على خيل الميسرة و هم بنو تميم و سائر قبائل قضاة و هوازن هلال بن وكيع الدارمي. و على رجالتها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام و قد ضم إليه الحباب بن يزيد. و على خيل قيس عيلان مجاشع بن مسعود. و على رجالتهم جابر بن النعمان الباهلي. و على خيل الرباب عمرو بن يثرب. و على رجالتهم خرشة بن عمرو الضبي. و على من انحاز إليهم من قريش و ثقيف عبد الله بن عامر بن كريز. و على أفناء أهل المدينة عبد الله بن خلف الخزاعي.

الجميل ص : ٣٢٥

و على رجالة مذحج الربيع بن زياد الحارثي. و على رجالة قضاة عبد الله بن جابر الراسبي. و على من انحاز إليهم من ربيعة مالك بن مسمع. و لما تقرر أمر الكتائب في الفريقين فخر كل فريق بقومه و قام خطبائهم بالتحريض على القتال

الجميل ص : ٣٢٦

خطبة عبد الله بن الزبير

فقام عبد الله بن الزبير في معسكرهم فحمد الله و أثنى عليه و قال أيها الناس إن هذا الوعث و الرعث قتل عثمان بالمدينة ثم جاءكم ينشر أموركم بالبصرة و قد غصب الناس أنفسهم أ لا تنصرون خليفتم المظلوم أ لا تمنعون حريمكم المباح أ لا تتقون الله في عطيتكم من أنفسكم أ ترضون أن يتوردكم أهل الكوفة في بلادكم اغضبوا فقد غوضبتم و قاتلوا فقد قوتلتهم إن عليا لا يرى أن معه في هذا الأمر أحدا سواه و الله لئن ظفر بكم ليهلك دينكم و دنياكم و أكثر من نحو هذا القول و شبهه

الجمال ص : ٣٢٧

خطبة الحسن ع

فبلغ ذلك أمير المؤمنين ع فقال لولده الحسن ع قم يا بني فاخطب فقام خطيبا فحمد الله و أثنى عليه و قال أيها الناس قد بلغنا مقالة ابن الزبير و قد كان و الله أبوه يتجنى على عثمان الذنوب و قد ضيق عليه البلاد حتى قتل و إن طلحة راكمز رايته على بيت ماله و هو حى و أما قوله إن عليا ابتز الناس أمورهم فإنه أعظم حجة لأبيه زعم أنه بايعه بيده و لم يبايعه بقلبه فقد أقر بالبيعة و ادعى الوليجة فليأت على ما ادعاه ببرهان و أنى له ذلك و أما تعجبه من تورد أهل الكوفة على أهل البصرة فما عجبه من أهل حق توردوا على أهل باطل و لعمرى و الله ليعلمن أهل البصرة فميعاد ما بيننا و بينهم يوم نحاكمهم إلى الله فيقضى الله بالحق و هو خير الفاصلين فلما فرغ الحسن ع من كلامه قام رجل يقال له عمر بن محمود

الجمال ص : ٣٢٨

فقال شعرا يمدح الحسن ع فيه على خطبته

الجمال ص : ٣٢٩

خطبة طلحة

و لما بلغ طلحة و الزبير خطبة الحسن ع و مدح المادح له قام طلحة خطيبا فى أصحابه فقال يا أهل البصرة قد ساق الله إليكم خيرا ما ساقه إلى قوم قط أمكم و حرمة نبيكم و حوارى رسول ص و ابن عمته و من وقاه بيده إن عليا غصب الناس أنفسهم بالحجاز و تهيأ للشام يريد سفك دماء المسلمين و التغلب على بلادهم فلما بلغه مسيرنا إليكم و قصدنا قصدكم و قد اجتمع معه منافقو مضر و نصارى ربيعة و رجالة اليمن فإذا رأيتم القوم فاقصدوا قصدهم و لا تروعوا عنهم و لا تقولوا ابن عم رسول الله و هذه معكم زوجة الرسول و أحب الناس إليه و ابنة الصديق الذى كان أبوها أحب الخلق إلى رسول الله ص

اعتراض خيران بن عبد الله و الأسود بن عوف على طلحة
فقام إلى طلحة رجل يقال له خيران بن عبد الله من أهل الحجاز كان قدم

الجمل ص : ٣٣٠

البصرة و هو غلام فقال يا طلحة و الله ما تركت جنبا صحيحا ننام عليه بشتكم ربيعة و
مضر و اليمن فإن كان القول كما تقول فإننا لمثلهم و هم منا و نحن منهم و ما يفرق بيننا
و بينهم غيرك و غير صاحبك و لقد سبقت منا إلى على عبيعة ما ينبغي لنا أن ننقضها و
إننا لنعلم حالكم اليوم و حالكم أمس فهم القوم به فمنعهم بنو أسد عنه فخرج عنهم و
لحق بمنزل ابن صهبان مستخفيا إشفاقا على دمه منهم. و قام الأسود بن عوف لما سمع
من طلحة شتمه الأحياء من ربيعة و مضر و اليمن فقال يا هذا إن الله لم يفرق بيننا و
بين مضر و إن أهل الكوفة من غاب منهم كمن شهد الأخ إلى الأخ و إنما خالفنا القوم
فى هواكما فاعفنا مما ترى ثم خرج فلحق بعمان و لم يشهد الجمل و لا صفين

الجمل ص : ٣٣١

خطبة أمير المؤمنين ع

و بلغ أمير المؤمنين ع لغط القوم و اجتماعهم على حربه فقام فى الناس خطيبا فحمد
الله و أثنى عليه و ذكر النبى صلى عليه ثم قال أيها الناس إن طلحة و الزبير قدما
البصرة و قد اجتمع أهلها على طاعة الله و بيعتى فدعواهم إلى معصية الله و خلافى
فمن أطاعهما منهم فتنوه و من عصاهما قتلوه و قد كان من قتلها حكيم بن جبلة ما
بلغكم و قتلهم السبابجة و فعالهما بعثمان بن حنيف ما لم يخف عليكم و قد كشفوا
الآن القناع و آذنوا بالحرب و قام طلحة بالشتم و القدح فى أديانكم و قد أرعد و
صاحبه و أبرقا و هذان امرءان معهما الفشل و لسنا نريد منكم أن تلقوا بطون ما فى
نفوسكم عليهم و لا تروا ما فى أنفسكم لنا و لسنا نرعد حتى نوقع و لا نسيل حتى
نمطر و قد خرجوا من هدى إلى ضلال دعوناهم إلى الرضا و دعونا إلى السخط فحل لنا
و لكم ردهم إلى الحق و القتال و حل لهم بقصاصهم القتل و قد و الله مشوا إليكم

ضرارا و أذاقوكم أمس من الجمر فإذا لقيتم القوم غدا فاغدوا فى الدعاء و أحسنوا فى
التقية و استعينوا بالله و اصبروا إن الله مع الصابرين

الجميل ص : ٣٣٢

فقام إليه حبيب بن يساف حتى وقف بين يديه و قال
أبا حسن أيقظت من كان نائما و ما كل من يدعى إلى الحق يسمع
و ما كل من يعطى الرضا يقبل الرضا و ما كل من أعطيته الحق يقنع
و أنت امرؤ أعطيت من كل وجهه محاسنها و الله يعطى و يمنع
و ما منك بالأمر المؤلم غلظة و ما فيك للمرء المخالف مطمع
و إن رجالا بايعوك و خالفوا هداك و أجروا فى الضلال فضيعوا
لأهل لتجريد الصوارم فيهم و سمر العوالى و القنا تترزعزع
فإنى لأرجو أن تدور عليهم رحى الموت حتى يسكنوا و يصرعوا
و طلحة فيها و الزبير قرينه و ليس لما لا يدفع الله مدفع
فإن يمضيا فالحرب أضيق حلقة و إن يرجعا عن تلك فالسلم أوسع
و ما بايعوه كارهين لبيعة و ما بسطت منهم على الكره إصبع
و لا بطيا عنها فراقا و لا بدا لهم أحد بعد الذين تجمعوا
على نقضها ممن له شد عقدها فقصرهما منه مصانع أربع
خروج بأم المؤمنين و غدرهم و عتب على من كان فى القلب أشجع

الجميل ص : ٣٣٣

و ذكرهم قتل ابن عفان خدعة و هم قتلوه و المخادع أخدع
فعود على نبعة هاشمية و عودهما فيما هما فيه خروج

الجميل ص : ٣٣٤

خطبة أمير المؤمنين ع فى التحريض على القتال
قال ثم إن أمير المؤمنين ع أنظرهم ثلاثة أيام ليكفوا و يراعوا فلما علم إصرارهم على

الخلاف قام فى أصحابه فقال عباد الله انهدوا إلى هؤلاء القوم منشرحة صدوركم
فإنهم نكثوا بيعتى و قتلوا شيعتى و نكلوا بعاملى و أخرجوه من البصرة بعد أن آلموه
بالضرب المبرح و العقوبة الشديدة و هو شيخ من وجوه الأنصار و الفضلاء و لم يرعوا
له حرمة و قتلوا السبابة رجالا صالحين و قتلوا حكيم بن جبلة ظلما و عدوانا لغضبه
لله ثم تتبعوا شيعتى بعد أن هربوا منهم و أخذوهم فى كل غائطة و تحت كل رابية
يضربون أعناقهم صبرا ما لهم قاتلهم الله أنى يؤفكون فانهدوا إليهم عباد الله و
كونوا أسودا عليهم فإنهم شرار و مساعدوهم على الباطل شرار فالقوهم صابرين
محتسبين موطنين أنفسكم إنكم منازلون و مقاتلون قد وطنتم أنفسكم على الضرب و
الطعن و منازل الأقران فأى امرئ أحسن من نفسه رباطة جأش عند الفزع و شجاعة عند
اللقاء و رأى من أخيه

الجمال ص : ٣٣٥

فشلا و وهنا فليذب عنه كما يذب عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله
فقام إليه شداد بن شمر العبدى فحمد الله و أثنى عليه ثم قال أما بعد فإنه لما كثر
الخطأون و تمرد الجاحدون فزعنا إلى آل نبينا الذين بهم ابتدئنا بالكرامة و هدينا من
الضلالة الزموهم رحمكم الله و دعوا من أخذ يميننا و شمالا فإن أولئك فى غمرتهم
يعمّهون و فى ضلالتهم يترددون

الجمال ص : ٣٣٦

إعذار أمير المؤمنين ع لأصحاب الجمل

قال ثم إن أمير المؤمنين ع رحل بالناس إلى القوم غداة الخميس لعشر مضين من
جمادى الأولى و على ميمنته الأشر و على ميسرته عمار بن ياسر و أعطى الراية محمد
بن الحنفية ابنه

و سار حتى وقف موقفا ثم نادى فى الناس لا تعجلوا حتى أعذر إلى القوم و دعا عبد الله
بن العباس رضى الله عنه فأعطاه المصحف و قال امض بهذا المصحف إلى طلحة و

الزبير و عائشة و ادعهم إلى ما فيه و قل لطلحة و الزبير أ لم تبايعاني مختارين فما الذى دعاكما إلى نكت بيعتى و هذا كتاب الله بينى و بينكما
قال عبد الله بن العباس فبدأت بالزبير و كان عندى أبقاهما علينا و كلمته فى الرجوع و قلت له إن أمير المؤمنين ع يقول لك أ لم تبايعنى طائعا فلم تستحل قتالى و هذا المصحف و ما فيه بينى و بينك فإن شئت تحاكمنا إليه فقال ارجع إلى صاحبك فإننا بايعنا كارهين و ما لى حاجة فى محاكمته فانصرفت عنه إلى طلحة و الناس يشتدون و المصحف فى يدى فوجدته قد لبس الدرع و هو محتب
الجميل ص : ٣٣٧

بحمائل سيفه و دابته واقفة فقلت له إن أمير المؤمنين ع يقول لك ما حملك على الخروج و بما استحللت نقض بيعتى و العهد عليك فقال خرجت أطلب بدم عثمان أ يظن ابن عمك أنه قد حوى على الأمر حين حوى على الكوفة و قد و الله كتبت إلى المدينة تؤخذ لى البيعة بمكة فقلت له اتق الله يا طلحة فإنه ليس لك أن تطلب بدم عثمان و ولده أولى بدمه منك هذا أبان بن عثمان ما ينهض فى طلب دم أبيه قال طلحة نحن أقوى على ذلك منه قتله ابن عمك و ابتز أمرنا فقلت له أذكرك الله فى المسلمين و فى دمائهم و هذا المصحف بيننا و بينكم و الله ما أنصفتهم رسول الله ص إذ حبستم نساءكم فى بيوتكم و أخرجتم حبيسة رسول الله ص فأعرض عنى و نادى بأصحابه ناجزوا القوم فإنكم لا تقومون بحجاج ابن أبى طالب فقلت يا أبا محمد أ بالسيف تخوف ابن أبى طالب أم و الله ليعاجلنك للسيف فقال ذلك بيننا و بينكم. قال فانصرفت عنهما إلى عائشة و هى فى هودج مدفف على جملها عسكر
الجميل ص : ٣٣٨

و كعب بن سور القاضى أخذ بخطامه و حولها الأزد و ضبة فلما رأتنى قالت ما الذى جاء بك يا ابن عباس و الله لا سمعت منك شيئا ارجع إلى صاحبك و قل له ما بيننا و بينك إلا السيف و صاح من حولها ارجع يا ابن عباس لا يسفك دمك

الجمال ص : ٣٣٩

تكرار الإعذار

فرجعت إلى أمير المؤمنين ع فأخبرته الخبر و قلت ما تنتظر و الله ما يعطيك القوم إلا
السيف فاحمل عليهم قبل أن يحملوا عليك فقال نستظهر بالله عليهم قال ابن عباس
فو الله ما رمت من مكاني حتى طلع على نشابهم كأنه جراد منتشر فقلت أ ما ترى يا أمير
المؤمنين إلى ما يصنع القوم مرنا ندفعهم فقال حتى أعذر إليهم ثانية ثم قال من يأخذ
هذا المصحف فيدعوهم إليه و هو مقتول و أنا ضامن له على الله الجنة فلم يقم أحد إلا
غلام عليه قباء أبيض حدث السن من عبد القيس يقال له مسلم كأنى أراه فقال أنا
أعرضه يا أمير المؤمنين عليهم و قد احتسبت نفسي عند الله تعالى فأعرض عنه إشفاقا
عليه و نادى ثانية من يأخذ هذا المصحف و يعرضه على القوم و ليعلم أنه مقتول و له
الجنة فقام مسلم بعينه و قال أنا أعرضه فأعرض و نادى ثالثة فلم يقم غير الفتى فدفع
إليه المصحف و قال امض إليهم و أعرضه عليهم و ادعهم إلى ما فيه فأقبل الغلام حتى
وقف بإزاء الصفوف و نشر المصحف و قال هذا كتاب الله عز و جل و أمير المؤمنين ع
يدعوكم إلى ما فيه فقالت عائشة اشجروه بالرماح قبحه الله فتبادروا إليه بالرماح
فقطعوه من كل جانب و كانت أمه حاضرة فصاحت و طرحت نفسها عليه و جرت به من
موضعه و لحقها جماعة من

الجمال ص : ٣٤٠

عسكر أمير المؤمنين ع أعانوها على حمله حتى طرحوه بين يدي أمير المؤمنين ع و
أمه تبكى و تندبه و تقول

يا رب إن مسلما دعاهم يتلو كتاب الله لا يخشاهم

فخضبوا من دمه قناهم و أمهم قائمة تراهم

تأمرهم بالقتل لا تنهاهم

الجمال ص : ٣٤١

مبدأ القتال

فلما رأى أمير المؤمنين ع ما قدم عليه القوم من العناد و استحلوه من سفك الدم
الحرام

رفع يديه إلى السماء و قال اللهم إليك شخست الأبصار و بسطت الأيدي و أفضت
القلوب و تقربت إليك بالأعمال ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق و أنت خير
الفاحين

ثم دعا ابنه محمد بن الحنفية فأعطاه الراية و هي راية رسول الله ص و قال يا بنى هذه
راية لم ترد قط و لا ترد أبدا قال محمد فأخذتها و الريح تهب عليها فلما تمكنت من
حملها صارت الريح على طلحة و الزبير و أصحاب الجمل فأردت أن أمشى بها
فقال أمير المؤمنين قف يا بنى حتى آمرك ثم نادى

الجمل ص : ٣٤٢

أيها الناس لا تقتلوا مدبرا و لا تجهزوا على جريح و لا تكشفوا عورة و لا تهيجوا امرأة
و لا تمثلوا بقتيل

فبينما هو يوصى أصحابه إذ أظلنا نبل القوم فقتل رجل من أصحاب أمير المؤمنين ع
فلما رآه قتيلا قال اللهم اشهد ثم رمى ابن لعبد الله بن بديل فقتل فحملة أبوه عبد الله
و معه عبد الله بن العباس حتى وضعاه بين يدي أمير المؤمنين ع فقال عبد الله بن
بديل حتى متى يا أمير المؤمنين تستذرى نحورنا للقوم يقتلوننا رجلا رجلا قد و الله
أعذرنا إن كنت تريد الإعذار ثم قال محمد بن الحنفية رضى الله عنه فقال لى أمير
المؤمنين ع رأيته يا بنى قدمها بعث فى الميمنة و الميسرة و دعا بدرع رسول الله ص
فلبسه و حزم بطنه بعصابة أسفل من سرتة و دعا ببغلة الشهباء و هى بغلة رسول الله
ص فاستوى على ظهرها و وقف أمام صفوف أصحابه فوقفت بين يديه باللواء و هو
منشور مستعد فجاء قيس بن سعد بن عبادة إلى أمير المؤمنين و قال.

الجمل ص : ٣٤٣

هذا اللواء الذى كنا نحف به حول النبى و جبريل لنا مدد
ما ضر من كانت الأنصار عيبته أن لا يكون له من غيرها أحد
قوم إذا حاربوا طالت أكفهم بالمشرفية حتى تفتح البلد
و صفت أصحاب عائشة صفوفهم و جاءوا بالجمل عليه الهودج و فيه عائشة و خطامه
فى يد كعب بن سور و قد تقلد المصحف و الأزد و بنو ضبة قد أحاطوا بالجمل و عبد
الله بن الزبير بين يدى عائشة و مروان بن الحكم عن يمينها و الزبير يدبر العسكر و
طلحة على الفرسان و محمد بن طلحة على الرجالة. فقال محمد بن الحنفية قال لى أبى
حين زحف القوم نحونا قدم اللواء فقدمته و زحف المهاجرون و الأنصار فلما رآنى
القوم قد زحفت باللواء بارزا عن أصحابى رشقونى رشقة رجل واحد فوقفت مكانى و
اتقيت منهم و قلت ينقضى رشقهم فى مرة أو مرتين ثم أقدم فلم أشعر إلا و أمير
المؤمنين ع قد ضرب بين كتفى بيده ثم أخذ اللواء منى بيده و نادى يا منصور أمت فو
الله ما سمعت القوم حتى رأيتهم و قد زلزلت أقدامهم و ارتعدت فرائصهم و ألقى
بعضهم ببعض و تزايلوا و قد رأت عائشة موضع كل فريق منهم
الجمل ص : ٣٤٤

المبارزات

و تقدم عمار و مالك الأشتر مصلتين سيوفهما نحو القوم و نادى أمير المؤمنين يا
محمد بن أبى بكر إن صرعت عائشة فوارها و تول أمرها فتضع القوم حين سمعوا
ذلك و اضطربوا و أمير المؤمنين ع واقف فى موضعه ثم تراجعوا بعد تضعضهم و
رجعت إليهم نفوسهم و نادوا البراز فتقدم رجل من بنى عدى أمام الجمل و بيده سيف
و هو يقول

أضربهم و لو أرى عليا عممته أبيض مشرفيا

أريح منه قومنا عديا

فشد عليه رجل من أصحاب أمير المؤمنين ع يقال له أمية العبدى و هو يقول

هذا على و الهدى سبيله و الرشده فيه و التقى دليله

من يتبع الحق بين خليله

الجمال ص : ٣٤٥

ثم اختلف بينهما ضربتان فأخطأ العدوى و ضربه العبدى فقتله. فقام مقامه رجل يقال

له أبو الجرباء عاصم بن مرة من أصحاب الجمال فقال

أنا أبو الجرباء و اسمى عاصم و أمنا أم لها محارم

فشد عليه رجل من أصحاب أمير المؤمنين ع و هو يقول

إليك إني تابع عليا و تارك أمكم مليا

إذ عصت الكتاب و النبيا و ارتكبت من أمرها فريا

و ضربه فقتله فقام مقامه رجل آخر من أصحاب الجمال يقال له الهيثم بن كليب الأزدي

و هو يقول

نحن نوالى أمنا الرضية و ننصر الصحابة المرضية

فشد عليه رجل من أصحاب أمير المؤمنين ع و هو يقول

وليكم عجل بنى أمية و أمكم خاسرة شقية

هاوية فى فتنة عمية

و ضربه ففلق هامته و خر صريعا و برز من بعده عمرو بن يثربى و كان من شياطين

أصحاب الجمال فنأدى هل من مبارز فبرز إليه علباء بن الهيثم فاختلف بينهما ضربتان

فقتل علباء رحمه الله فقام مقامه هند بن المرادى فبادره بالسيف فاتقاه و ضربه عبد

الله بن الزبير فشغله بنفسه و ثناه عمرو بن يثربى

الجمال ص : ٣٤٦

فقتلاه جميعا فبرز مقامه زيد بن صوحان العبدى رحمه الله فتضاربا و جاء فارس من

أصحاب الجمال و وقف بجانب عمرو يحميه فطعنه زيد فى خاصرته طعنة أثخنه بها و

بدر إليه فضربه فقتل منها و بدا عمرو يفتخر و يقول

إن تتكروني أنا ابن يثربي قاتل علباء و هند الجملى

ثم ابن صوحان على دين على

فبرز إليه مالک الأشر فضربه على وجهه ضربة وقع بها على الأرض و حماه أصحابه
فنهض و قد تراجعت نفسه و هو يقول لا بد من الموت فدلوني على على بن أبى طالب
فلئن بصرت به لأملأن سيفى من هامته فبرز إليه عمار رضى الله عنه و هو يقول
لا تبرح العرصة يا ابن يثربي حتى أقاتلك على دين على

نحن و بيت الله أولى بالنبي

و ضربه ضربة هلك منها و خر صريعا فأكب قومه عليه فاحتملوه إلى معسكرهم

الجمال ص : ٣٤٧

تضعض أصحاب الجمال

و لما رأى أمير المؤمنين ع جرأة القوم على القتال و صبرهم على الهلاك نادى أصحاب
ميمينته أن يميلوا على ميسرة القوم و نادى أصحاب ميسرته أن يميلوا على ميمينتهم و
وقف ع فى القلب فما كان بأسرع من أن تضعض القوم و أخذت السيوف من هاماتهم
مآخذها فانكشفوا و قد قتل منهم ما لا يحصى كثرة و أصيب من أصحاب أمير المؤمنين
ع نفر كثير و أحاطت الأزد بالجمال يقدمهم كعب بن سور و خطام الجمال بيده و اجتمع
إليهم من كان أنفل بالهزيمة و نادت عائشة يا بنى الكرة الكرة اصبروا فإنى ضامنة
لكم الجنة فحفوا بها من كل جانب و استقدموا حتى دنوا من عسكر أمير المؤمنين ع و
ألقت عائشة نفسها برده كانت معها و قلبت يمينها عن منكبها الأيمن إلى الأيسر و
الأيسر إلى الأيمن كما كان رسول الله ص يصنع عند الاستسقاء ثم قالت ناولونى كفا
من تراب فناولوها فحثت به فى وجوه أصحاب أمير المؤمنين ع و قالت شأهت الوجوه
كما

الجمال ص : ٣٤٨

فعل رسول الله ص بأهل بدر قال و جر كعب بن سور بالخطام و قال اللهم إن أردت أن

تحقن الدماء و تطفئ هذه الفتنة فاقتل عليا و لما فعلت عائشة ما فعلت من قلب البرد و
حصب أصحاب أمير المؤمنين ع بالتراب
قال ع و ما رميت إذ رميت يا عائشة و لكن الشيطان رمى و ليعودن وبالك عليك إن شاء
الله

شعر أم ذريح العبدية و قتل كعب بن سور
و أنشدت أم ذريح العبدية و كانت من شيعة أمير المؤمنين ع تقول
عائش إن جئت لتهزمينا و تنشرى البرد لتغلبينا
و تقذفى بالحصىات فينا تصادفى ضربا و تنكرينا
بالمشرفيات إذا غزينا نسفك من دمائكم ما شينا

قال محمد بن الحنفية رحمه الله قال لى أمير المؤمنين ع تقدم يا بنى باللواء و صف
أصحابه فجعل الحسن ع فى الميمنة و الحسين ع فى الميسرة و كان فى ميمنة أهل
الجمل هلال بن وكيع و فى ميسرتهم صبرة بن شيمان و تراحف الفريقان بعضهم إلى
بعض قال فو الله لقد رأيت أول قتيل من القوم كعب بن سور بعد أن قطعت يمينه التى
كان الخطام بها فأخذه بشماله و قتل بعد ذلك و قتل معه أخوه و ابنه ثم أخذ بخطام
الجمل بعده رجل منهم و هو يقول
الجمل ص : ٣٤٩

يا أمنا عائش لا تراعى كل بنيك بطل شجاع
فما برح حتى قطعت يده و طعن فهلك فقام مقامه آخر منهم فقطعت يمينه و ضرب على
رأسه فهلك فما زال كلما أخذ بخطام الجمل رجل قطعت يده أو جذ ساقه حتى هلك
منهم ثمانمائة رجل و قبل ذلك قتل حول الجمل سبعون رجلا من قریش و كان آخر من
أخذ بزمام الجمل رجل من بنى ضبة فجعل يقول
نحن بنو ضبة أصحاب الجمل ننعى ابن عفان بأطراف الأسل
ردوا علينا شيخنا ثم بجل

فبرز إليه الأشر و هو يقول

كيف نرد نعثلا و قد قحل سارت به أم المنايا و رحل

و ضربه على هامته ففلقها و خر صريعا

الجمال ص : ٣٥٠

قصة الأشر مع ابن الزبير

فلاذ بالجمال عبد الله بن الزبير و تناول خطامه بيده فقالت عائشة من هذا الذى أخذ
بخطام جملى قال أنا عبد الله ابن أختك فقالت وا ثكل أسماء ثم برز الأشر إليه فخلى
الخطام من يده و أقبل نحوه فقام مقامه فى الخطام عبد أسود و اصطرع عبد الله و
الأشر فسقطا إلى الأرض فجعل ابن الزبير يقول و قد أخذ الأشر بعنقه يقتلونى و
مالكا و اقتلوا مالكا معى. قال الأشر رضوان الله عليه فما سرنى إلا قوله مالكا لو قال
الأشر لقتلونى و والله لقد عجبت من حمق عبد الله إذ ينادى بقتله و قتلى و ما كان
ينفعه الموت إن قتلت و قتل معى و لم تلد امرأة من النخع غيرى فأفرجت عنه فانهزم و
به ضربة مثخنة فى جانب وجهه. فلما تفرق الناس عن الجمال أشفق أمير المؤمنين ع أن
يعود إليه فتعود الحرب فقال عرقبوا الجمال فتبادر إليه أصحاب أمير المؤمنين ع
فعرقبوه و وقع لجنبه و صاحت عائشة صيحة أسمعت من فى العسكرين.

الجمال ص : ٣٥١

و قد جاءت الروايات من مبارزة القوم و ارتجازهم بما يطول شرحه و إنما اقتصرنا على
بعضه للإيجاز و الاختصار

الجمال ص : ٣٥٢

بشر العامرى و حذيفة

و فيما كان من أمر الجمال و قطع أيدي الآخذين بخطامه و جذ أقدامهم ما رواه مسلمة
بن عماره قال حدثنى بشر العامرى أقبلت من نحو المدينة أريد الكوفة فى زمن عثمان
فلقيت علجا قد جعل على وجه حماره ورقة فيها قرآن فأعظمت ذلك و أخذت العليج و

شتمته فقال ما تريد منى قلت ما هذا الذى صنعت ويلك تحمل على وجه حمارك ورقة من القرآن فقال ويحك إن هذا و مثله مطروح على الكناسات و الحشوش عندنا إن كتب صاحبكم صارت تمزق و تلقى فى الحشوش قال فلقيت حذيفة فأخبرته فقال قد فعلوا ذلك كأنى بهم و قد ساروا بها و الذى بعث محمدا بالحق نبيا و الأزد و ضبة قد حفوا بها جذ الله أقدامهم قال فحضرت الوقعة بالبصرة فنظرت إلى الأزد و ضبة و تميم حول الجمل ص : ٣٥٣

الجمل و نظرت إلى الأزد و قد قطعت أقدامهم من العراقيب و أسفل منها قال و لما قتل كعب بن سور تقدم غلام من الحدان يقال له وائل بن عمر و هو ييكى و يقول يا رب فارحم سيد القبائل كعب بن سور غرة القنابل و خير حاف منهم و ناعل و خير مقتول و خير قاتل يا كعب فلتبشر بخير كامل بنصرك الحق و ترك الباطل فخرج إليه رجل يقال له عبد الرحمن بن هاشم و هو يقول لا رحم الله ابن سور إذ مضى و لا تولاه بعفو و رضى فقد قضى بالجور فيما قد قضى و دان بالكفر و لم يعص الهوى و اتبع الضلال من أهل العمى فصار بالفتنة مع من قد هوى ثم ضرب وائل بن عمر فقتله و برز رجل من بنى قشير يقال له خيثمة بن الأسود و هو يقول

نحن أصحاب الجمل المكرم و مانعو هودجه المعظم و ناصرو زوج النبى الأكرم ذلك دين الله فينا الأقدم فخرج إليه رجل من شيعة على ع يقال له عبيد الله بن سالم الربعى و هو يقول نحن مطيعون جميعا لعلى إذ أنت ساع فى الفساد يا شقى الجمل ص : ٣٥٤

إن الغوى تابع أمر الغوى قد خالفت زوج النبى للنبى

و خرجت من بيتها مع من هوى

ثم ضرب يده بالسيف فقطعها و وقع لجنبه و رام أصحابه تخليصه فازدحموا عليه فوطئوه

الجميل ص : ٣٥٥

تحريض أمير المؤمنين ع ابن الحنفية على القتال

و روى الواقدي قال حدثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه عن محمد بن الحنفية قال لما نزلنا البصرة و عسكرنا بها و صففنا صفوفنا دفع أبي على ع إلى اللواء و قال لا تحدثن شيئا حتى يحدث فيكم ثم نام فنالنا نبل القوم فأفزعته ففرع و هو يمسح عينيه من النوم و أصحاب الجميل يصيحون يا ثارات عثمان فبرزع و ليس عليه إلا قميص واحد ثم قال تقدم باللواء فتقدمت و قلت يا أبة أ في مثل هذا اليوم بقميص واحد

فقال ع أحرز أمرا أجله و الله قاتلت مع النبي ص و أنا حاسر أكثر مما قاتلت و أنا دارع ثم دنا من طلحة و الزبير فكلهما و رجع و هو يقول يا بى القوم إلا القتال فقاتلوهم فقد بغوا و دعا بدرعه البتراء و لم يلبسها بعد النبي ص إلا يومئذ فكان بين كتفيه منها و هن فجاء أمير المؤمنين ع و فى يده شسع نعل فقال له ابن عباس ما تريد بهذا الشسع يا أمير المؤمنين فقال

الجميل ص : ٣٥٦

أربط بها ما قد تهى من هذا الدرع من خلفي فقال ابن عباس أ في مثل هذا اليوم تلبس مثل هذا فقال ع و لم قال أخاف عليك

فقال لا تخف أن أوتى من ورائي و الله يا ابن عباس ما وليت فى زحف قط ثم قال له البس يا ابن عباس فلبس درعا سعدية ثم تقدم إلى الميمنة فقال احملوا ثم إلى الميسرة فقال احملوا و جعل يدفع فى ظهرى و يقول تقدم يا بنى فجعلت أتقدم و كانت إياها حتى انهزموا من كل وجه. و روى الواقدي عن هشام بن سعد عن شيخ من

مشايخ أهل البصرة قال لما صف على بن أبي طالب ع صفوفه أطال الوقوف و الناس ينتظرون أمره فاشتد عليهم ذلك فقالوا حتى متى فصفق بإحدى يديه على الأخرى ثم قال عباد الله لا تعجلوا فإنى كنت أرى رسول الله ص يستحب أن يحمل إذا هبت الرياح قال فأمهل حتى زالت الشمس و صلى ركعتين ثم قال ادعوا ابنى فدعى له محمد بن الحنفية فجاء و هو يومئذ ابن تسع عشرة سنة فوقف بين يديه و دعا بالراية فنصبت فحمد الله و أثنى عليه و قال أما إن هذه الراية لم ترد قط و لا ترد أبدا و إنى واضعها اليوم فى أهلها

و دفعها إلى محمد و قال تقدم يا بنى فلما رآه القوم قد أقبل و الراية بين يديه تضعضعوا فما هو إلا أن الناس التقوا و نظروا إلى غرة أمير المؤمنين ع و وجدوا مس السلاح فانهزموا.

الجمال ص : ٣٥٧

و روى الواقدي قال حدثنى عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب ع عن أبيه قال لما سمع أبى أصوات الناس يوم الجمل و قد ارتفعت فقال لابنه محمد ما يقولون قال يقولون يا ثارات عثمان قال فشد عليه و أصحابه يهشون فى وجهه يقولون الشمس ارتفعت الشمس ارتفعت و هو يقول الصبر أبلغ فى الحجة

الجمال ص : ٣٥٨

طبة أمير المؤمنين ع فى حث أصحابه

ثم قام خطيبا يتوكأ على قوس عربية فحمد الله و أثنى عليه و ذكر النبى صلى عليه ثم قال أما بعد فإن الموت طالب حثيث لا يفوته الهارب و لا يعجزه فاقدموا و لا تتكلموا و هذه الأصوات التى تسمعونها من عدوكم فشل و اختلاف إنا كنا نؤمر فى الحروب بالصمت فعضوا على النواجذ و اصبروا لوقع السيوف و الذى نفسى بيده لألف ضربة بالسيف أهون على من موت على الفراش فقاتلوهم صابرين محتسبين فإن الكتاب معكم و السنة معكم و من كانا معه فهو القوى اصدقوهم بالضرب فأى امرئ أحس من

نفسه شجاعاً و إقداماً و صبراً عند اللقاء فلا يبطر به و لا يرى أن له فضلاً على من هو
دونه و إن رأى من أخيه فشلاً أو ضعفاً فليذب عنه كما يذب عن نفسه فإن الله لو شاء
لجعله مثله

الجمال ص : ٣٥٩

تأهب أمير المؤمنين ع للحرب

ثم دعا بدرعه فلبسه حتى إذا وقع موقعه من بطنه أمر ابنه محمداً أن يحزمها بعمامة ثم
انتضى سيفه فهزه حتى رضى به و غمده و تقلده و الناس على صفوفهم و أصحاب الجمل
قد دنوا فأمر أمير المؤمنين ع بتسوية الصفوف حتى إذا اعتدلت دفع الراية إلى ابنه
محمد بن الحنفية و قال تقدم بالراية و اعلم أن الراية أمام أصحابك فكن متقدماً
يلحقك من خلفك فإن كان لمن يتقدم من أصحابك جولة رجع إليك و جعل ع الناس
أثلاثاً مضر في القلب و اليمن في الميمنة عليهم مالک الأشر و في الميسرة عمار بن
ياسر

تأهب أصحاب الجمل للقتال

و صف أصحاب الجمل صفوفهم فجعلوا على حنظلة هلال بن وكيعة و على بنى عمرو من
بنى تميم عمير بن عبد الله بن مرقد و على بنى سعد زيد بن جبلة بن مرداس و على بنى
ضبة الرباب عمرو بن يثربى و راية الأزد مع عمرو بن

الجمال ص : ٣٦٠

الأشرف العتكي. قال محمد بن علي رحمه الله فالتقينا و قد عجل أصحاب الجمل و
زحفوا علينا فصاح أبي ع امض فمضيت بين يديه أقطوا بالراية قطوا و تقدم سرعان
أصحابنا فلاذ أصحاب الجمل و نشب القتال و اختلفت السيوف و أبى بين كتفى يقول
يا بنى تقدم و لست أجد متقدماً و هو يقول تقدم فقلت ما أجد متقدماً إلا على الأسنة
فغضب أبى ع و قال أقول لك تقدم فتقول على الأسنة ثق يا بنى و تقدم بين يدي على
الأسنة و تناول الراية منى و تقدم يهرول بها فأخذتني حدة فلحقته و قلت أعطني الراية

فقال لى خذها و قد عرفت ما وصف لى. ثم تقدم بين يدى و جرد سيفه و جعل يضرب به و رأيته و قد ضرب رجلا فأبان زنده ثم قال الزم رايتك يا بنى فإن هذا استكفاء فرمقت لصوت أبى و لحظته فإذا هو يورد السيف و يصدره و لا أرى فيه دما و إذا هو يسرع إصداره فيسبق الدم و أحدقنا بالجمل و صار القتال حوله و اضطربنا أشد اضطراب رآه راء حتى ظننت أنه القتل فصاح أبى ع يا ابن أبى بكر اقطع البطان
الجمل ص : ٣٦١

فقطعه و ألقى الهودج فكأن و الله الحرب جمره صب عليها الماء. و روى الواقدى قال ابن جريج كان محمد بن الحنفية رضى الله عنه يحمل راية أبيه ع يوم الجمل و رأى منه بعض النكوص فأخذ الراية منه
قال محمد رضى الله عنه فأدركته و عالجتة على أن يردها فأبى على طويلا ثم ردها و قال خذها و أحسن حملها و توسط أصحابك و لا تخفض عاليها و اجعلها مستشرفة يراها أصحابك

ففعلت ما قال لى فقال عمار بن ياسر يا أبا القاسم ما أحسن ما حملت الراية اليوم فقال له أمير المؤمنين ع بعد ما ذا فقال عمار ما العلم إلا بالتعلم
نهى أمير المؤمنين ع عن قتل أبى سفيان بن حويطب
و روى إبراهيم بن نافع عن سعيد بن أبى هند قال أخبرنى أصحابنا ممن حضر القتال يوم البصرة أن عليا قاتل يومئذ أشد القتال و سمعوه و هو يقول تبارك الله الذى أذن لهذه السيوف تصنع ما تصنع و نظر يومئذ إلى أبى سفيان بن حويطب بن عبد العزى و هو يسترجع من الخوف و ما التحم من الشر فقال له أمير المؤمنين انحز إلى أصحابى و لا تقتل نفسك ويلك فانحاز إليهم إلى أن حمل أصحاب الجمل على أمير المؤمنين ع حملة فإذا هو قد صار فى حيزهم فحمل عليه رجل من همدان و على يصيح كف عنه و الهمدانى لا يفهم حتى قطعه إربا إربا فقال ع يا ويحه إن أتلفته السيوف و قد كان مقتله إلى بغضا

الجمال ص : ٣٦٢

حديث ابن الزبير عن حرب الجمال

و روى ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال لم يأخذ بزمان جمال عائشة يوم الجمال أحد إلا قتل و كان كلما جاء إنسان ليأخذ بخطام جملها قالت من أنت حتى أتيتها و كنت آخر من أخذه حين لم أر أحدا يأخذه فقالت من أنت فقلت ابن أختك عبد الله فقالت وا ثكل أسماء فأقبل الأشر إلى فتواجينا فجعلت أقول اقتلونى و مالكا اقتلوا مالكا معى و جعل يقول اقتلونى و عبد الله فلو قال ابن الزبير و قلت الأشر لقتلنا جميعا فاثقلنى الجراح حتى سقطت و أنا مجروح مطروح فى القتلى فأتانى الأسود بن أبى البختري فوجدنى صريعا فأخذنى بالعرض على فرسه و سار بى فجعل إذا أبصر إنسانا من أصحاب على القانى و إذا لم ير أحدا حملنى حتى مر به رجل يعرفنى فحمل عليه فأخطأه و أصاب رجل فرسه ثم حملنى و انطلق بى حتى أنزلنى على رجل من بنى الغبراء له امرأتان تميمية و بكريه من شيعة عثمان فغسلت جراحتى و حشتها كافورا فو الله ما فاح منها شيء و جعلت عائشة تسأل عنى فلا تخبر عنى بشيء حتى إذا برئت جراحتى قلت لصاحب منزلى انطلق إلى عائشة و خبرها

الجمال ص : ٣٦٣

بى و إياك أن يراك محمد بن أبى بكر و قلت له إنه رجل قصير و وصفته له فانطلق فأخبرها و قال لها إنه قد أمرنى أن لا يرانى محمد بن أبى بكر قالت كلا فانطلق إلى محمد بن أبى بكر فادعه إلى و ذلك بعد هزيمتنا و وضع الحرب أوزارها فانطلق إليه فدعاه فجاءها فقالت له يا أخى ما تراك فاعلا فى أمر أمرتك به قال ما هو قالت انطلق إلى عبد الله بن الزبير فجئنى به فجاء محمد إلى موضعى فدخل على عبد الله فلما رآه خافه و قال ما لك فعل الله بك و فعل فقال محمد لا تعجل ثم أخبر الخبر قال ابن الزبير فخرجت معه فتأخر لى عن عجز الفرس فركبت بين يديه و جعل يكف ثيابه لا تصيبنى و أنا أؤخر ثيابى عنه لا تصيبه و لم يزل يسير بى حتى أتينا عائشة فسمعت

سب عثمان علانية فبكيت و قلت لا أقيم ببلد يسب فيه عثمان علانية فامتنعت منهم و أخذت راحلة من صاحبي فإذا على البصرة حرس فامتنعت منهم فإذا رجل يحيد مني و أحيد منه فإذا هو عبد الرحمن بن الحارث فأبصرت رجلا مغلولاً لفرسه فقلت هذا والله فرس الزبير فأردت قتله فقال عبد الرحمن لا تعجل عليه فإنه لن يفلتنا فإذا هو غلام الزبير قد أقبل فقلت له أين الزبير فقال لا أدري فعلمت أن الزبير قد قتل

الجمال ص : ٣٦٤

تحذير شباب قريش من الحرب

و روى محمد بن عبد الله بن عبيد عن عمرو بن دينار عن صفوان قال لما تصاف الناس يوم الجمل صاح صائح من أصحاب أمير المؤمنين على بن أبي طالب يا معاشر شباب قريش أراكم قد لججتم و غلبتم على أمركم هذا و إنى أنشدكم الله أن تحقنوا دماءكم و لا تقتلوا أنفسكم اتقوا الأشر النخعي و جندب بن زهير العامري فإن الأشر نشر درعه حتى يعفو أثره و إن جندبا يخرم درعه حتى يشمر عنه و في رايته علامة حمراء فلما التقى الناس أقبل الأشر و جندب قبال الجمل يرفلان في السلاح حتى قتلا عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد و معبد بن زهير بن خلف بن أمية و عمد جندب لابن الزبير فلما عرفه قال أتركك لعائشة. و روى محمد بن عبد الله بن عبيد بن أبي وهب قال قطعت يوم الجمل يد عبد الرحمن و فيها الخاتم فأخذه نثر فطرحه باليمامة فأخذه أهل اليمامة و اقتلعوا حجره و كان ياقوتا فابتاعه رجل منهم بخمس مائة دينار فقدم به مكة فباعه بريح عظيم. و روى محمد بن موسى عن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال سمعت معاذ بن عبيد

الجمال ص : ٣٦٥

الله التميمي و كان قد حضر الجمل يقول لما التقينا و اصطففنا نادى منادى على بن أبي طالب ع يا معاشر قريش اتقوا الله على أنفسكم فإنني أعلم أنكم قد خرجتم و ظننتم أن الأمر لا يبلغ إلي هذا فالله الله في أنفسكم فإن السيف ليس له بقيا فإن أحببتم

فانصرفوا حتى نحاكم هؤلاء القوم و إن أحببتم فإلى فإنكم آمنون بأمان الله قال
فاستحيينا أشد الحياء و أبصرنا ما نحن فيه و لكن الحفاظ حملنا على الصبر مع عائشة
حتى قتل من قتل منا فو الله لقد رأيت أصحاب على ع و قد وصلوا إلى الجمل و صاح
منهم صائح اعقروه فمعقروه فوقع

فنادى على ع من طرح السلاح فهو آمن و من دخل بيته فهو آمن
فو الله ما رأيت أكرم عفوا منه. و روى سليمان بن عبد الله بن عويمر الأسلمي قال قال
ابن الزبير إني لواقف في يمين رجل من قریش إذ صاح صائح يا معشر قریش أحذركم
الرجلين جندب العامري و الأشتر النخعي قال و سمعت عمارا يقول لأصحابنا ما تريدون
و ما تطلبون فناديناه نطلب بدم عثمان فإن خليتم بيننا و بين قتلته رجعنا عنكم فقال
عمار لو سألتمونا أن ترجعوا عنا بئس الفحل فإنه ألام الغنم فحلا و شرها لجما ما
أعطيناكموه ثم التحم القتال و ناديناهم مكنونا من قتلة عثمان و نرجع عنكم فنادانا
عمار قد فعلنا هذه عائشة و طلحة و الزبير قتلوه عطشا فابدهوا بهم فإذا فرغتم منهم
تعالوا إلينا نبذل لكم الحق فأسكت و الله أصحاب الجمل كلهم

الجمل ص : ٣٦٦

سؤال عمار أصحاب الجمل

و روى عبد الله بن رباح مولى الأنصار عن عبد الله بن زياد مولى عثمان بن عفان قال
خرج عمار بن ياسر يوم الجمل إلينا فقال يا هؤلاء على أى شيء تقاتلوننا فقلنا
نقاتلكم على أن عثمان قتل مؤمنا فقال عمار نحن نقاتلكم على أنه قتل كافرا قال و
سمعت عمارا يقول و الله لو ضربتمونا حتى نبليغ سعات هجر لعلمنا أنا على الحق و
أنكم على الباطل و سمعته يقول و الله ما نزل تأويل هذه الآية إلا اليوم يا أيها
الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم و يحبونهم قال
و لما جال الناس تلك الجولة قتل بينهم خلق كثير و سمعت أصوات السيوف في
الرءوس كأنها مخاريق قال الراوى و الله لقد مررت بعد الوقعة بالبصرة فدنوت من دير

القصارين فسمعت أصوات الثياب على الحجارة

الجميل ص : ٣٦٧

فشبهتها بالأصوات التي كانت من السيوف على الرؤوس يومئذ و في تلك الجولة قتل

طريف بن عدى بن حاتم و فقأت عين عدى

الجميل ص : ٣٦٨

خذلان عائشة

و روى محمد بن عبد الله عن عمرو بن دينار قال قال أمير المؤمنين ع لابنه محمد خذ

الراية و امض و على ع خلفه فناده يا أبا القاسم فقال لبيك يا أبة فقال يا بني لا

يستفزك ما ترى قد حملت الراية و أنا أصغر منك فما استفزني عدوى و ذلك إنني لم ألق

أحدا إلا حدثني نفسي بقتله فحدث نفسك بعون الله بظهورك عليهم و لا يخذلك

ضعف النفس باليقين فإن ذلك أشد الخذلان قال فقلت يا أبة أرجو أن أكون كما تحب

إن شاء الله قال فالزم رأيك فإذا اختلطت الصفوف قف في مكانك و بين أصحابك فإن

لم تر أصحابك فسيرونك

قال و الله إنني لفي وسط أصحابي فصاروا كلهم خلفي و ما بيني و بين القوم أحد يردهم

عني و أنا أريد أن أتقدم في وجوه القوم فما شعرت إلا بأبي من خلفي قد جرد سيفه و هو

يقول لأتقدم حتى أكون أمامك فتقدم ع بين يدي يهرول و معه طائفة من أصحابه

فضربوا الذين في وجهه حتى انهضوهم و لحقتهم بالراية فوقفوا وقفه و اختلط الناس

و ركدت السيوف ساعة فنظرت إلى أبي يفرج الناس يمينا و شمالا و يسوقهم أمامه

فأردت أن أجول فكرهت خلافة و وصيته لى لا تفارق الراية حتى انتهى إلى الجميل و

حوله أربعة آلاف

الجميل ص : ٣٦٩

مقاتل من بنى ضبة و الأزد و تميم و غيرهم و صاح اقطعوا البطان فأسرع محمد بن أبي

بكر رحمه الله فقطعه و اطلع على الهودج فقالت عائشة من أنت فقال أبغض أهلک

إليك قالت ابن الخثعمية قال نعم و لم تكن دون أمهاتك قالت لعمرى بل هى شريفة دع عنك هذا الحمد لله الذى سلمك قال قد كان ذلك ما تكرهين قالت يا أخى لو كرهته ما قلت ما قلت قال كنت تحبين الظفر و إني قتلت قالت قد كنت أحب ذلك لكن لما صرنا إلى ما صرنا إليه أحببت سلامتك لقرايتى منك فاكفف و لا تعقب الأمور و خذ الظاهر و لا تكن لومة و لا عدلة فإن أباك لم يكن لومة و لا عدلة قال و جاء على ع فقرع الهودج برمحه و قال يا شقيراء أ بهذا أوصاك رسول الله ص قالت يا ابن أبى

الجميل ص : ٣٧٠

طالب قد ملكت فأسجح. و جاءها عمار رضى الله عنه فقال لها يا أماه كيف رأيت ضرب بنيك اليوم دون دينهم بالسيف فصمتت و لم تجبه و جاءها مالك الأشر رحمة الله و قال لها الحمد لله الذى نصر وليه و كبت عدوه جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً فكيف رأيت صنع الله بك يا عائشة فقالت من أنت ثكلتك أمك فقال أنا ابنك الأشر قالت كذبت لست بأمك قال بلى و إن كرهت فقالت أنت الذى أردت أن تتكل أختى أسماء بابنها فقال المعذرة إلى الله ثم إليك و الله إنى لو لا كنت طاويا ثلاثة لأرحتك منه و أنشأ يقول بعد الصلاة على الرسول

أ عائش لو لا إننى كنت طاويا ثلاثا لغادرت ابن أختك هالكا

غداة ينادى و الرماح تنوشه بآخر صوت اقتلونى و مالكا

فبكت و قالت فخرتم و غلبتم و كان أمر الله قدراً مقدوراً. و نادى أمير المؤمنين ع

محمدا فقال سلها هل وصل إليها شيء من

الجميل ص : ٣٧١

الرماح و السهام فسألها فقالت نعم وصل إلى سهم خدش رأسى و سلمت منه يحكم

الله بينى و بينكم فقال محمد و الله ليحكمن الله عليك يوم القيامة ما كان بينك و

بين أمير المؤمنين ع حتى تخرجى عليه و تؤلى الناس على قتاله و تنبذى كتاب الله

وراء ظهرك فقالت دعنا يا محمد و قل لصاحبك يحرسنى قال و الهودج كالقنفذ من

النبيل فرجعت إلى أمير المؤمنين ع فأخبرته بما جرى بيني وبينها و ما قلت و ما قالت فقال ع هي امرأة و النساء ضعاف العقول تول أمرها و أحملها إلى دار بني خلف حتى ننظر في أمرها فحملتها إلى الموضع و إن لسانها لا يفتر عن السب لى و لعلى ع و الترحم على أصحاب الجمل

الجمل ص : ٣٧٣

حديث معاذ بن عبيد الله عن حرب الجمل

و روى الواقدي قال حدثنا هشام بن سعد عن عباس بن عبد الله بن معبد عن معاذ بن عبيد الله التميمي قال لما قدمنا البصرة مع عائشة و أقمنا ما أقمنا ندعوا الناس إلى نصرتنا و القيام معنا فالقابل لما ندعوا إليه و الآبى له و نحن على ما نحن عليه نقول لا نقاتل ابن أبى طالب أبدا إلى أن قيل قد نزل على فما أدرى متى نشبت الحرب أنشبهها الصبيان و أوقدها العبيد و إذا الجمل رحل و الناس يهوون إلى القتال و إذا عسكر على قد تحرك فبادر أصحابنا فرموا و جلبوا و صيخوا و أكثروا فسمعت عائشة تقول هذا أول الفشل و على ع و عسكره لا ينسبون ثم صف على ع أصحابه و ولى الرايات مواضعها و أعطى ابنه محمدا الراية العظمى راية بيضاء تملأ الرمح ثم وقف على ع فى القلب و حمل

الجمل ص : ٣٧٤

سرعان الميمنة و الميسرة و حمل سرعان القلب

فأسمع عليا ينادى ابنه تقدم بالراية و توسط القلب فينكر من تقدمك فإن جالوا أو دفعوا يلحقك من تأخر عنك و كان خلفك ثم سمعته يقول أصحابك أمامك تقدم تقدم و تقدم على و الراية بين كتفيه و جرد سيفه و ضرب رجلا فأبان زنده ثم انتهى إلى الجمل و قد اجتمع الناس حوله و اختلطوا و أهدقوا به من كل جانب و ناحية و استجن الناس تحت بطان الجمل فأنظر و الله إلى على ع يصيح بمحمد بن أبى بكر أقطع البطان و أرى عليا قد قتل ممن أخذ بخطام الجمل عشرة بيده و كلما

قتل رجلا مسح سيفه بثيابه ثم جاوزه حتى صرنا في أيديهم كأننا غنم نساقي فانصرمنا
حيثئذ أمرنا و تلاومنا و ندمنا

الجمال ص : ٣٧٥

حديث عبد الرحمن بن الحارث عن حرب الجمل
و روى الواقدي قال حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد عن عكرمة بن خالد قال قال عبد
الرحمن بن الحارث بن هشام كنت أنا و الأسود بن أبي البختري و عبد الله بن الزبير
قد تواعدنا و تعاهدنا بالبصرة لئن لقينا القوم لنموتن أو لنقتلن عليا و علي و أصحابه
لم يكونوا عدلوا صفوفهم ثم نظرنا إليهم و قد عدلوا صفوفهم ميمنة و ميسرة قال
عبد الرحمن كنت واقفا عند عبد الله بن الزبير و الأسود بن البختري فقلت ما وراءكما
قالا نحن على ما كنا عليه إلى أن مالت ميمنتهم على ميسرتنا فهزمتهم و مالت ميسرتهم
على ميمنتنا ففعلوا مثل ذلك و رأيت عليا وراء ابنه محمد و قد تقدم يحمل علما أسود
عظيما و علي شاهر سيفه فلقى رجلا من ضبة فقتله ثم ضرب آخر فقتله ثم خلص إلينا و
وقف عند الرجلين فلاذ كل منا بصاحبه و جعل الأسود يقول هل من مهرب و تقدم ابن
الزبير فأخذ بخطام الجمل فكان آخر من أخذه فأنظر إلى علي قد انتهى إلى الجمل و
سيفه يرعف دما و هو واضعه على عاتقه و هو يصيح بمحمد بن أبي بكر اقطع البطان
فكانت الهزيمة و لم نر أمثلا من لزوم السواد الأكبر فلما انهزمنا خرجنا خائفين من
مسالح علي فما زلنا نخاف الطلب حتى سرنا مراحل

الجمال ص : ٣٧٦

هودج عائشة

و روى الواقدي عن ابن الزبير قال خرجت عائشة يوم البصرة على جملها عسكر و قد
اتخذت عليه خدرا و دقته بالدروع خشية أن يخلص إليها النبل و سار إليهم علي بن
أبي طالب حتى التقوا و اقتتلوا قتالا شديدا و أخذ بخطام الجمل يومئذ سبعون رجلا
من قريش كلهم قتل و جرح مروان بن الحكم و عبد الله بن الزبير و رأيتهما جريحين

فلما قتلت تلك العصابة من قريش أخذ رجال كثير من بنى ضبة بخطام الجمل فقتلوا عن آخرهم و لم يأخذ بخطامه أحد إلا قتل حتى غرق الجمل بدماء القتلى و تقدم محمد بن أبى بكر فقطع بطن الجمل و حمل الخدر و معه أصحابه و فيه عائشة حتى أنزلوها بعض دور البصرة و ولى الزبير منهزما فأدركه ابن جرموز فقتله و لما رأى مروان توجه الأمر على أصحاب الجمل نظر إلى طلحة و هو يريد الهرب فقال و الله لا يفوتنى ثارى من عثمان فرماه بسهم قطع أكحله فسقط بدمه و حمل من موضعه و هو يقول إنا لله هذا سهم لم يأتنى من بعد ما أراه إلا من

الجمل ص : ٣٧٧

معسكرنا و الله ما رأيت مصرع شيخ أضيع من مصرعى ثم لم يلبث أن هلك. و روى الواقدي أيضا عن موسى بن عبد الله عن الحسين بن عطية عن أبيه قال شهدت الجمل مع على ع فلقد رأيت جمل عائشة و عليه هودجها و عليه دروع الحديد ثم لقد رأيت فيه من النبل و النشاب أمرا عظيما ثم عقر فما سمعت كصوته شيئا قط و نادى أصحاب على ع عليكم الجمل فاعقروه فشدت عليه رجال فعقروه فوقع لجنبه. و روى يزيد بن أبى زياد عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال نظرت الهودج يوم الجمل و هو كأنه قنفذ من النشاب و النبل. و روى ابن أبى سبرة عن علقمة بن أبى علقمة عن أبيه قال جعلنا الهودج من خشب فيه مسامير الحديد و فوقه دروع من حديد و فوقها طيالس من خز أخضر و فوق ذلك آدم أحمر و جعلنا لعائشة منه منظر العين فما أغنى ذلك عنها من القوم

الجمل ص : ٣٧٨

حديث عائشة عن حرب الجمل

و روى الواقدي عن رجاله العثمانيه عن عائشة فى ذكر الحال و هزيمة القوم فى الحرب و شرح الصورة و رأيها فيما كان من ذلك فقال حدثنا محمد بن حميد عن حميدة بنت عبيد بن رفاعه عن أمها كبشة بنت كعب قالت كان أبى لقي على عثمان حزنا عظيما و

بكاه و لم يمنعه من الخروج إلا أن بصره ذهب و لم يبائع عليا و لم يقربه بغضا له و مقتا و خرج على ع من المدينة فلما قدمت عائشة منصرفة من البصرة جاءها أبي فسلم على الباب ثم دخل و بينها و بينه حجاب فذكرت له بعض أمر و لم تشرحه له فلما أمسينا بعثنا إلى عائشة و استأذنا عليها فأذنت لنا قالت كبشة فدخلت فى نسوة من الأنصار فحدثتنا بمخرجها و أنها لا تظن الأمر يبلغ إلى ما بلغ. ثم قالت لقد عمل لى على هودج جملى ثم ألبس الحديد و دخلت فيه و قمت فى وسط من الناس أَدْعُو إلى الصلح و إلى كتاب الله و السنة فليس أحد يسمع من كلامى حرفا و عجل من لقينا بالقتال فرموا النبل و صرعتهم القوم فلا أدرك حتى قتل من أصحاب على رجل أو رجلان ثم تقارب الناس و لحم الشر و صار القوم ليس لهم همّة إلا جملى و لقد دخلت على سهام فجرحتنى فأخرجت ذراعها و أرتنا جرحا على عضدها فبكت و أبكتنا قالت و جعل كلما أخذ رجل بخطام جملى قتل

الجمال ص : ٣٧٩

حتى أخذه ابن أختى عبد الله فصحت به و ناشدته بالرحم أن يتجافانى فقال يا أماه هو الموت يقتل الرجل و هو عظيم الغنى عن أصحاب على نيته خير من أن يدرك و قد فارقتة نيته فصحت و ا ثكل أسماء فقال يا أماه الزمى الصمت و قد لحم ما ترين فأمسكت و كان ممن معنا فتیان أحداث من قريش و كان لا علم لهم بالحرب و لم يشهدوا قتالا فكانوا جزرا للقوم فإننا لعلى ما نحن فيه و قد كان الناس كلهم حول جملى فاسكتوا ساعة فقلت خير أم شر إن سكوتكم ضرس القتال فإذا ابن أبى طالب أنظر إليه يباشر القتال بنفسه و أسمعته يصيح الجمال فقلت أراد و الله قتلى فإذا هو قد دنا منه و معه محمد بن أبى بكر أخى و معاذ بن عبيد الله التميمى و عمار بن ياسر و قطعوا البطان و احتملوا الهودج فهو على أيدى الرجال يرفلون به إذ تفرق من كان معنا فلم أحس لهم خبرا و نادى منادى على بن أبى طالب لا يتبع مدبر و لا يجهز على جريح و من طرح السلاح فهو آمن فرجعت إلى الناس أرواحهم فمشوا على الناس

و استحيوا من السعى فأدخلت منزل عبد الله بن خلف الخزاعي و هو و الله منزل رجل
قد قتل و أهله مستعبرون عليه و دخل معي كل من خاف عليا ممن نصب له و احتمل ابن
أختي عبد الله جريحا فو الله إني لعلی ما أنا عليه و أنا أسأل ما فعل أبو محمد طلحة
إذ قال

الجميل ص : ٣٨٠

قائل قتل فقلت ما فعل أبو سليمان فقييل قد قتل فلقد رأيتني تلك الساعة جمدت عيناى
فانقطعت من الحزن و أكثرت الاسترجاع و الندامة و ذكرت من قتل فبكيت لقتلهم
فنحن على ما نحن عليه و أنا أسأل عن عبد الله فقييل لى قتل فازددت هما و غما حتى كاد
ينصدع قلبي فو الله لقد بقيت ثلاثة أيام بلياليهن ما دخل فمى طعام و لا شراب و إني
عند قوم ما يقصرون فى ضيافتي و إن الخبز فى منازلهم لكثير و لكنى أذهب أعالج
الشبع من الطعام فما أقدر فنعوذ بالله من الفتنة و لقد كنت ألبت على عثمان حتى نبيل
منه ما نبيل فلما قتل ندمت و علمت أن المسلمين لا يستخلفون مثله أبدا كان و الله
أجلهم حلما و أعبدهم عبادة و أبدلهم عند النائبة و أوصلهم للرحم. قالت كبشة بنت
كعب فرجعت إلى أبى فقال ما حدثتكم به عائشة فأخبرته بما قالت فقال يرحم الله
عائشة و يرحم الله أمير المؤمنين عثمان هى كانت أشد الناس عليه و لقد نزعت و تابت
و أرادت أن تأخذ بثأره فجاء خلاف ما أرادت فرحمهم الله جميعا ثم قال رحم الله عمر
بن الخطاب كان و الله يرى هذا كله قال يوما إن كان يصير اختلاف فإنما يكون بينكم
و إن كان بينكم دخل عليكم ما تكرهون

الجميل ص : ٣٨١

حديث مروان عن هزيمة أصحاب الجمل

و روى الواقدي قال حدثنا محمد بن نجار عن عائشة بنت سعد قالت اشتكى أبى فدخل
عليه مروان بن الحكم يعوده فذكر عائشة فقال مروان يا أبا إسحاق لقد حضرت أمورا
فاعترلت عنها يوم الدار و حصرتها فقاتلت عن أمامى حتى وقعت جريحا ثم حضرت

الجمال و إني لأنظر إلى هودج عائشة و عليه دروع الحديد و قد انهزم الناس و ما أخذ
بخطام الجمال أحد إلا مات فقال له أبي و هو يبكي و عمار وسطها فقال مروان إى و
الله فبكى أبى ثم قال خرجت يومئذ فحملت جريحا فلم أر يوما أسرع انكشافا من يوم
الجمال فقال له أبى ما أحب أن حضرت الدار آمرا و لا ناهيا و لا أحب أن حضرت الجمال
آمرا و لا ناهيا ثم خرج مروان و جعل أبى يبكي و يقول ليت شعرى ما لقي عمار و
أصحابه و أمثاله من أصحابنا رحمهم الله و أسكنهم الجنة. و روى ابن أبى سبرة عن
علقمة عن أمه قالت سمعت عائشة تقول لقد رأيتنى يوم الجمال و أن على هودجى دروع
الحديد و النبل يخلص إلى منها و أنا فى الهودج فهون على ذلك ما صنعنا بعثمان و
ألبنا عليه حتى قتلناه و جرينا عليه الغواء فنعوذ بالله من الفرقة بين المسلمين

الجمال ص : ٣٨٢

حديث حبة العرنى عن حرب الجمال

و روى منصور بن أبى الأسود عن مسلم الأعور عن حبة العرنى قال و الله إني لأنظر إلى
الرجل الذى ضرب الجمال ضربة على عجزه فسقط لجنبه فكأنى أسمع عجيج الجمال و
ما سمعت قط عجيجا أشد منه قال و لما عقر الجمال انقطع بطان الهودج فزال عن ظهر
الجمال فانفض أهل البصرة منهزمين و جعل عمار بن ياسر و محمد بن أبى بكر يقطعان
الحقب و الأنساع و احتملاه أى الهودج فوضعا على الأرض فأقبل على بن أبى طالب
حتى وقف عليها و هى فى هودجها فقرع الهودج بالرمح و قال يا حميراء أ رسول الله
أمرك بهذا المسير و نادى عمار بن ياسر يومئذ لا تجهزوا على جريح و لا تتبعوا موليا و
أسر يومئذ سعيد و أبان ابنا عثمان فجىء بهما إلى على بن أبى طالب ع فلما وقفا بين
يديه قال بعض من حضر اقتلها يا أمير المؤمنين فقال على ع بئس ما قلتم آمنت الناس
كلهم و أقتل هذين الرجلين ثم أقبل عليهما و قال لهما ارجعا عن غيكما و انزعا و
انطلقا حيث شئتما فإن أحببتهما فأقيما عندى أصل أرحامكما فقالا يا أمير المؤمنين
نحن نبايع و ننصرف فبايعا و انصرفا

الجمال ص : ٣٨٣

باب ذكر مقتل طلحة بن عبيد الله

روى إسماعيل بن عبد الملك عن يحيى بن شبل عن جعفر بن محمد عن أبيه ع قال حدثني أبي على زين العابدين ع قال قال لي مروان بن الحكم لما رأيت الناس يوم الجمال قد انكشفوا قلت والله لأدركن ثارى ولأفوزن به الآن فرميت طلحة فأصبت نساها فجعل الدم لا يرقأ فرميت ثانية فجاءت به فأخذه حتى وضعوه تحت شجرة فبقى تحتها ينزف الدم حتى مات

و روى ابن أبي سليمان عن ابن خيثمة قال قال عبد الملك بن مروان يوما و قد ذكر عثمان و قتلته و طلحة و لو لا أن أبى قتله لم يزل فى قلبى جرح منه إلى اليوم و قال عبد الملك سمعت أبى يقول نظرت إلى طلحة يوم الجمال و عليه درع و مغفر لم أر منه إلا عينيه فقلت كيف لى به فنظرت إلى فتق فى درعه فرميته فأصبت نساها فقطعته فإنى أنظر إلى مولى له يحمله على ظهره موليا فلم يلبث أن مات.

الجمال ص : ٣٨٤

و روى عبد الحميد بن عمران عن ابن كعب القرظى عن رواح بن الحارث عن عمير قال لقيت طلحة بن عبيد الله فقلت له يا أبا محمد ما أخرجك إلى هاهنا أ لم تباع عليا بالمدينة طائعا غير مكره قال دعنى و الله ما بايعته إلا و اللج على عنقى فلما التقى الناس يوم الجمال جاءه سهم غرب قطع نساها فنزف الدم حتى مات. و روى أبو سهل عن الحسن قال لما رمى طلحة ركب بغلا و قال لغلामه التمس لى مكانا أدخل فيه فقال الغلام ما أدري أين أدخلك فقال طلحة ما رأيت كاليوم أضيع من دم شيخ مثلى قال الحسن و كان أمر الله قَدْرًا مَقْدُورًا. و روى على بن زيد بن جدعان قال لما بلغ طلحة أن الزبير قد اندفع ذهب فى طلبه و قد التقى و هم لا يعلمون برجوع الزبير فمر مروان بن الحكم فرآه فقال لا أطلب ثارى بدم عثمان بعد اليوم و الله و قاتل عثمان بين أعجاز الإبل و صدورها ثم رماه بسهم فقتله. و روى سفيان بن عيينة عن أبى موسى عن

الحسن بن أبي الحسن قال خرج

الجميل ص : ٣٨٥

طلحة بن عبيد الله من رساتيق أقطعه إياها عثمان بن عفان أن كان بعضها ينيخ به ألف ركب ثم يروحون فلم يعرف له ذلك حتى سعى في دمه فلما كان يوم البصرة خرج للقتال و قد لبس درعا استجن بها من السهام إذ أتاه سهم فأصابه وكان أمر الله قَدْرًا مَقْدُورًا و رأيته يقول حين أصابه السهم ما رأيته كالיום مصرع شيخ أضيع من مصرعي قال الحسن و قد كان له قبل ذلك جهاد مع رسول الله و وقاه بيده فضيع أمر نفسه و لقد رأيته قبره مأوى السقاءين فيضع عنده أحدهم قربته ثم يقضى حاجته فما رأيته أعجب من هؤلاء القوم و أما الزبير فإنه أتى حيا من أحياء العرب فقال أجبروني و قد كان قبل ذلك يجير و لا يجار عليه ثم قال الحسن و ما الذى أخافك و الله ما أخافك إلا ابنك قال فاتبعه ابن جرموز فى تلؤل من أتاليل العرب و الله ما رأيته مثله أحدا قط فضاع دمه و هذا قبره بوادى السباع مخراة الثعالب خرجا و لما خرجا لم يدركا ما طلبا و لم يرجعا إلى ما تركا فعز على هذه الشقوة التى كتبت عليهما. و روى قيس بن أبى حازم قال رمى طلحة بسهم فى ركبتيه فجعل يعدو و الدم يفور فإذا أمسكوا رأس الجرح انتفخت ركبته فصاح دعوه فإنه سهم أرسله الله فلم يزل الدم ينزف حتى مات فدفنوه على شاطئ الفرات فرأى بعض الناس فى

الجميل ص : ٣٨٦

النوم طلحة يقول أريحونى من هذا الماء فإنى منه فى أذى شديد رأى الرجل تلك الرؤيا ثلاث ليال فنبشوه فإذا قبره قد أخضر كأنه السلق فاستخرجوه فأخذ ما يلى الأرض من لحيته و وجهه قد أكلته الأرض فاشتريت له دار من دور آل بكر بعشرة آلاف درهم فدفن فيها. فهذه الأخبار جملة مختصرة صحيحة فى قتل طلحة بن عبيد الله طريقها من العامة من أوضح طريق و أساندها أصح أسانيد و ليس بين الأمة فيها اختلاف و كل يدل على أن طلحة قتل و هو مصر على الحرب غير نادم و لا مرعو و كل غير وفاق

لمذهب الحشوية و خلاف على مذهب المعتزلة و شاهد بطلان ما ادعوه من توبته

الجميل ص : ٣٨٧

باب ذكر مقتل الزبير بن العوام

روى المفضل بن فضالة عن يزيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم قال هرب الزبير على فرس له يدعى بذى الخمار حتى وقع بسفوان فمر بعبد الله بن سعيد المجاشعي و ابن مطرح السعدي فقالا له يا حوارى رسول الله ص أنت فى ذمتنا لا يصل إليك أحد فأقبل معهما فهو يسير مع الرجلين إذ أتى الأحنف بن قيس برجل فقال له أريد أن أسر إليك سرا فقال ادن منى فدنا منه فقال هذا الزبير قد هرب و إنى رأيته بين رجلين من بنى مجاشع و منقر أظنه يريد التوجه إلى المدينة فرفع الأحنف صوته و قال ما أصنع إن كان الزبير ألقى

الجميل ص : ٣٨٨

الفتنة بين المسلمين حتى ضرب بعضهم بعضا ثم هو يريد أن يرجع إلى أهله بالمدينة سالما فسمعه ابن جرموز فنهض و معه رجل يقال له فضالة بن حابس و علما أن الأحنف إنما رفع صوته بذكر الزبير لكرهته أن يسلم و إثارة أن يقتل فاتبعاه جميعا فلما رآهما من كان مع الزبير قالوا له هذا ابن جرموز و إنا نخافه عليك فقال لهم الزبير أنا أكفيكم ابن جرموز فاكفوني ابن حابس فحمل عمرو على الزبير فعطف عليه فقال يا فضالة أعنى فإن الرجل قاتلى فأعانه و حمل ابن جرموز فقتله و اجتز رأسه و أتى به إلى الأحنف فبعثه الأحنف إلى أمير المؤمنين ع فلما رآه العسكر أنكروه و قالوا له من أنت قال أنا رسول الأحنف بن قيس فمن قائل يقول مرحبا بك و بمن جئت من عنده و من قائل يقول لا مرحبا بك و لا بمن جئت من عنده حتى انتهى إلى فسطاط أمير المؤمنين ع فخرج إليه رجل ضخم طوال عليه درع يتجسس فإذا هو الأشر فقال من أنت قال أنا رسول الأحنف قال مكانك حتى أستاذن لك فاستأذن له فدخل و أمير المؤمنين ع متكئ و بين يديه ترس عليه أقراص من طعام الشعير فسلم عليه و هنأه بالفتح عن الأحنف

فقال أنا رسوله إليك و قد قتلت الزبير و هذا رأسه و سيفه فألقاهما بين يديه
فقال ع كيف قتلته و ما كان من أمره فحدثته كيف صنعت به فقال ناولني سيفه فناولته
إياه فتناولوه و استله قال سيفه أعرفه أما

الجميل ص : ٣٨٩

و الله لقد قاتل بين يدي رسول الله ص غير مرة و لكنه الحين و مصارع السوء
و روى منصور بن أبي الأسود عن عطاء بن السائب عن أبي البختري قال لما بعث
الأحنف بن قيس إلى أمير المؤمنين ع برأس الزبير و سيفه و جاءه الرسول يهنئه
بالفتح تلا عليه الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ
مَعَكُمْ

و روى عن زيد بن فراس عن غزال بن مالك قال لما قتل الزبير و جرى برأسه إلى أمير
المؤمنين ع قال أما و الله لو لا ما كان من أمر حاطب بن أبي بلتعة ما اجتراً طلحة و
الزبير على قتالي و أن الزبير كان أقرب إلى من طلحة و ما زال منا أهل البيت حتى بلغ
ابنه فقطع بيننا

و روى عبد الله بن جعفر عن ابن أبي عون قال سمعت مروان بن الحكم يقول لما كان
يوم الجمل قلت و الله لأدركن ثار عثمان فرميت طلحة بسهم فقطعت نسا و كان كلما
سد الموضع غلب الدم و ألمه فقال لغلामه دعه فهو سهم أرسله الله إلى ثم قال له
ويلك اطلب لي موزعا أحترز فيه فلم يجد له مكانا فاحتمله عبيد الله بن معمر فأدخله
بيت أعرابية ثم ذهب فصبر هنية و رجع فوجده قد

الجميل ص : ٣٩٠

مات و هرب الزبير فارا إلى المدينة حتى أتى وادي السباع فرفع الأحنف صوته و قال
ما أصنع بالزبير قد لف بين غارين من الناس حتى قتل بعضهم بعضا ثم هو يريد اللحاق
بأهله فسمع ذلك ابن جرموز فخرج في طلبه و اتبعه رجل من مجاشع حتى لحقاه فلما
رآهما الزبير حذرهما فقالا يا حوارى رسول الله أنت فى ذمتنا لا يصل إليك أحد و

سايه ابن جرموز فبينما هو يسايه و يستأخر و الزبير يفارقه قال يا أبا عبد الله انزع درعك و اجعلها على فرسك فإنها تثقلك و تعيبك فنزعها الزبير و جعل عمرو بن جرموز ينكص و يتأخر و الزبير يناديه أن يلحقه و هو يجرى بفرسه ثم ينحاز عنه حتى اطمأن إليه و لم ينكر تأخره عنه فحمل عليه و طعنه بين كتفيه فأخرج السنان من ثدييه و نزل فاجتز رأسه و جاء به إلى الأحنف

فأنفذه إلى أمير المؤمنين ع فلما رأى رأس الزبير و سيفه قال ناولني السيف فناوله فهزه و قال سيف طالما قاتل به بين يدي رسول الله ص و لكن الحين و مصارع السوء ثم تفرس في وجه الزبير و قال لقد كان لك برسول الله ص صحبة و منه قرابة و لكن الشيطان دخل منخريك فأوردك هذا المورد

الجملة ص : ٣٩١

طواف أمير المؤمنين ع على القتلى و تكلمه معهم و لما انجلت الحرب بالبصرة و قتل طلحة و الزبير و حملت عائشة إلى قصر بني خلف ركب أمير المؤمنين ع و تبعه أصحابه و عمار رحمه الله يمشى مع ركابه حتى خرج إلى القتلى يطوف عليهم فمر بعبد الله بن خلف الخزاعي و عليه ثياب حسان مشتهرة فقال الناس هذا و الله رأس الناس فقال ع ليس برأس الناس و لكنه شريف منيع النفس ثم مر بعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد فقال هذا يعسوب القوم و رأسهم صريعا كما ترونه ثم جعل يستعرض القتلى رجلا رجلا فلما رأى أشراف قريش صرعى في جملة القتلى قال جدعت أنفي أما و الله لقد كان مصرعكم لبغيضا إلى و لقد تقدمت إليكم و حذرتكم عض السيوف و كنتم أحداثا لا علم لكم بما ترون و لكن الحين

الجملة ص : ٣٩٢

و مصارع السوء نعوذ بالله من سوء المصرع ثم سار حتى وقف على كعب بن سور القاضي و هو مجدل بين القتلى و في عنقه المصحف فقال نحو المصحف و ضعوه في مواضع الطهارة ثم قال أجلسوا إلى كعبا فأجلس و رأسه ينخفض إلى الأرض فقال يا

كعب بن سور قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدت ما وعدك ربك حقا ثم قال
أضجعوا كعبا فتجاوزته فمر فرأى طلحة صريعا فقال أجلسوا طلحة فأجلس و قال له يا
طلحة بن عبيد الله قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدت ما وعدك ربك حقا ثم قال
أضجعوه فوقف رجل من القراء أمامه و قال يا أمير المؤمنين ما كلامك هذه الهام قد
صدت لا تسمع لك كلاما و لا ترد جوابا فقال ع و الله إنهما ليسمعان كلامي كما
تسمع أصحاب القلب كلام رسول الله ص و لو أذن لهما في الجواب لرأيت عجبا و مر
بمعبد بن المقداد بن عمرو و هو في الصرعى فقال رحم الله أبا هذا إنما كان رأيته فينا
أحسن من رأي هذا فقال عمار الحمد لله الذي أوقعه و جعل خده الأسفل إنا و الله يا
أمير المؤمنين لا نبالي بمن عند عن الحق من ولد و والد فقال ع
الجميل ص : ٣٩٣

رحمك الله يا عمار و جزاك عن الحق خيرا و مر بعبد الله بن ربيعة بن دراج و هو في
القتلى فقال هذا البائس ما كان أخرجه نصر عثمان و الله ما كان رأى عثمان فيه و لا في
أبيه بحسن و مر بمعبد بن زهير بن أمية فقال لو كانت الفتنة برأس الثريا لتناولها هذا
الغلام و الله ما كان فيها بذي نخيرة و لقد أخبرني من أدركه أنه يلوذ خوفا من السيف
حتى قتل البائس ضياعا و مر بمسلم بن قرظة فقال البر أخرج هذا و لقد سألتني أن أكلم
عثمان في شيء يدعيه عليه بمكة فلم أزل به حتى أعطاه و قال لي لو لا أنت ما أعطيته
إن هذا ما علمت بس العشيرة ثم جاء لحينه ينصر عثمان ثم مر بعبد الله بن حميد بن
زهير قال هذا أيضا ممن أوضع في قتلانا يطلب بزعمه دم عثمان و لقد كتب إلي كتبنا
أوذى عثمان منها فأعطاه شيئا فرضى عنه و مر بعبد الله بن حكيم بن حزام فقال هذا
خالف أباه في الخروج على و إن أباه حيث لم ينصرنا بايع و جلس في بيته ما ألوم
أحدا إذا كف عنا و عن غيرنا و لكن المعلوم الذي يقاتلنا و مر بعبد الله بن المغيرة بن
الأخنس فقال أما هذا فقتل أبوه يوم قتل عثمان

الجميل ص : ٣٩٤

فى الدار فخرج غضبا لمقتل أبیه و هو غلام لا علم له بعواقب الأمور و مر بعبد الله بن عثمان بن الأخنس بن شريق فقال أما هذا فإنى أنظر إليه و قد أخذ القوم السيوف و إنه لهارب يعدو من السيف فنهيت عنه فلم يسمع نهى حتى قتل و كان هذا ممن مقت على و إنه من فتيان قريش أغمار لا علم لهم بالحرب خدعوا و استزلوا فلما وقعوا ألحجوا فقتلوا ثم أمرع مناديه فنادى من أحب أن يوارى قتيله فليواره ثم قال ع واروا قتلانا فى ثيابهم التى قتلوا فيها فإنهم يحشرون على الشهادة و إنى لشاهد لهم بالوفاء

الجمال ص : ٣٩٥

كتاب أمير المؤمنين ع إلى أهل المدينة

ثم رجع إلى خيمته فاستدعى عبيد الله بن أبى رافع كاتبه و قال اكتب إلى أهل المدينة بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله على بن أبى طالب سلام عليكم فإنى أحمد الله إليكم الذى لا إله إلا هو أما بعد فإن الله بمنه و فضله و حسن بلائه عندى و عندكم حكم عدل و قد قال سبحانه فى كتابه و قوله الحق إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم و إذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له و ما لهم من دونه من وال و إنى مخبركم عنا و عمن سرنا إليه من جموع أهل البصرة و من سار إليهم من قريش و غيرهم مع طلحة و الزبير و نكتهما على ما قد علمتم من بيعتى و هما طائعان غير مكرهين فخرجت من عندكم فيمن خرجت ممن سارع إلى بيعتى و إلى الحق حتى نزلت ذا قار فنفر معى من نفر من أهل الكوفة و قدم طلحة و الزبير البصرة و صنعا بعاملى عثمان بن حنيف ما صنعا فقدمت إليهم الرسل و أعذرت كل الأعذار ثم نزلت ظهر البصرة فأعذرت بالدعاء و قدمت الحجة و أقلت العثرة و الزلة و استتبتهما و من معهما من نكتهن بيعتى و نقضهما عهدي فأبوا إلا قتالى و قتال من معى و التماذى فى الغى فلم أجد بدا من مناصفتهم لى فناصرتهم بالجهاد فقتل الله من قتل منهم ناكثا و ولى من ولى منهم و غمدت

الجمال ص : ٣٩٦

السيوف عنهم و أخذت بالعفو فيهم و أجريت الحق و السنة في حكمهم و اخترت لهم
عاملا استعمله عليهم و هو عبد الله بن العباس و إني سائر إلى الكوفة إن شاء الله
تعالى و كتب عبيد الله بن أبي رافع في جمادى الأولى من سنة ست و ثلاثين من الهجرة
الجميل ص : ٣٩٧

كتاب أمير المؤمنين ع إلى أم هانئ بنت أبي طالب
و كتب أمير المؤمنين ع إلى أم هانئ بنت أبي طالب ع سلام عليك أحمد إليك الله
الذى لا إله إلا هو أما بعد فإننا التقينا مع البغاة و الظلمة في البصرة فأعطانا الله النصر
عليهم بحوله و قوته و أعطاهم سنة الظالمين فقتل منهم طلحة و الزبير و عبد الرحمن
بن عتاب و جمع لا يحصى و قتل منا بنو مجدوع و ابنا صوحان و علباء و هند و ثمامة
فيمن يعد من المسلمين رحمهم الله و السلام

الجميل ص : ٣٩٨
كتاب أمير المؤمنين ع إلى أهل الكوفة
و كتب إلى أهل الكوفة بسم الله الرحمن الرحيم من على أمير المؤمنين إلى أهل
الكوفة سلام عليكم فإني أحمد الله إليكم الذى لا إله إلا هو أما بعد فإن الله حكم
عدل لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنفُسِهِمْ وَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ
لَهُ وَ ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ وَ إني أخبركم عنا و عن سرنا إليه من جموع أهل
البصرة و من سار إليه من قريش و غيرهم مع طلحة و الزبير بعد نكثهما صفقة أيمانهما
فنهضت من المدينة حين انتهى إلى خبرهم و ما صنعوه بعاملى عثمان بن حنيف حتى
قدمت ذا قار فبعثت إليكم ابني الحسن و عمارا و قيسا فاستنفروكم لحق الله و حق
رسوله و حقنا فأجابني إخوانكم سراعا حتى قدموا على فسرت بهم و بالمسارعين منهم
إلى طاعة الله حتى نزلت ظهر البصرة فأعذرت بالدعاء و أقمت الحجة و أقلت العثرة و
الزلة من أهل الردة من قريش و غيرهم و استتبتهم عن نكثهم بيعتى و عهد الله لى
عليهم فأبوا إلا قتالى و قتال من معى و التمدى فى الغى فناهضتهم بالجهاد فقتل من

قتل منهم و ولى من ولى إلى مصرهم فسألوني ما دعوتهم إليه من كف القتال فقبلت
منهم و غمدت السيوف عنهم و أخذت بالعفو فيهم و أجريت الحق و السنة بينهم و
استعملت عبد الله بن العباس على البصرة و أنا سائر

الجميل ص : ٣٩٩

إلى الكوفة إن شاء الله تعالى و قد بعثت إليكم زحر بن قيس الجعفى لتسألوه
فيخبركم عنا و عنهم و ردهم الحق علينا و ردهم الله و هم كارهون و السلام عليكم و
رحمة الله و بركاته و كتب عبيد الله بن أبى رافع فى جمادى الأولى من سنة ست و
ثلاثين من الهجرة

الجميل ص : ٤٠٠

خطبة أمير المؤمنين ع

و لما كتب أمير المؤمنين ع الكتب بالفتح قام فى الناس خطيبا فحمد الله تعالى و
أثنى عليه و صلى على محمد و آله ثم قال أما بعد فإن الله غفور رحيم عزيز ذو انتقام
جعل عفوه و مغفرته لأهل طاعته و جعل عذابه و عقابه لمن عصاه و خالف أمره و ابتدع
فى دينه ما ليس منه و برحمته نال الصالحون العون و قد أمكننى الله منكم يا أهل
البصرة و أسلمكم بأعمالكم فإياكم أن تعودوا إلى مثلها فإنكم أول من شرع القتال و
الشقاق و ترك الحق و الإنصاف

زهد أمير المؤمنين ع

ثم نزل ع و استدعى جماعة من أصحابه فمشوا معه حتى دخل بيت المال و أرسل إلى
القراء فدعاهم و دعا الخزان و أمرهم بفتح الأبواب التى داخلها المال فلما رأى كثرة
المال قال هذا جناى و خياره فيه ثم قسم المال بين

الجميل ص : ٤٠١

أصحابه فأصاب كل رجل منهم ستة آلاف ألف درهم و كان أصحابه اثنى عشر ألفا و أخذ
هو ع كأحدهم فبينما هم على تلك الحالة إذ أتاه آت فقال يا أمير المؤمنين إن اسمى

سقط من كتابك و قد رأيت من البلاء ما رأيت فدفعت سهمه إلى ذلك الرجل. و روى
الثوري عن داود بن أبي هند عن أبي حرب بن أبي الأسود قال لقد رأيت بالبصرة عجباً
لما قدم طلحة و الزبير قد أرسلوا إلى أناس من أهل البصرة و أنا فيهم فدخلنا بيت
المال معهما فلما رأيا ما فيه من الأموال قالوا هذا ما وعدنا الله و رسوله ثم تلبوا هذه
الآية وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمُ هَذِهِ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ و قالوا
نحن أحق بهذا المال من كل أحد فلما كان من أمر القوم ما كان دعانا على بن أبي طالب
ع فدخلنا معه بيت المال

فلما رأى ما فيه ضرب

الجميل ص : ٤٠٢

إحدى يديه على أخرى و قال يا صفراء يا بيضاء غري غري
و قسمه بين أصحابه بالسوية حتى لم يبق إلا خمسمائة درهم عزلها لنفسه فجاءه رجل
فقال إن اسمي سقط من كتابك فقال ع ردوها عليه ثم قال الحمد لله الذي لم يصل إلى
من هذا المال شيء و وفره على المسلمين
خطبة أمير المؤمنين ع بعد قسمة المال

و روى الواقدي أن أمير المؤمنين ع لما فرغ من قسمة المال قام خطيباً فحمد الله و
أثنى عليه و قال أيها الناس إني أحمد الله على نعمه قتل طلحة و الزبير و هزمت
عائشة و إيم الله لو كانت عائشة طلبت حقاً و أهانت باطلاً لكان لها في بيتها مأوى و
ما فرض الله عليها الجهاد و إن أول خطئها في نفسها و ما كانت و الله على القوم إلا
أشأم من ناقة الحجر و ما ازداد عدوكم بما صنع الله إلا حقداً و ما زادهم الشيطان إلا
طغياناً و لقد جاءوا مبطلين و أدبروا ظالمين إن إخوانكم المؤمنين جاهدوا في سبيل
الله و آمنوا به يرجون مغفرة من الله و إنما على الحق و إنهم لعلى الباطل و
سيجمعنا الله و إياهم يوم الفصل و أستغفر الله لي و لكم

الجميل ص : ٤٠٣

كتاب أمير المؤمنين ع إلى قرظة بن كعب و أهل الكوفة

و روى عمر بن سعد عن يزيد بن أبي الصلت عن عامر الأسدي إن عليا كتب بفتح البصرة مع عمرو بن سلمة الأرحبي إلى أهل الكوفة من عبد الله على بن أبي طالب أمير المؤمنين ع إلى قرظة بن كعب و من قبله من المسلمين سلام عليكم فإنني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو أما بعد فإننا لقينا القوم الناكثين لبيعتنا المفرقين لجماعتنا الباغين علينا من أمتنا فحاججناهم إلى الله فنصرنا الله عليهم و قتل طلحة و الزبير و قد تقدمت إليهما بالمعذرة و استشهدت عليهما صلحاء الأمة و نكثهما بالبيعة فما أطاعا المرشدين و لا أجابا الناصحين و لا ذ أهل البصرة بعائشة فقتل حولها عالم جم لا يحصى عددهم إلا الله ثم ضرب الله وجه بقيتهم فأدبروا فما كانت ناقة الحجر بأشأم منها على أهل ذلك المصر مع ما جاءت به من الحوب الكبير في معصيتها لربها و نبياها و اغترار من اغتر بها و ما صنعت من التفرقة بين المؤمنين و سفك دماء المسلمين بلا بينة و لا معذرة و لا حجة لها فلما هزمهم الله أمرت أن لا يقتل مدبرا و لا يجهز على جريح و لا يكشف عورة و لا يهتك ستر و لا يدخل دار إلا

الجميل ص : ٤٠٤

بإذن أهلها و قد آمنت الناس و قد استشهد منا رجال صالحون ضاعف الله لهم الحسنات و رفع درجاتهم و أثابهم ثواب الصابرين و جزاهم من أهل مصر عن أهل بيت نبينهم أحسن ما يجزى العاملين بطاعته و الشاكرين لنعمته فقد سمعتم و أطعتم و دعيتم فأجبتهم فنعم الإخوان و الأعوان على الحق أنتم و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته كتب عبيد الله بن أبي رافع في رجب سنة ست و ثلاثين

الجميل ص : ٤٠٥

فصل في سيرة أمير المؤمنين ع في أهل البصرة

و روى فطر بن خليفة عن منذر الثوري قال لما انهزم الناس يوم الجمل أمر أمير المؤمنين ع مناديا ينادى أن لا يجهزوا على جريح و لا يتبعوا مدبرا و قسم ما حواه

العسكر من السلاح و الكراع. و روى سفيان بن سعيد قال قال عمار رضى الله عنه لأمر المؤمنين ع ما ترى فى سبى الذرية قال ما أرى عليهم من سبيل إنما قاتلنا من قاتلنا و لما قسم ما حواه العسكر قال له بعض القراء من أصحابه اقسم لنا من ذراريهم و أموالهم و إلا فما الذى أحل دماءهم و لم يحل أموالهم فقال ع هذه الذرية لا سبيل عليها و هم فى دار هجرة و إنما قاتلنا من حاربنا و بغى علينا و أما أموالهم فهى ميراث لمستحقيها من أرحامهم فقال عمار أ لا نتبع مدبرهم و لا نجهز على جريحهم فقال ع لا لأنى آمنهم و روى سعد بن جشم عن خارجة بن مصعب عن أبيه قال شهدنا مع الجمل ص : ٤٠٦

أمير المؤمنين ع الجمل فلما ظفرنا بهم خرجنا فى طلب الطعام فجعلنا نمر بالذهب و الفضة فلا نتعرض له و إذا وجدنا الطعام أصبنا منه قال و قسم على ع ما وجدته فى العسكر من طيب بين نساءنا و قال ع مروا نساء هؤلاء المقتولين من أهل البصرة أن يعتدن منهم و لنقسم أموالهم فى أهلهم فهى ميراث لهم على فريضة من الله قال و كان إذا أتى بأسير منهم فإن كان قد قتل قتله و إن لم تقم عليه بينة بالقتل أطلقه و لما قسم ما حواه العسكر أمر بفرس فيه كادت أن تباع فقام إليه رجل قال يا أمير المؤمنين هذه الفرس كانت لى و إنما أعرتها لفلان و لم أدر أنه يخرج عليها فسأله البينة على ذلك فأقام البينة إنها عارية فردها و قسم ما سوى ذلك

الجمل ص : ٤٠٧

خطبة أمير المؤمنين ع فى ذم أهل البصرة

و روى نصر عن عمر بن سعد عن أبى خالد عن عبد الله بن عاصم عن محمد بن بشر الهمداني عن الحارث بن سريع قال لما ظهر أمير المؤمنين ع على أهل البصرة و قسم ما حواه العسكر قام فيهم خطيبا فحمد الله و أشنى عليه و صلى على رسوله و قال أيها الناس إن الله عز و جل ذو رحمة واسعة و مغفرة دائمة لأهل طاعته و قضى أن نقمته و

عقابه على أهل معصيته يا أهل البصرة يا أهل المؤتفكة و يا جند المرأة و أتباع
البهيمة رغا فأجبتهم و عقر فانهزمتهم أحلامكم دقاق و عهدكم شقاق و دينكم نفاق و أنتم
فسقة مراق يا أهل البصرة أنتم شر خلق الله أرضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء
خفت عقولكم و سفهت أحلامكم شهرتم سيوفكم و سفكتم دماءكم و خالفتهم إمامكم
فأنتم أكلة الآكل و فريسة الظافر فالنار لكم مدخر و العار لكم مفخر يا أهل البصرة
نكتنم بيعتي و ظاهرتم على ذوى عداوتى فما ظنكم يا أهل البصرة الآن

الجمال ص : ٤٠٨

فقام رجال منهم فقالوا نظن خيرا يا أمير المؤمنين و نرى أنك ظفرت و قدرت فإن
عاقبت فقد أجرنا و إن عفوت فالعفو أحب إلى رب العالمين فقال ع قد عفوت عنكم
فإياكم و الفتنة فإنكم أول من نكت البيعة و شق عصا الأمة فارجعوا عن الحوبة و
أخلصوا فيما بينكم و بين الله بالتوبة و لما فرغ ع من خطبته و كلامه لأهل البصرة
ركب بغلته و اجتمع إليه جماعة من شرطة الخميس و طوائف من الناس

الجمال ص : ٤٠٩

أسباب بغض عائشة لأمر المؤمنين ع
و روى عن عمر بن أبان قال لما ظهر أمير المؤمنين ع على أهل البصرة جاءه رجال منهم
فقالوا يا أمير المؤمنين ما السبب الذى دعا عائشة بالمظاهرة عليك حتى بلغت من
خلافك و شقاقك ما بلغت و هى امرأة من النساء لم يكتب عليها القتال و لا فرض عليها
الجهاد و لا أرخص لها فى الخروج من بيتها و لا التبرج بين الرجال و ليست ممن تولته
فى شىء على حال فقال ع سأذكر لكم أشياء مما حقدتها على ليس لى فى واحد منها ذنب
إليها و لكنها تجرمت بها على أحدها تفضيل رسول الله ص لى على أبيها و تقديمه إياى
فى مواطن الخير عليه فكانت تضطغن ذلك على فتعرفه منه فتتبع رأيه فيه و ثانيها لما
آخى بين أصحابه آخى بين أبيها و بين عمر بن الخطاب و اختصنى بإخوته فغلظ ذلك
عليها و حسدتنى منه

الجمال ص : ٤١٠

ثالثها و أوحى الله تعالى إليه ص بسد أبواب كانت فى المسجد لجميع أصحابه إلا بابى فلما سد باب أبيها و صاحبه و ترك بابى مفتوحا فى المسجد تكلم فى ذلك بعض أهله فقال ص ما أنا سددت أبوابكم و فتحت باب على بل الله عز و جل سد أبوابكم و فتح باب به فغضب لذلك أبو بكر و عظم عليه و تكلم فى أهله بشيء سمعته منه ابنته فاضطغته على رابعها و كان رسول الله ص أعطى أباهما الراية يوم خيبر و أمره أن لا يرجع حتى يفتح أو يقتل فلم يلبث لذلك و انهزم فأعطاهما فى الغد عمر بن الخطاب و أمره بمثل ما أمر صاحبه فانهزم و لم يثبت فسأ ذلك رسول الله ص فقال لهم ظاهرا معلنا لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله كرازا غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه فأعطاني الراية فصبرت حتى فتح الله تعالى على يدى فغم ذلك أباهما و أحزنه فاضطغته على و ما لى إليها من ذنب فى ذلك فحققت لحقد أبيها خامسها و بعث رسول الله ص أباهما بسورة براءة و أمره أن ينبذ العهد

الجمال ص : ٤١١

للمشركين و ينادى فيهم فمضى حتى انحرف فأوحى الله تعالى إلى نبيه ص أن يرده و يأخذ الآيات فيسلمها إلى فسلمها إلى فصرف أباهما بإذن الله عز و جل و كان فيما أوحى إليه الله أن لا يؤدى عنك إلا رجل منك و كنت من رسول الله و كان منى فاضطغن لذلك على أيضا و اتبعته ابنته عائشة فى رأيها سادسها و كانت عائشة تمقت خديجة بنت خويلد و تشنؤها شنآن الضرائر و كانت تعرف مكانها من رسول الله ص فيثقل ذلك عليها و تعدى مقتها إلى ابنتها فاطمة فتمقتنى و تمقت فاطمة و خديجة و هذا معروف فى الضرائر سابعا و لقد دخلت على رسول الله ص ذات يوم قبل أن يضرب الحجاب على أزواجه و كانت عائشة بقرب رسول الله فلما رآنى رحب بى و قال ادن منى يا على و لم يزل يدنينى حتى أجلسنى بينه و بينها فغلظ ذلك عليها فأقبلت إلى و قالت بسوء رأى النساء و تسرعهن إلى الخطاب ما وجدت لأستك يا على موضعا غير موضع فخذى

فزجرها النبي ص و قال لها أ لعلى تقولين هذا إنه و الله أول من آمن بى و صدقنى و أول
الخلق ورودا على الحوض و هو أحق الناس عهدا إلى لا ييغضه أحد إلا أكبه الله على
منخره فى النار فازدادت بذلك غيضا على

الجمل ص : ٤١٢

ثامنها و لما رميت بما رميت اشتد ذلك على النبي ص و استشارنى فى أمرها فقلت يا
رسول الله سل جاريتها بريرة و استبرئ حالها منها فإن وجدت عليها شيئا فخل سبيلها
فإن النساء كثيرة فأمرنى رسول الله أن أتولى مسألة بريرة و أستبرئ الحال منها
ففعلت ذلك فحققت على و و الله ما أردت بها سوء لكنى نصحت لله و لرسوله ص و
أمثال ذلك فإن شئتم فاسألوها ما الذى نقت على حتى خرجت مع الناكثين لبيعتى و
سفك دماء شيعتى و التظاهر بين المسلمين بعداوتى للبغى و الشقاق و المقت لى بغير
سبب يوجب ذلك فى الدين و الله المستعان فقال القوم القول و الله ما قلت يا أمير
المؤمنين و لقد كشفت الغمة و لقد نشهد أنك أولى بالله و رسوله ص ممن عاداك فقام
الحجاج بن عمرو الأنصارى فمدحه فى أبيات نكتفى بما ذكرناه من هذه الجملة عن
إيرادها

الجمل ص : ٤١٣

استئمان فتیان قریش إلى أمير المؤمنين ع

قال الواقدى و لما فرغ أمير المؤمنين ع من أهل الجمل جاءه قوم من فتیان قریش
يسألونه الأمان و أن يقبل منهم البيعة فاستشفعوا إليه بعبد الله بن العباس فشفعه و
أمر لهم فى الدخول عليه فلما مثلوا بين يديه قال لهم ويلكم يا معشر قریش علام
تقاتلوننى على أن حكمت فيكم بغير عدل أو قسمت بينكم بغير سوية أو استأثرت
عليكم أو لبعدى عن رسول الله ص أو لقلّة بلاء منى فى الإسلام فقالوا يا أمير المؤمنين
نحن إخوة يوسف ع فاعف عنا و استغفر لنا فنظر إلى أحدهم فقال له من أنت قال أنا
مساحق بن مخرمة معترف بالزلة مقر بالخطيئة تائب من ذنبى فقال ع قد صفحت عنكم و

ايم الله أن فيكم من لا أبالي أ بايعنى بكفه أم بأسته و لئن بايعنى لينكثن و تقدم إليه
مروان بن الحكم و هو متكئ على رجل فقال ع أ بك جراحة قال نعم يا أمير المؤمنين و
ما أرانى لما بى إلا ميتا فتبسم أمير المؤمنين ع و قال لا و الله ما أنت لما بك ميت و
ستلقى هذه الأمة منك و من ولدك يوما أحمر ثم بايعه و انصرف و تقدم إليه عبد
الرحمن بن الحارث بن هشام فلما نظر إليه أمير المؤمنين ع قال و الله أن كنت أنت و
أهل بيتك لأهل دعة و إن كان فيكم غنى و لكن أعفو عنكم و لقد ثقل على حيث رأيتمكم
فى القوم

الجمال ص : ٤١٤

و أحببت أن تكون الوقعة بغيركم فقال له عبد الرحمن فقد صار ذلك إلى ما لا تحب ثم
بايعه و انصرف

الجمال ص : ٤١٥

إرسال عائشة إلى المدينة

قال و لما عزم أمير المؤمنين ع على المسير إلى الكوفة أنفذ إلى عائشة يأمرها
بالرحيل إلى المدينة فتهيأت لذلك و أنفذ معها أربعين امرأة ألبسهن العمام و
القلانس و قلدهن السيوف و أمرهن أن يحفظنها و يكن عن يمينها و شمالها و من
ورائها فجعلت عائشة تقول فى الطريق اللهم افعل بعلى بن أبى طالب بما فعل بى بعث
معى الرجال و لم يحفظ بى حرمة رسول الله ص فلما قدمن المدينة معها ألقين العمام
و السيوف و دخلن معها فلما رأتهن ندمت على ما فرطت بدم أمير المؤمنين ع و سبه و
قالت جزى الله ابن أبى طالب خيرا فلقد حفظ فى حرمة رسول الله ص

الجمال ص : ٤١٦

اعتراف مروان بالظلم

و روى أبو مخنف و المسعودى عن هاشم بن البريد عن عبد الله بن مخارق عن هاشم بن
مساحق القرشى قال حدثنى أبى أنه لما انهزم الناس يوم الجمل اجتمع معه طائفة من

قريش فيهم مروان بن الحكم فقال بعضهم لبعض و الله لقد ظلمنا هذا الرجل يعنون
أمير المؤمنين ع و نكثنا بيعته من غير حدث و الله لقد ظهر علينا فما رأينا قط أكرم
سيرة منه و لا أحسن عفوا بعد رسول الله ص فقوموا حتى ندخل عليه و نعتذر إليه مما
صنعناه قال فصرنا إلى بابه فاستأذناه فأذن لنا فلما مثلنا بين يديه جعل متكلمنا يتكلم
فقال ع أنصتوا أكفكم إنما أنا بشر مثلكم فإن قلت حقا فصدقوني و إن قلت باطلا
فردوا على أنشدكم الله أ تعلمون أن رسول الله ص لما قبض كنت أنا أولى الناس به و
بالناس من بعده قلنا اللهم نعم قال فعدلتهم عني و بايعتم أبا بكر فأمسكت و لم أحب أن
أشق عصا المسلمين و أفرق بين جماعتهم ثم إن أبا بكر جعلها لعمر من بعده فكففت و
لم أهج الناس و قد علمت أني كنت أولى

الجميل ص : ٤١٧

الناس بالله و برسوله و بمقامه فصبرت حتى قتل عمر و جعلني سادس ستة فكففت و لم
أحب أن أفرق بين المسلمين ثم بايعتم عثمان فطعنتم عليه فقتلتموه و أنا جالس في
بيتي فأتيتموني و بايعتموني كما بايعتم أبا بكر و عمر فما بالكم وفيتم لهما و لم تفوا
لي و ما الذي منعكم من نكث بيعتهما و دعاكم إلى نكث بيعتي فقلنا له كن يا أمير
المؤمنين كالعبد الصالح يوسف إذ قال لا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَ هُوَ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فقال ع لا تتريب عليكم اليوم و إن فيكم رجلا لو بايعني بيده لنكث
بأسته يعني مروان بن الحكم

و روى المسعودي عن هاشم بن البريد عن أبي سعيد التيمي عن أبي ثابت مولى أبي ذر
قال شهدت مع أمير المؤمنين ع الجميل فلما رأيت عائشة واقفة بين الصفين معها
طلحة و الزبير قلت أم المؤمنين و زوجة الرسول ص و حواريه و صاحبه بأحد فدخلني
ما يدخل الناس من الشك حتى كان عند صلاة الظهر كشف الله ذلك عن قلبي و قلت على
أمير المؤمنين و أحق الناس بسيد المرسلين ص و أولهم إسلاما لم يكن بالذي يقدم
على شبهة فقاتلت معه قتالا شديدا فلما انقضى الحرب أتيت المدينة فسرت إلى بيت

أم سلمة رضي الله عنها فاستأذنت عليها فقبل من هذا فقلت سائل فقالت أطعموا
السائل فقلت إني والله لم أسأل طعاما ولكني مولى لأبي ذر رضي الله عنه جئت أسأل
عن ديني فقالت مرحبا بك فقصصت عليها قصتي فقالت

الجميل ص : ٤١٨

أين كنت حين طارت القلوب مطايرها فقلت إني بينما أحس ذلك إذ كشف الله عن قلبي
فقاتلت مع أمير المؤمنين ع حتى فرغ فقالت أحسنت
إني سمعت رسول الله ص يقول على مع القرآن و القرآن مع على لن يفترقا حتى يردا
على الحوض

الجميل ص : ٤١٩

فصل عدد القتلى بالبصرة

و قد اختلفت الروايات في عدد القتلى بالبصرة فقد جاء في بعضها أنهم خمسة و
عشرون ألفا و روى عبد الله بن الزبير رواية شاذة أنهم كانوا خمسة عشر ألفا قتل و
يوشك أن يكون قول ابن الزبير أثبت و لكن القول بذلك باطل لبعده عن جميع ما قاله
أهل العلم به فإن الأخبار عن عدد من قطعت يده يومئذ و رجله ثم قتل بعد ذلك مشهورة
أنهم كانوا نحو من أربعة عشر ألف رجل

الجميل ص : ٤٢٠

استخلاف ابن عباس على البصرة

و روى الواقدي عن رجاله قال لما أراد أمير المؤمنين ع الخروج من البصرة استخلف
عليها عبد الله بن العباس و أوصاه و كان في وصيته له أن قال يا ابن عباس عليك بتقوى
الله و العدل بمن وليت عليه و أن تبسط للناس وجهك و توسع عليهم مجلسك و
تسعهم بحلمك و إياك و الغضب فإنه طيرة من الشيطان و إياك و الهوى فإنه يصدك
عن سبيل الله و اعلم أن ما قربك من الله فهو مباعدك من النار و ما باعدك من الله فهو
مقربك من النار و اذكر الله كثيرا و لا تكن من الغافلين

و روى أبو مخنف لوط بن يحيى قال لما استعمل أمير المؤمنين ع عبد الله بن العباس على البصرة خطب الناس فحمد الله و أثنى عليه و صلى على رسوله ثم قال يا معاشر الناس قد استخلفت عليكم عبد الله بن العباس فاسمعوا له و أطيعوا أمره ما أطاع الله و رسوله فإن أحدث فيكم أو زاع عن الحق فأعلموني أعزله عنكم فإننى

الجميل ص : ٤٢١

أرجو أن أجده عفيفا تقيا ورعا و إنى لم أوله عليكم إلا و أنا أظن ذلك به غفر الله لنا و لكم

فأقام عبد الله بالبصرة حتى عمل أمير المؤمنين ع على التوجه إلى الشام فاستخلف عليها زياد ابن أبيه و ضم إليه أبا الأسود الدؤلى و لحق بأمير المؤمنين ع حتى سار إلى صفين

الجميل ص : ٤٢٢

ذهاب أمير المؤمنين ع إلى الكوفة

و روى أبو مخنف لوط بن يحيى عن رجاله قال لما أراد أمير المؤمنين ع التوجه إلى الكوفة قام فى أهل البصرة فقال ما تنقمون على يا أهل البصرة و أشار إلى قميصه و ردائه فقال و الله إنهما لمن غزل أهلى ما تنقمون منى يا أهل البصرة و أشار إلى صرة فى يده فيها نفقته فقال و الله ما هى إلا من غلتى بالمدينة فإن أنا خرجت من عندهم بأكثر مما ترون فأنا عند الله من الخائنين ثم خرج و شيعه الناس إلى خارج البصرة و تبعه الأحنف بن قيس إلى الكوفة و لما خرج من البصرة و صار على غلوة استقبل الكوفة بوجهه و هو راكب بغلة رسول الله ص و قال الحمد لله الذى أخرجنى من أخبث البلاد و أخشنها ترابا و أسرعها خرابا و أقربها من الماء و أبعداها من السماء بها مغيض الماء و بها تسعة أعشار الشر و هى مسكن الجن الخارج منها برحمة و الداخل إليها بذنب أما إنها لا تذهب الدنيا حتى يجىء إليها كل فاجر و يخرج منها كل مؤمن حتى يكون مسجداه كجؤجؤ سفينة

الجميل ص : ٤٢٣

فهذه جملة من أخبار البصرة و سبب فتنتها و مقالات أصحاب الآراء فى حكم الفتنة بها و قد أوردناها على سبيل الاختصار و أثبتنا ما أثبتنا من الأخبار عن رجال العامة دون الخاصة و لم نثبت فى ذلك ما روته الشيعة فى إنكاره إذ كان الغرض فيما أوردناه فى هذا الكتاب تفصيل فتنة البصرة و ما جرى فيها من القتال و الفعال و الإبانة عن عناد القوم لأمر المؤمنين ع و القصد لحربه و سفك دمه من غير شبهة فى أمره و لا عذر فيما صاروا إليه من خلافه و لنوضح فيما تضمنته الأخبار فى بطلان مقال من ادعى للقوم التوبة من فرطهم الضلال لحرب أمير المؤمنين ع و فساد مذهب من ذهب إلى ذلك من المعتزلة و المرجئة و الحشوية

الجميل ص : ٤٢٥

خاتمة فى تنمة أسباب بغض عائشة لأمر المؤمنين ع و يدل على ما أثبتناه منه أن القوم مضوا مصرين على أعمالهم غير نادمين عليها و لا تائبين منها و أنهم كانوا يتظاهرون إلى الله بالقربة و الدينونة بعداوتهم لأمر المؤمنين ع و التبغض له و التضليل و التبديع له و لولده و لشيعته و أنصاره و البراءة إلى الله من جميعهم و أن أمير المؤمنين ع كان يبدئ إليهم بمثل ذلك و يرى القربة إلى الله بجهادهم و قتالهم حتى مضى ع لسبيله و أنا مثبت بعد الذى قدمت أخبارا قد سلم لصحتها أهل العقل و النقل على خلافهم فى الآراء و المذاهب تؤكد ما ذكرت فى هذا الكتاب و تشهد بصحة

الجميل ص : ٤٢٦

ما زبرت فإننى كنت قد جمعتها فى موضوع آخر من كتبى و إنما أوردتها فى هذا الكتاب لملاءمتها لمعناه و تأييدها لما تضمنته من فوائد و فحواه و بالله أستعين. فمن ذلك ما رواه أبو بكر محمد بن عمر الجعابى و حدثنا به قال حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة عن أبى الحسن على بن الحسين بن فضال بإسناده فى كتابه

المعروف بالنبى و هو أشهر من أن يدل عليه العلماء عن أبان بن عثمان عن الأجلح عن
أبى صالح عن عبد الله بن العباس قال لما رمى أهل الإفك عائشة استشار رسول الله ص
عليها فيها فقال يا رسول الله النساء كثيره و سل الخادمة فسألوا بريرة فقالت ما
علمت إلا خيرا فبلغ ذلك عائشة فقالت لا أحب عليا بعد هذا أبدا و كانت تقول لا أحب
عليا أبدا أليس هو الذى خلا و صاحبه بجاريتي يسالانها عنى

و هذا حديث صحيح الإسناد واضح الطريق و هو يتضمن التصريح منها ببغض أمير
المؤمنين. ع بنصيحته لرسول الله ص و اجتهاده فى طاعته و مشورته من غير أن يكون
ظلمها بذلك و اعتدى عليها فيه إذ لو كان ذلك كذلك و حاشاه ع لما سمع رسول الله ص
مقاتله و لا قبل مشورته و لا انتهى فيها إلى رأيه و لما صار بعد ذلك إلى الإصغاء إليه و
الاعتماد فى ذلك عليه فدل على صوابه ع و ضلال من مقتته لأجله و عاداه فيه.

الجمال ص : ٤٢٧

و من ذلك

ما رواه محمد بن مهران قال حدثنا محمد بن على بن خلف قال حدثنا محمد بن كثير عن
إسماعيل بن زياد البزاز عن أبى إدريس عن رافع مولى عائشة قال كنت غلاما أخدمها و
كنت إذا كان رسول الله عندها أكون قريبا منها فبينما رسول الله ص ذات يوم عندها إذ
جاء جاء فدق الباب فخرجت إليه فإذا جارية معها إناء مغطى فرجعت إلى عائشة
فأخبرتها فقالت أدخلها فدخلت فوضعت بين يدي عائشة و وضعته عائشة بين يدي
رسول الله ص فأكل منه فقال ص يا ليت أمير المؤمنين و سيد المسلمين و إمام
المتقين يأكل معى فقالت عائشة و من ذلك فجاء جاء فدق الباب فخرجت إليه فإذا هو
على بن أبى طالب ع فرجعت إليه ص فقلت هذا على بالباب فقال ص أدخله فلما دخل قال
له أهلا لقد تمنيتك حتى لو أبطأت لسألت الله أن يأتيني بك اجلس فكل معى فجلس
معه و رأيت النبى ص ينظر إليه و يقول قاتل الله من يقاتلك و عادى الله من عاداك
فقالت عائشة من يقاتله و يعاديه فقال لها أنت و من معك

و هذا الحديث يدل على عداوتها له من حيث استفهمت عما تعلمه على وجه الإنكار و
دعائه فى آخر القول على من يقاتله و يعاديه لعلمه بما يكون منها من القتال أيضا و
دعائه على من عاداه لبيين فضيلته و ما هى عليه من البغضاء و الشنآن له و يزيل
الشبهة عن الأمة فى حقه و صوابه و باطل عدوه فى خلافه له و عناده
الجميل ص : ٤٢٨

و من ذلك

ما رواه غير واحد عن الأرقم بن شرحبيل عن عبد الله بن العباس قال قال رسول الله ص
فى مرضه الذى توفى فيه ابعثوا إلى على فادعوه فقالت عائشة لو بعثت إلى أبى بكر و
قالت حفصة لو بعثت إلى عمر فأمسك النبى ص و بعثنا إلى أبى بكر و عمر فلما حضرا
عنده فتح النبى عينيه فرآهما فقال انصرفا فإن تكن لى حاجة بعثت إليكما
و من ذلك ما رواه إسحاق عن عكرمة عن عبد الله بن العباس قال أغمى على النبى ص ثم
أفاق فقال ادعوا لى أخى فأمرت عائشة أن يدعوا أبا بكر فدخل فلما رآه رسول الله
أعرض عنه فقالت أم سلمة رضى الله عنها ادعوا له عليا فإنه أخوه و حبيبته فدعى له
فجاء حتى جلس بين يديه فلما رآه أدناه و ناجاه طويلا

و هذا الحديث مع استقامته و ظهوره و كثرة رواته فى الخاصة و العامة يدل على
عداوتها له و حسدها عليه. و من ذلك ما اجتمع عليه أهل النقل من شهادتها لأبى بكر فى
صواب منعه فاطمة فدكا و مباينتها فى تلك الشهادة أمير المؤمنين ع فيما ذهب إليه من
استحقاقها و مظاهرة أبى بكر على منع فاطمة ع من ميراث أبيها و لم تشركها فى ذلك
إحدى الأزواج.

الجميل ص : ٤٢٩

و من ذلك

ما رواه إسحاق عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن عائشة قالت استشعر رسول
الله ص المرض فى بيت ميمونة فدعى نساءه فاستأذنهن أن يمرض فى بيتى فأذن له

فخرج بين رجلين من أهل بيته أحدهما الفضل بن العباس و رجل آخر تخط قدماه الأرض عاصبا رأسه حتى دخل بيتي قال عبيد الله فحدثت عنها عبد الله بن العباس فقال هل تدري من الرجل قلت لا قال ذلك علي بن أبي طالب ع و ما كانت أمنا تذكره بخير و هي تستطيع

و من ذلك أن عائشة كانت تذم عثمان و ولاته و كانت تقول كل قول بغضا منه و ترفع قميص رسول الله ص فتقول هذا قميص رسول الله لم يبيل و قد أبلى عثمان أحكامه و لما جاء الناعى إلى مكة فنعاه بكى لقتله قوم من أهل ظنه فأمرت مناديا ينادى ما بكاؤكم على نعثل قد أراد أن يطفئ نور الله فأطفأه الله و أن يضيع سنة رسول الله فقتله ثم أرجف بمكة أن طلحة قد بويع له فركبت مبادرة بغلتها و توجهت نحو المدينة و هي مسرورة حتى انتهت إلى سرف فاستقبلت عبيد الله بن أبي سلمة فقالت له ما عندك من الخبر قال قتل عثمان قالت ثم ما ذا قال بايعوا عليا ابن عم رسول الله ص

الجميل ص : ٤٣٠

فقالت و الله لوددت أن هذه أطبقت على هذه إذ تمت الآن لصاحبك فقال لها عبيد الله و لم فو الله ما على هذه الغبراء نسمة أكرم على الله منه فلما ذا تكرهين قوله فقالت إنا عينا على عثمان فى أمور سمينها له و لمناه عليها فتأب منها و استغفر الله فقبل منه المسلمون و لم يجدوا من ذلك بدا فوثب عليه صاحبك فقتله و الله لإصبع من أصابع عثمان خير منه و قد مضى كما يمضى الرحيض ثم رجعت إلى مكة تنعى عثمان و تقول هذه المقالة للناس. فهل يصح رحمكم الله عند أحد من العقلاء دخول الشبهة من بغضها أو يرتاب مكلف فى عنادها لأمر المؤمنين ع على ما ذكرناه. و من ذلك ما رواه نوح بن دراج عن أبي إسحاق قال حدثنى المنهال عن جماعة من أصحابنا أن طلحة لما قدم إلى مكة جاء إلى عائشة فلما رآته قالت يا أبا محمد قتلت عثمان و بايعت عليا فقال لها يا أمه مثلى كما قال الأول

ندمت ندامة الكسعى لما رأت عيناه ما صنعت يداه

أ و لا ترى أنها تبدى له العداوة فى كل حال و تظهر له العناد بكل مقال. و من ذلك كتبها إلى الآفاق تؤلب عليه و تخذل الناس عنه من غير شبهة تعرض فى الديانة لفعل كان منه ع كتبت إلى زيد بن صوحان على ما اجتمعت عليه نقلة الأخبار.

الجمال ص : ٤٣١

بسم الله الرحمن الرحيم من عائشة ابنة أبى بكر أم المؤمنين زوجة النبى إلى ابنها المخلص زيد بن صوحان أما بعد فإذا جاءك كتابى هذا فأقم فى بيتك و اخذل الناس عن على حتى يأتىك أمرى و ليبلغنى عنك ما أقر به فإنك من أوثق أهلى عندى و السلام. فكتب إليها زيد بن صوحان رضى الله عنه. بسم الله الرحمن الرحيم من زيد بن صوحان إلى عائشة بنت أبى بكر أما بعد فإن الله أمرك بأمر و أمرنا بأمر أمرك أن تقرى فى بيتك و أمرنا بالجهاد فأتانى كتابك بضد ما أمر الله به و ذلك خلاف الحق و السلام. و من ذلك ما تظاهرت به الأخبار و ثبتت به الآثار فى الكتب المصنفة فى حرب البصرة و غيرها من كتاب عائشة إلى حفصة على ما رواه عبد الرحمن الأصم عن الحسن بن أبى الحسن البصرى قال لما نزل على ع بذى قار كتبت إلى حفصة الكتاب الذى قدمنا ذكره. و روى بشر بن الربيع عن عمار الدهنى عن سالم بن أبى الجعد قال ذكر النبى ص خروج بعض نسائه و عنده عائشة و على حاضر فضحكت عائشة فالتفت ص إلى على فقال يا على إذا رأيت من أمرها شيئاً فارق بها

الجمال ص : ٤٣٢

و روى عصام بن قدامة البجلي عن ابن عباس قال قال رسول الله ص لنسائه ليت شعرى أيتكن صاحبة الجمال الأدب تخرج حتى تنبها كلاب الحوآب يقتل عن يمينها و شمالها خلق كثير كلهم فى النار و تنجو بعد ما كادت

و رواه أبو بكر بن عياش عن الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس قال المسعودى و فى حديثه قال رسول الله ص يا على إذا أدركتها فاضربها و اضرب أصحابها و روى على بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله ص يا

عائشة إني رأيته في المنام مرتين أرى جملاً يحملك في سداة من حرير فأكشفها فإذا هي أنت

الجملة ص : ٤٣٣

أ فلا ترى أن رسول الله ص نهاها و قد بين ما يكون منها على علم منه في مصيرها و عاقبة أمرها ثم نهاها عن ذلك و زجرها و دعا عليها لأجله و توعدا فأقدمت على خلافه مستبصرة بعداوتة و ارتكبت نهيه معاندة له في أمره و صارت إلى ما زجرها عنه مع الذكر له و العلم به من غير شبهة في معاندته على أن كتاب الله المقدم في الحجة على ما يعضده من أثر و خبر و سنة قد أوضح ببرهانه على إقدام المرأة على الخلاف له من غير شبهة و قتاله و قتال أوليائه لغير حجة بقوله تعالى لها و لجميع نساء النبي ص وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَ اقْمِنَ الصَّلَاةَ وَ آتِينَ الزَّكَاةَ فخرجت من بيتها مخالفة لأمر الله و تبرجت بين الملاء و العساكر في الحروب تبرج الجاهلية الأولى و أباحت دماء المسلمين و أفسدت الشرع على المؤمنين و أوقعت في الدين الشبهات على المستضعفين. و من ذلك

ما رواه أبو داود الطهوي عن عبد الله بن شريك العامري عن عبد الله بن عامر قال سمعت عبد الله بن بديل الخزاعي يقول لعائشة أنشدك الله أ لم نسمعك تقولين سمعت رسول الله ص يقول على مع الحق و الحق مع على لن يفترقا حتى يردا على الحوض قالت بلى قال لها فلم ذلك قالت دعوني و الله لوددت أنهم تفانوا جميعا

الجملة ص : ٤٣٤

فدل ذلك على أنه لم يعترضها شبهة في قتاله و أنها في خلاف الله و رسوله ص و الأخبار في هذا المعنى كثيرة إن أخذنا في إيرادها طال بها الكتاب

الجملة ص : ٤٣٥

سبب عناد طلحة و الزبير لأمر المؤمنين ع فأما ما جاء في عناد طلحة و الزبير لأمر المؤمنين ع و إقدامهما على حربه طمعا في

نيل الأمر من بعده بغير شبهة في ذلك و أنهما كانا متولين لقتل عثمان فلما بايع الناس لأمير المؤمنين ع و فاتهما ما كانا يأملانه من التأمر على الناس عمدا إلى حربه و رمياه بما صنعاه بعثمان و عانداه في ذلك و كإبراه و دفعا به المعلوم. فروى موسى بن مطير عن الأعمش عن مسروق قال دخلنا المدينة فبدأنا بطلحة فخرج مشتملا بقطيفة حمراء فذكرنا له أمر عثمان و أمر القوم فقال لقد كاد سفهاؤكم أن يغلبوا عقلاءكم ثم قال أ جئتم معكم بحطب ألا فخذوا هاتين الحزمتين فاذهبا بهما بابه فأحرقوه بالنار فخرجنا من عنده و أتينا الزبير فقال مثل قوله فخرجنا حتى أتينا عليا عند أحجار الزيت فذكرنا له أمره فقال استتيبوا الرجل و لا تعجلوا فإن رجع عما هو عليه و إلا فانظروا. و روى محمد بن إسحاق عن أبي جعفر الأسدي عن أبيه عن عبد الله بن جعفر الجمل ص : ٤٣٦

قال كنت مع عثمان و هو محصور فلما عرف أنه مقتول بعثني و عبد الرحمن بن أزهر الزهري إلى علي ع و قد استولى طلحة على الأمر و قال انطلقا و قولا له إنك أولى بالأمر من ابن الحضرمية فلا يغلبنك على أمر ابن عمك. و روى الفضل بن دكين عن فطر بن خليفة عن عمران الخزاعي عن ميسرة بن جرير قال كنت عند الزبير بأحجار الزيت و هو آخذ بيدى فأتاه رجل و قال يا أبا عبد الله إن أهل الدار قد حيل بينهم و بين الماء فقال دبروا و أدبروا و حيل بينهم و بين ما يشتهون كما فعل بأشباعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب. فهذه الأخبار و أمثالها قد جاءت بما فعل طلحة و الزبير بعثمان و ما أباحاه من دمه. و أن أمير المؤمنين كان معتزلا لذلك عن عثمان دافعا عنه بحسب الإمكان ثم جاء بعد ذلك يطلبان بدم عثمان و يدعيان عليه أنه تولى قتله و يقرفانه بما ادعياه و يعملان في قتل أهل الإيمان و إثارة الفتنة في الإسلام و هلاك العباد و البلاد.

و روى إبراهيم بن عمر عن أبيه عن نوح بن دراج أن عليا ع قال لهما و الله ما للعمرة تريدان و قد بلغني أمركما و أمر صاحبكما فحلفا بالله ما يريدان إلا العمرة

الجميل ص : ٤٣٧

و روى الحسن بن المبارك عن بكر بن عيسى أن عليا ع أخذ عليهما العهد و الميثاق أعظم ما أخذه على أحد من خلقه أن لا يخالفا و لا ينكثا و لا يتوجها وجها غير العمره حتى يرجعا إليه فأعطياه ذلك من أنفسهما ثم أذن لهما فخرجا.

و روت أم راشد مولاة أم هانئ أن طلحة و الزبير دخلا على علي ع فاستأذناه فى العمره فأذن لهما فلما وليا من عنده سمعتهما يقولان ما بايعناه بقلوبنا و إنما بايعناه بأيدينا فأخبرت عليا ع بمقالتهما فقال إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ثم قام ع خطيبا فحمد الله و أشنى عليه فقال أما بعد فإن النبى ص حين قبض كنا نحن أهل بيته و عصبته و ورثته و أوليائه و أحق خلق الله به لا تنازع فى ذلك فبيننا نحن نقول ذلك إذ نفر المنافقون فانتزعوا سلطان نبينا منا و ولوه غيرنا و ايم الله فلو لا مخافة الفرقه بين المسلمين أن يعودوا إلى الكفر لكنا غيرنا ذلك ما استطعنا و قد وليتمونا أيها الناس أمركم و قد بايعنى طلحة و الزبير فيمن بايعنى منكم ثم نهضا إلى البصرة ليفرقا جماعتكم و يلقيا بعثكم بينكم الفتنة اللهم فخذهما بغشهما هذه الأمة و سوء بطرهما

الجميل ص : ٤٣٨

قال أبو عبد الله و قد كان فى منع الحسن ع أن يدفن مع جده ص مما لا خلاف فيه بين العلماء و فيما حاورت به القوم إذ قالت ما لكم و لى تريدون أن تدخلوا بيتى من لا أحب دليل على أنها مبغضة له و كانت مؤذيه له فى أسباب لا حاجة لنا بذكرها. و من الله نسأل التوفيق لما يرضيه و العمل بما يقرب منه و نستهديه إلى سبيل الرشاد إنه ولى الإجابة قريب مجيب و الحمد لله و صلاته و سلامه على محمد و آله